مناوشات بريئة

قضايا عربية

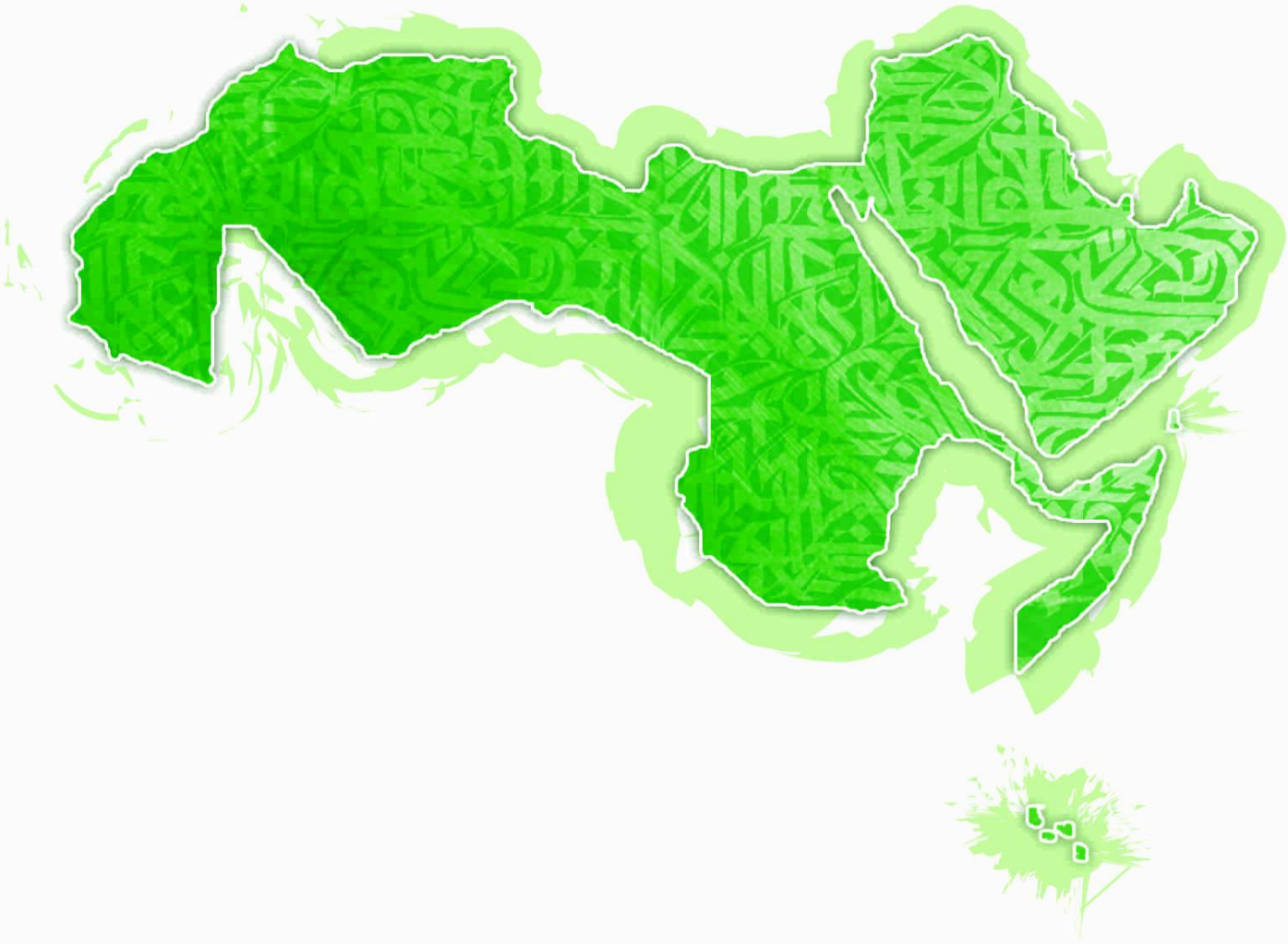

الطّاهر اعمارة الأدغم

مناوشات بريئة

قضايا عربية

الطّاهر اعمارة الأدغم

الموضوع الرئيسيّ: سياسيّ
عدد الصّفحات: 184 صفحة
قياس الصّفحة: 14,5 سم * 20,5 سم

عنوان الكتاب

قضايا عربية

المؤلف
الطّاهر اعمارة الأدغم

تصميم الغلاف
كمال خزان

الطباعة

ردمك
ISBN:978-9931-798-77-4

الإيداع القانوني
ديسمبر 2021

الطبعة الأولى
جمادى الأول 1443هـ / ديسمبر 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاء

إِلَى ابْنَتَيَّ التَّوْأَم: مَرْيَم ومَارِيّة

.
.
.
.
.
.

الأملُ يَحْدُونِي أَنَّهُمَا سَيَشْهَدَان:
جَزائر / وَعَالَم عَرَبِيّ
أَفْضَل

مُقَدِّمَة

أتذكّرُ الزّميلَ حسن إبراهيم، السّودانيّ والمخضرم فكرًا وجنسيّةً وَإِقَامَة...
يَحْلُوَ لَهُ المزاحُ في غرفةِ أخبارِ قناةِ الجزيرة... فيقولُ في لهجةٍ خطابيّةٍ تبدو جادّة: أمّةٌ عربيّةٌ واحدةٌ ذاتُ رسالةٍ خالدة...
ثمّ يسكت...
ليقولَ بنبرةٍ أخرى: لكنّها لم تُكْتَبْ بعد...
فَيَضْحَكُ مَنْ حَوْلَه...

هذه هي المشكلةُ على ما يبدو:
الرّسالةُ العربيّةُ المُفْتَرَضَةُ مشوّشةٌ أو غير مكتوبةٍ أصلاً، أو كُتِبَتْ على عجلٍ، أو كُتِبَتْ مغشوشةً فجاءتْ ممجوجةً من البداية..

هذا هو مربطُ الفرس، وبيتُ القصيدِ في وضعنا العربيّ الرّاهن...

.
.
.
.

الرّؤيةُ لَمْ تكنْ واضِحةً من البدَاية...

والسّؤالُ المطروحُ بعد كلِّ هذه العقودِ من جلاءِ الاحتلالِ الأجنبيّ، وقيامِ الدّولةِ العربيّةِ القُطْرِيَّة: هل هناك أمّةٌ عربيّةٌ بالمعنى الكامل.. ومتَى تجسّدت..؟؟؟

ومن هذا المنطلقِ قد ندركُ بجلاءٍ ووضوحٍ تلك الأسباب الكامنة وراء إدمانِ الفشلِ عند أغلبِ الحكوماتِ العربيّة، ومعها قِسم من النّخب.. للأسف الشّديد..؟؟

فشلٌ وتخبّطٌ وغيابٌ شبهُ تامٍّ لأيّ استراتيجيّةٍ ورؤيةٍ واضحةٍ يمكنُ قياسُها بعد عَقْدٍ أو عَقْدَيْنِ من الزّمان، ومن ثمّ المراجعةُ والتّصحيحُ والانطلاقُ من جديد..

جَعْجَعَاتٌ متواصلةٌ في هذا البلدِ العربيّ أو ذاك، إلاّ من رَحِمَ الله...!!!

أمّا الطّحينُ.. أمّا النّتيجة:

هزيلةٌ في الغالب، أو أقلّ من الحدّ المعقولِ الذّي يتناسبُ مع قدراتنا وماضينا...؟؟

هذا على مستوى أغلبِ الحكوماتِ والنّخبِ التّي تدورُ في فلكها...

أمّا الدّاخل: فلا شكّ أنّ تراكمَ الوعيِ يتصاعد..

فَلَسْنَا بِدْعًا من النّاس، أو سلالةً هاجرتْ من كوكبٍ بعيدٍ عن الأرضِ وطبيعتها وشعوبها، والسّنن الكونيّة التّي تسري عليها...

نحن جزءٌ من هذا العالَم..

نتأثّرُ ونتعلّمُ.. ونتطوّرُ بإذن الله..

بل إنّ عواملَ النّهضةِ عندنا كثيرةٌ ومتعدّدةٌ ومتوفّرة...

نعم... من المهمّ جدًّا المداومة على تأكيدِ هذه المعاني لأجيالنا الجديدة، وأنّنا أمّةٌ مثل غيرها...

أمّةٌ في وسعها ممارسة الدّيمقراطيّةَ والشّفافيّة، والعيش في كَنَفِ الرّشد.... ولسنا مجرّد ظلالٍ باهتةٍ كما يريدُ حكّامُنا الشّموليّون، وأحفادُ الاستعمارِ القديمِ الذّين يقفون خلفهم...

عزيزي القارئ..

بين دفّتيْ هذا الكتابِ مقالاتٌ حول عالَمنا العربيّ الممتدّ من الخليج إلى المحيط.. أو من (مراكش للبحرين)، كما جاء في كلمات الأغنيّةِ الجزائريّةِ الشّهيرة (زِين واحد)... أغنية الفنّان الصّادق جَمْعَاوِي وفرقة البحَّارَة...

وقد ظهرتْ هذه المقالاتُ على صفحاتِ جريدةِ (صوت الأحرار)... والجريدةُ هي الصّوتُ غير المعلَنِ صراحةً لحزبِ جبهةِ التّحريرِ الوطنيّ الحاكِمِ في الجزائر، أو الأكثر تأثيرًا في دواليبِ الحكمِ منذ الاستقلالِ عن الاحتلالِ الفرنسيّ عام 1962.

(صوتُ الأحرار) صوتٌ غيرُ معلنٍ للجبهة، لأنّ الجريدةَ لا تُعَرّفُ نفسَها مع عنوانها في الصّفحةِ الأولى على أنّها (لسانُ حال...)، لكنّ هذا الأمرَ معروفٌ بين جمهورِ الصّحفيّين والسّياسيّين والمتابِعين.

وهذه المقالاتُ، وغيرها من مقالاتِ الزّملاءِ الكُتّاب، نُشرتْ في صفحةِ (اتّجاهات) على مدى أكثر من ستّ سنوات من الظّهورِ الأسبوعيّ المنتظم... في تلك الصّفحةِ تواترتْ (خَرْبَشَاتِي)، وكان عنوانُ مقالي الثّابت (مناوشات بريئة).

فالشّكرُ، كلّ الشّكر، للسيّد محمّد نذير بِلّقرون، الصّحفيّ والمدير، وإلى طاقمِ جريدةِ (صوت الأحرار)، هذا العنوانُ المقتبَسُ من النّضالِ الإعلاميّ خلال سنواتِ الحركةِ الوطنيّةِ والإصلاحيّةِ التّي سبقتْ ثورةَ نوفمبر المجيدة 1954.

مقالي الأسبوعيّ، أو مَنَاوَشَاتِي، كان مساحةً حُرّةً أتناولُ فيها ما أراه مناسبا..

والمقالُ الصّحفيُّ يُصَنَّفُ ضمن الأنواعِ الفكريّةِ أو أنواعِ الرّأيِ في تقسيماتِ فنّياتِ الكتابةِ الصّحفيّة، أو الأجناسِ الصّحفيّة، وجميعُها يسعى للتّعبيرِ عن الواقعِ ونقلِهِ إلى الجمهورِ المتلقّي عبر الوسيلةِ الإعلاميّة.

والأنواعُ الفكريّةُ، أنواع الرّأي، تهدفُ في الأساسِ إلى تأطيرِ الجمهورِ وتوجيهه وغرسِ القناعاتِ والمواقفِ والقِيم، ومن هنا تبرزُ خطورتُها وأهميّتُها... فأرجو أن تكون (خَرْبَشَاتِي) قريبةً من هذا الهدف.

وخلال محاضراتي للطّلاّب، في مادّة فنّياتِ التّحريرِ الصّحفيّ، كنتُ أركّزُ على مقالةِ الرّأي وأنّها وسطٌ بين الأدبِ والعلم.. ففيها شيءٌ من ذاتيّةِ الأديبِ وشيءٌ من منهجيّةِ الباحث..

والذّاتيّةُ مهمّةٌ في المقالات.. لكن.. إذا طغتْ على المقالِ تحوّلَ إلى أدبٍ وانطباعاتٍ وخواطر.. والمنهجيّةُ كذلك إن زادتْ جرعتُها تحوّلَ المقالُ إلى مادّةٍ علميّةٍ لها أهلُها وقرّاؤُها ووسائطُ نشرها غير الجريدة، فهذه الأخيرةُ هي ملتقى جميعِ الفئاتِ والمستويات: كلٌّ من اكتسبَ مبادئَ القراءةِ ولو في مراحلها الأُولَى.

المقالاتُ كما هي.. لم أعدّلْ أيَّ شيءٍ فيها إلاّ الأخطاء المطبعيّة الطّفيفة وما شابه.. وذلك حتّى لا أدّعي الحكمةَ بأثرٍ رجعيّ...

لأنّ الأصلَ والصّدق: أن أكون أنا في تلك الفترة.. وكلُّ فترةٍ لها نصيبُها من الوعيِ والنّضجِ والفهم...

ولا عيبَ إن أخطأ أحدُنا التّحليلَ أو التّقديرَ أو القراءةَ في مرحلةٍ ما.. ولا عيبَ إن ساندَ أو استحسنَ، في وقتٍ ما، حزبًا أو جهةً، أو اتّخذَ موقفًا يبدو له الآن مجانبًا للصّواب..

على العموم... هذه قِرَاءَاتِي ومُتَابَعَاتِي ومَشَاعِرِي وانْفِعَالاَتِي مع بعضِ أخبارِ وأحداثِ العالَمِ العربيّ...

ربّما بالغتُ هنا أو هناك، وأخطأتُ التّقديرَ أو التّحليلَ في هذه القضيّةِ أو تلك.. أو غَلَبَنِي التّشاؤمُ في فقرةٍ أو مقال.. لكن: في ثَنَايَا عَقْلِي وَقَلْبِي تَفَاؤُلٌ دَائِمٌ بالأفضلِ والأحسنِ والأجمل...

وأخيرا...

جاء تقسيمُ المقالاتِ على المحاورِ وفق الفكرةِ الغالبةِ على المقال...

أمّا التّرتيبُ داخلَ كلِّ محورٍ فَاحْتَكَمَ إلى تاريخ نشرِ المقال...

وأمّا تقديمُ المَحَاوِر أو تأخيرُها، فكان تبعا لعددِ المقالاتِ، فالأكثرُ عددًا ثمّ الذّي يَلِيه..

وهكذا كانت قضيّةُ فلسطين في المحورِ الثّاني، لكنّها الأُولَى في وجداننا وأولويّاتنا، لأنّها قضيّةُ الأمّةِ المركزيّة.

الطاهر بن اعمارة الأدغم

بَلْدَةُ كْوِينِين، وِلاَيَةُ الوَادِي، الجَزَائِر

08 جمادي الأولى 1443هـ / 13 ديسمبر 2021م

الْمِحْوَرُ الأَوَّل

الْعَرَب.. الأَلَمُ وَالْأَمَل

الاِسْتِبْدَادُ وَالْفَسَاد
الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ وَالْحُكْمُ الرَّاشِد
الانْطِلاَقُ وَعَوَامِلُ النَّهْضَة
الْعَرَبُ وَجِيرَانُهُمْ وَحُلَفَاؤُهُم
حُرِّيَّةُ الاِعْلاَم
حُقُوقُ الاِنْسَان

دَافُوْس وَمُسَلْسَلُ انْخِدَاع

المنتدى الاقتصاديّ العالميّ الذّي يحملُ اسم دَافُوْس عادَ هذا الأسبوع في حُلَّةٍ عربيّةٍ من خلال طبعته "الشّرق أوسطيّة"، وهي مبادرةٌ متقدّمةٌ جدًا وخطوةٌ إلى الأمام على طريق التّقدّم الاقتصاديّ والتّنوير الاجتماعيّ والسّياسيّ، كما يرى أصحابُ الفكرة، وكما ظهرَ من تصرّفاتِ وملامح السّعادةِ التّي بَدَتْ على عَدَدٍ من الزّعماء العرب الذّين وقفوا وراء هذه الطّبعة العربيّة.

هذا المنتدى رَأَى النّورَ أوّل مرّةٍ في بَلْدَةِ دَافُوْس السّويسريّة الجبليّة الثّلجيّة عام 1970، وحَضَرَتْهُ مائةُ شخصيّة من قطاع العلوم وإدارة الأعمال، وكانت المبادرةُ شبهَ شخصيّة على ما يبدو، وَخَلاَ أوّلُ اجتماعٍ من جدولِ أعمالٍ محدّدٍ حيث كان الطّابعُ التّشاوريّ هو الغالبُ عليه.

وَدَعُونَا نفترضُ أنّ بدايةَ هذا المنتدى كانت بريئةً للغاية، وأَنَّ نيّةَ القائمين عليه ظَلّتْ لِعَدَدٍ من السّنوات صافيةً صفاءَ اللّبن النّازِلِ للتّوِ من ضَرْعِ بَقَرَةٍ سويسريّة حَلُوب، لكنَّ التّحولاتِ التّي طرأت بعد ذلك غطّت على كلّ براءة مفترضة، لأنَّ هذا المنتدى صارَ مناسبةً تلتقي فيها نخبةٌ مختارةٌ من أغلبِ دول العالَم، هي في الغالبِ من يصنعُ السّياسةَ والاقتصادَ، ويحرّكُ عَجَلَةَ العولمة بكلّ جوانبها.

وهكذا... إذا كان المشاركُ من الدّول الكبرى المؤثّرة والشّمال الغنيّ، فهو مهندسٌ فعليٌّ ومُسَاهمٌ أساسيٌّ في حركة هذه العولمة، وإذا كان من الدّولِ التّابِعَةِ الفقيرةِ أو تلك التّي تُسمّى مجاملةً دُوَلاً ناميةً، فهو وقودٌ تلك العولمة عبر تسخيرِ ثرواتِ وخيراتِ بلاده لأَرْبَابِ العولمة، وإنهاك طاقات شعبه بتطبيق سياساتٍ تُسمّى إصلاحاتٌ اقتصاديّةٌ تَصُبُّ في مَسَارِ هذه العولمة، أو فتح حدودٍ ومجالاتٍ دون تَكَافُؤٍ حقيقيّ، وهو ما يُسمّى شراكة اقتصاديّة وتجارة حرّة تميلُ فيها كَفّةُ الشّماليّ على الجنوبيّ، فيقضي من خلالها على بقايا صناعته الوطنيّة وشركاته العموميّة، ويحوّلُه مع مرور السّنين إلى مستهلكٍ يوفرُ فرصَ العملِ ويحرّكُ دواليب اقتصاد غيره..!!!

في تعليقٍ له أثناء جلسة الافتتاح ذَكَرَ مؤسّسُ ورئيسُ منتدى دَافُوْس أَحَدَ الزّعماء العرب بخير وقال إنّه كان يتطلّعُ إلى رؤيةِ دَافُوْس في منطقة الشّرق الأوسط وهاهو حُلُمُهُ يتحقّقُ، وتَحَدّثَ زعيمٌ عربيٌّ آخر عن الإصلاحات الاقتصاديّة في بلاده وفَصَّلَ في ذلك بلهجةِ الوَاثِقِ من نفسه، ودَعَا العالَمَ إلى قضايا ومسائل وحقوقٍ على طريقةِ الزّعماء الكبار..!!

ونَسِيَ الرّجل، أو تَنَاسَى، أَنَّ وراء زعماءِ الدّول الكبرى شعوبٌ ومؤسّساتٌ ونخبٌ واعيةٌ.. وهم يتحدّثون وينظّرون ويوجّهون..

وعندما يتحدّثُ بعضُ زعمائنا فإنَّ رصيدَهم الطّويل من الحكم الفاسد وإدمان الفشل يسبقُ كلامَهم وخطاباتهم المزركشة..!!

إنَّ الحديثَ عن الاقتصاد والخَصْخَصَةِ ومعدّلات النّمّو والطّاقة البديلة والاحتباس الحراريّ وتحدّيات البيئة، يظَلُّ نوعًا من التّرف الذّي تفصلنا عنه مسافاتٌ طويلةٌ من التّخلّف الإداريّ والسّياسيّ، والجفاء الشّديد بين أغلب حكومات العالم العربيّ والحكم الرّاشد والدّيمقراطيّة الحقيقيّة التّي تقتضي في أبسط معانيها تَدَاوُلاً سلميًّا حقيقيًّا على كراسي الحكم والمسؤوليّة، وفَصْلاً كاملاً بين السّلطات.

وفي السّياق... يُؤْثَرُ عن المَهَاتْمَا غَانْدِي، زعيم النّضال والاستقلال الهنديّ، قوله: "إنّني لا أريدُ أن ترتفعَ الجدرانُ من كلّ جانبٍ حول بيتي، ولا أن يُحْكَمَ إغلاقُ نوافذي، إنّني أُريد أن تَهُبّ ثقافةُ كلّ أرضٍ حول بيتي بأقصى قَدْرٍ من الحريّة، لكنّني أرفضُ أن تقتلعني ريحُ أيّ منها من جذوري".

وهكذا ينبغي أن نكون: سماءٌ مفتوحةٌ وجدرانٌ غير مرتفعة، وأهلاً وسهلاً بمائة منتدى مثل دَافُوْس، ومائة ألف منظمّة مثل صندوق النّقد الدّوليّ والبنك الدّوليّ وغيرهما... يتقدّمون بنصائحهم ويطرحون أفكارهم ونظريّاتهم للحاضر والمستقبل..

لكن... بِشَرْطٍ وَاحِدٍ هو أن تكون حصونُنا وقلاعُنا قويّةً من الدّاخل، وثقافتُنا في أحسن تجليّاتها و أزهى صُوَرِها..؟؟

إنّ مشكلةَ منتدى دَافُوْس العربيّ، وما يشبهه من المؤتمرات والمنتديات، أنّه جاء نتيجةً لمقدّماتٍ طويلةٍ عبر مراحل متعدّدة، بدأت باستعمارٍ عسكريٍّ مباشر وسياسة إفقارٍ وتجهيلٍ منظّمة، ثمّ هيمنة ثقافيّة وسياسّية وإعلاميّة في دول ما بعد الاستقلال.

وعندما صِرْنَا أشبه بذلك الرّجل المثقل بالأسقام والأمراض والعلل، جاءت نصائحُهم ومؤتمراتُهم ووصفاتُ علاجهم من منابرهم العاليّة، وهاهم يَحْضُرُونَ هذه المؤتمرات وظهورهم محميّةٌ ودولهم في أحسن حالاتها، وهكذا تبدو خُطَطُهُم هجوميّة واضحة المعالم، فيما نحن مُحَاصَرُونَ في مَرْمَانَا منذ عقود طويلة، وبالتّالي فإنّ ما يُطبخُ في الجلسات العلنيّة والسّريّة على السّواء يسيرُ في الاتّجاه الذّي يريدون، والمصالح التّي يبغون، والعالَم الذّي يتصوّرون والثّروات التّي بها يحلُمون.

دَعُونَا أيّها الكبار نلتقطُ أنفاسنا ونصلُ إلى مستواكم لنجلسَ بعد ذلك على قَدَمِ المساواة والنّدّيّة الكاملة، لا كما يحدثُ الآن... حيث يجلسُ غنيٌّ وفقيرٌ، أو كبيرٌ وصغيرٌ، أو قويٌّ وضعيفٌ، أو متمدّنٌ ومتخلّفٌ، أو تَابِعٌ ومَتْبُوع..!!

تقولُ الحكمةُ: "نحن نميلُ إلى تصديق أولئك الذّين لا نعرفهم لأنّهم لم يخدعونا من قبل"..

فما الذّي جَرَى لأغلب نُخَبِنَا الحاكمة هذه الأيّام..؟؟

ألا يُدركون مقدارَ الخداع الذّي تورّطَ فيه القومُ ضدّنا منذ بدء حركةِ الاستعمارِ الحديث، وادّعاءاتهم بأَنّ حملاتهم العسكريّة الظّالمة تحمُل معها الحضارةَ والمدنيّةَ ومساعدةَ شعوبنا على الخروج من "دَرَكَات التّخلف والانحطاط"..؟؟

وَلَقَد اسْتَمرّ الْخِدَاعُ مَرْحَلَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَيُفْتَرَضُ أَنَّ نُخَبَنَا السّيَّاسِيّةَ الْحَاكِمَةَ صَارَتْ تُدْرِكُ بِجَلاَءٍ تَامٍّ أَنَّ الْقَوْمَ مُخَادِعُونَ، أَوْ "بَرَاغْمَاتِيُّونَ" عَلَى الْأَقَلّ، لاَ تَعْنِيهِمْ سِوَى مَصَالِحِهِمْ وَلاَ يُشْبِعُ نَهَمَهُمْ شَيْءٌ، وَلاَ يَقِفُ فِي وَجْهِ مَطَامِعِهِمْ وَازِعٌ مِنْ دِينٍ أَوْ بَقَايَا خُلُقٍ كَرِيم.

2008-05-22

"طُزّ" فِي الْجَزِيرَةِ وَأَخَوَاتِهَا

أحداثٌ مؤسفةٌ شهدتها منطقةُ سيدي إيفني بالجنوب المغربيّ، فغطّت قناةُ الجزيرة الفضائيّة القطريّة تلك الأحداث كأيّ قناة تحترمُ نفسها، وبثّت بالتّالي خبرًا تحدّثَ عن سقوط قتلى برصاصِ قوّاتِ الأمن المغربيّة، وبثّت في المقابل نَفْيَ الجهات الرّسميّة المغربيّة لذلك، وآوى حسنُ الرّاشديّ، مديرُ مكتب الجزيرة في الرّباط، إلى فراشه آمنا مطمئنًا، فما قامَ به هو واجبُ كلّ صحفيّ يدركُ جيّدًا أصولَ وثوابتَ مهنة المتاعب.

الأيّام التّالية لم تحمل ما يسرّ لمكتب الجزيرة في الرّباط، فالاستياءُ المغربيّ الرّسميّ من تغطية تلك الأحداث كان أكبر من المتوقّع، حيث تمّ سحبُ الاعتماد الصّحفيّ من الزّميل الراشديّ، ومن ثمّ ملاحقته قضائيا بتهمة نشرِ خبرٍ زائف، وزادَ الطّينَ بِلَّةً ذلك التّوترُ الذّي بدأ يتّسعُ بين قناة الجزيرة والسّلطات المغربيّة إثر منع الأخيرة بثّ النّشرة المغاربيّة من الرّباط قبل فترة، دون إبداء أسباب واضحة ومحدّدة..؟؟

الحالةُ المغربيّة مع الجزيرة هي نموذج لتصرّف بعض الحكومات العربيّة مع وسائل الإعلام، والفراغ الذّي ما زال قائمًا في فهم الظّاهرة الإعلاميّة المتسارعة وأبعادها المختلفة في عصر الفضائيات والانترنت، وشيوع المعلومة ووصولها إلى القاصي والدّاني في الوقت نفسه، وبالحجم ذاته وبالدّقة عينها.

إنّ فكرةَ تغطية الشّمس وحجبها عن الأنظار في وضح النهار لم تَعُدْ ممكنةً، ومن يتصوّرُ ذلك في أيّامنا هذه فما عليه إلاّ أن يخجلَ من نفسه لأنّه، ببساطة شديدة، يعيشُ في زمنٍ غير زماننا، وبوعي متأخّرٍ جدًا عن وعي حاضرنا، وبطريقة تفكيرٍ تُجَافِي تقنيات عصر المعلومات الذّي نعيشُ أَوَّلَ سنواته... لأنّ القادمَ في هذا الشّأن أعظم.

إنّ كثيرا من وسائل الإعلام العربيّة والأجنبيّة لها أجنداتٌ وأهدافٌ خاصّة، ولها مخطّطات وبرامج خفيّة وأخرى علنيّة، ولا ضيْر في ذلك أو لا مفرَّ لنا من هذا الوضع على الأقلّ، فنحن في عالَم مفتوحٍ ومكشوفٍ على بعضه البعض، وصراعُ البقاءِ والسّيطرةِ فيه صارَ باديًا للعيان، وقد نشاركُ في ذلك بشكلٍ أو بآخر، لأنّ بلداننا أعضاء في منتديات عالميّة وإقليميّة، وتسارعُ بعض حكوماتنا إلى عضويّة هذه المنظّمة أو تلك، مع علمها السّابق بأهدافها المشبوهة وأدوارها التّي لا تخدم إلاّ مصالح الأقوياء، والأقوياء فقط..!!

علينا أن ننظرَ إلى أوضاعنا وظروفنا الدّاخليّة، وحصوننا الوطنيّة، وننتبهَ إلى الثّغرات التّي تظهرُ من هنا وهناك في بنيتنا الثّقافيّة، ووعينا العام وذاكرتنا الجمعيّة، وولاء شبابنا

وجيلنا الصّاعد لبلاده وقيادته الصّادقة وتراثه ومكتسبات عقود الاستقلال، وننظر في الوقت نفسه إلى مستوى معيشة شعوبنا، ومدى تَناسُبِ اقتصاداتنا وإمكانيّاتنا وثرواتنا مع أوضاعنا وحجم وشكل وطعم وسعر رغيف خبزنا..؟؟

علينا أن نبنيَ جبهتَنا الدّاخليّة ونقوّيها جيدًا، فيكون الأمنُ والأمانُ كالهواء يتنفّسُه الجميعُ مهما اختلفت مشاربهم وأفكارهم، ومهما جاهروا بهذا الرّأي أو ذاك، ومهما اختلفوا مع صاحب الأمر والنّهي أو اتّفقوا... شرط أن لا يتجاوزوا المصلحة الوطنيّة العليا المتّفق عليها، والثّوابت العامّة التّي تقرّرُها الأمّة، لا تلك الثّوابت أو المصالح التّي تُقاس وتُخاط لكلّ مرحلة.

علينا أن نبنيَ بلداننا ونصلَ بها إلى الحدّ الأدنى، على الأقلّ، من المدنيّة والرّقيّ والخدمات والرّخاء الاقتصاديّ ووفرة الوظائف والمساكن والمواصلات، والدّخل الفرديّ المحترم والقدرة الشّرائيّة المناسبة التّي توفّرُ الكرامةَ لكلّ مواطن وتحفظُ ماءَ وجهه.

علينا أن نسعى للوصول إلى الحدّ المقبول من الحكم الرّاشد والدّيمقراطيّة الحقيقيّة والسّيادة الشّعبيّة، لتختفيَ عندها مظاهرُ الفساد والإفساد والاختلاس والنّهب والرّشاوى، ويصبحُ المواطنُ مرفوعَ الرّأس دائما، وبَاسِمَ الثَّغْرِ صباح مساء، ومرتاحَ البال وهو يدخلُ إدارات بلاده ويُقابَلُ بكلّ احترام، ويكمل معاملاته في سهولةٍ ويسر.

وَعَوْدٌ على بَدْء... إذا كان المواطنُ في المملكة المغربيّة الشّقيقة يدركُ بكلّ يقين أنّ قوات الأمن لم تطلق النّار على المواطنين في سيدي إيفني، ولم يحدث ذلك الأمر مطلقًا، ولن يحدث ذلك مستقبلاً بفعل الحزم الرّسميّ والوعي الشّعبي والتّلاحم والتّراحم بين قوات الأمن وأبناء الشعب؛ فلن يضيره أبدا ما قالت الجزيرة، بل إنّ الجزيرة هي التّي ستخسرُ مصداقيّتها أمامه.

أمّا إذا كان الأمرُ على العكس تمامًا، وهو ما لا نتمنّاه لأشقّائنا المغاربة، فالعاقلُ الحكيمُ مَنْ عادَ إلى نفسه فأصلحَ من شأنها، وانتبهَ إلى بيته فغيّر من جوهره وشكله، فالمسكن الزّجاجيّ معرّضٌ أكثر من غيره للكسر أو الرّشق بالحجارة..!!

لن يخاف النّارَ من ليس في بطنه تبن أو قشّ....

فلنتناسَى الجزيرة وأخواتها ونغضّ الطّرف عنهم.. دعوهم ينشرون ويذيعون ويعدّون التّقارير ويدبّجون إذا سمحت لهم أخلاقُهم المهنيّة بذلك، فلن يصدّقَهم أحد، وإذا تحدثَ معارضٌ عبر هذه القناة أو تلك، فلن يلتفتَ إليه أقلُّ أبناءِ الشّعبِ ذكاءً وفطنةً لأنّ الحقيقة ماثلةٌ أمامه: رخاءٌ اقتصاديّ، وأمنٌ في اللّيل والنّهار، ومشاركةٌ فعليّة في الحكم وصنع القرار.

لنتركهم وما يفعلون ما دامت بلادُنا بخير وفي خير وإلى مزيد من الخير...؟؟؟

سيتعبون يوما، ويا "جبل ما يهزّك ريح" على حدّ تعبير الرّاحل ياسر عرفات، ولنعلنها بملء أفواهنا "طزّ في الجزيرة وأخواتها"، قياسًا على عبارة "طزّ في أمريكا" التّي كان يردّدها أحدُ الزّعماء العرب..

وَلِهُوَاةِ الْمُفَارَقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فَإِنَّ كَلِمَةَ "طُزّ" تَعْنِي مِلْحَ الطَّعَام، عِنْدَ أَشِقَّائِنَا الأَتْراك.

2008-06-19

الصَّفْقَةُ وَالصَّفْعَة

طائرةٌ عموديّةٌ أمريكيّةٌ تتحطّمُ في إحدى غابات فِيتْنَام، ويَفْقِدُ عَدَدٌ مِنْ الجنود الأمريكيّين أرواحَهم.. والمهمّةُ التّي لَقوا حتفَهم من أجلها لم تكن قتاليّة، فقد غَادَرُوا بلادَهم وسَخَّرُوا قِوَاهُم وإمكانيّاتهم في رحلةِ بحثٍ عن رُفَاتِ زملاء سابقين لهم ظلّوا مفقودين منذ حرب فيتنام التّي انتهت عام خمسة وسبعين من القرن الماضي، وَمَثّلَتْ نَكْسَةً نفسيّةً وعسكريّةً وسياسيّةً للولايات المتّحدة الأمريكيّة.

الواقعةُ كانت قبل عدّة سنوات فقط، وعندما قرأتُ الخبرَ حينها قفزَ إلى ذهني مباشرةً سببُ تعلّقِ أغلب الأمريكيّين بدولتهم وحكوماتهم المتعاقبة، واستعدادهم دائمًا للتّضحيةِ والفداء لتظلّ الولاياتُ المتّحدةُ قويّةً ورائدةً، وقلتُ لنفسي: ما الذّي يمنعُ الأمريكيّ من الموتِ عِشْقًا وهُيَامًا ببلاده..؟؟

لا مانعَ لديه فهو يعلمُ عِلْمَ اليقين أنّها ستحميه، وتدافعُ عنه وهو في آخر أقطار الدّنيا...

والدّلائلُ والشّواهدُ على ذلك كثيرة، ومنها الذّي بين أيدينا:

حربٌ انتهت منذ سنين طويلة، لتظلّ الذاكرةُ الأمريكيّةُ حيّةً تبحثُ عن رفاتِ أيِّ مفقودٍ لِيَعُود، ولو بعد سنوات طويلة، ملفوفًا بالعلم الأمريكيّ، ويدفنَ في أرضِ الوطنِ بحضور الأقارب والأصدقاء..!!

اليابان أيضا... ظلّت ترفضُ إقامةَ علاقات دبلوماسيّة مع كوريا الشّماليّة ونظامَ بْيُونْغْ يَانْغْ، حتّى تُقَدِّمَ الأخيرةُ معلوماتٍ كاملةً بشأن خطفِ اثنيْ عشر مواطنًا يابانيًّا خلال السّبعينيّات والثّمانينيّات من القرن الماضي، وهي قضيّةٌ عاطفيّةٌ جدًا بالنّسبة لليابان حكومةً وشعبًا..

نعم... يريدون معلوماتٍ تفصيليةً فقط، لأنّ المخطوفين ليسوا على قيد الحياة بطبيعة الحال، أمّا لو كانوا أحياءً فالأمر سيختلف تمامًا، والمطالبةُ اليابانيّةُ ستكون بشكلٍ آخر دون أدنى شك..؟؟

وأيضا... مجموعةٌ فرنسيّةٌ ترفعُ لافتةَ العمل الخيريّ وحماية الطّفولة الأفريقيّة المعذّبة يتمّ ضبطها في دولة تشاد أثناء محاولةٍ لتهريبِ مجموعةٍ من أطفالِ لاجئي دارفور السّودانيّين، ويثبتُ القضاءُ التّشاديُّ التّهمةَ ويصدرُ أحكامًا...؟؟

لكنّ الرّئيسَ الفرنسيَّ نيكولا ساركوزي يضعُ الأمرَ على رأس أولويّاته، ويصلُ بكامل قواه العقليّة والبدنيّة والنّفسيّة والعسكريّة إلى العاصمة التّشادية انْجَامِينَا، ويرافعُ هناك من أجل مواطنيه رغم بشاعة الجريمة، وبعد مدّة قصيرة يصلُ هؤلاء إلى باريس معزّزين مكرّمين..!!

والرئيسُ الفرنسيّ نفسه، ورغم أجندته الحُبْلَى بكلّ شيء بعد ترأُّس بلاده للاتّحاد الأوروبيّ، يجدُ وقتًا ليقفَ مع ابنة الرّهينة الفرنسيّة الكولومبيّة إنغريد بيتانكور وهي تتحدّثُ لوسائل الإعلام بعد الإعلان عن إطلاق منظّمة فَارْكْ الثّوريّة الكولومبيّة سَرَاحَ أمّها، حيث كانت محتجزةً مع رهائن آخرين لمدّة ستّ سنوات.

سَارْكُوزِي أيضا كان في استقبال السّيدة بيتانكور في باريس حين وصلت بعد ذلك على متن طائرة فرنسيّة خاصّة، وبرفقتها وزير الخارجيّة الفرنسيّ برنار كوشنر.

هذا غيضٌ من فيض، لأنّ الواقعَ الذّي تعيشُه الدّولُ التّي تحترمُ نفسَها مليءٌ بقصصٍ طويلة وملاحم متنوّعة، وجهود متواصلة تسهرُ عليها حكوماتٌ التحمتْ مع شعوبها، وآمنتْ أنّ التّفريطَ في ظُفْرِ مواطنٍ واحدٍ فقط يفقدُها مبرّرَ وجودها، ويسقطُ عنها ألقابَها ونياشينها، ويجعلُ أساطيلَها وأجهزتَها الأخطبوطيّة بلا طعمٍ ولا لونٍ ولا رائحة.

الحديثُ عن كرامةِ المواطن خاصّة في الدّول الأوروبيّة يصيبُنا نحن مواطني العالَم العربّي بالكآبة والإحباط، خاصّة عندما يقفزُ تفكيرُنا إلى المقارنة بما عندنا وكيف يُعامَلُ المواطنُ العربيُّ، وكيف تحرصُ حكوماتُنا "الرّشيدة" عليه وعلى حقوقه في الدّاخل والخارج...؟؟؟

تلك المقارنةُ تجعلُنا نفقدُ الأملَ في كثيرٍ من الأحيانِ بعد أن ندركَ البَوْنَ الشّاسِعَ بين وضع المواطنِ العربيّ ونظيره الأوروبيّ، وتدفعُ تلك المقارنةُ الكثيرين أيضا إلى تشبيه بلادنا العربيّة بحالة المريض الذّي لا يُرْجَى بُرْؤُهُ، ولا تلوحُ في الأُفُقِ بوادرُ علاجٍ لمرضه المزمن..!!!

ومع حجم الإحباط العربيّ يلوحُ في الأفق هذه الأيّام شعاعُ أملٍ جديدٍ بعدما فرضت صفقةُ تبادل الأسرى بين حزب الله اللّبنانيّ وإسرائيل نفسَها، وراحت وسائلُ الإعلام العربيّة والدّوليّة تتداولُ أخبارَها وتُحَلِّلُ أبعادَها وتستقرئُ تفاصيلها، وتستشرفُ آثارَها المستقبليّة على صراع الدّولة العِبْرِيَّةِ مع الشّعوب العربيّة الرّافضة لوجودها وشرعيّتها.

الصّفقةُ كانت صفعةً قويّةً للمهرولين والمطبّعين، ولجهودهم وخطاباتهم وجولاتهم وابتساماتهم في المؤتمرات والمنتديات العالميّة...

محاولاتُ سنين طويلة نُسفت وطارتْ مع الرّياحِ أو تبخّرت مع حرارةِ الصّيفِ بعد أوّلِ خبرٍ تسرّبَ عن صفقة التّبادل، لأنّ الذّاكرةَ العربيّةَ عادت مباشرةً إلى أيّام العزّ، وقفزتْ تلك العبارةُ القديمةُ الجديدةُ إلى الأذهان: ما أُخِذَ بِالْقُوَّةِ لاَ يُسْتَرَدُّ إِلاَّ بِالْقُوَّة.

الصّفقةُ تشملُ عددًا كبيرا من الأسرى وجثامين الشّهداء لكنّ أبرزَهم على الإطلاق الشّهيدة دَلاَل المُغرَبي، تلك البطلةُ التّي مثّلَ جيشُ الاحتلال بجثّتها، ثمّ سَجَنَهَا بملابسها العسكريّة في ثلاّجةٍ منذ أكثر من ثلاثين عامًا، والأسيرُ سمير القنطار بطلُ عملية "نهاريا" الشّهيرة، حيث قضى في سجون الاحتلال ما يقارب الثّلاثين عامًا صامدًا ثابتًا، بَلْ وَدَارِسًا متعلّمًا، حيث حصلَ على عدد من الدّرجات العلميّة عبر الدّراسة عن بعد.

الصّفقةُ أعادتْ إلينا بعضَ الكرامة المفقودة، ونطقتْ بلغةٍ فصيحة بيّنة لتقولَ إنّ المواطنَ العربيَّ يستحقُّ أن تكون له كرامةٌ وقيمة، وإنّ المناضلَ العربيَّ الأَسيرَ لم يعد شيئا من سَقْطِ المتاع على موائدِ المفاوضاتِ المخزيّة، وإنّ تلك الدّولةَ التّي ظنّت نفسَها لا تقهر وأقسمت بأغلظ ما عندها من الأيمان أنّ سمير القنطار لن يرى نورَ الحرية؛ هاهي تَخْرِطُ القَتَادَ وَتَلْعَقُ شَوْكَه.

صفقةُ تبادل الأسرى بين حزب الله اللّبنانيّ وإسرائيل ستنعكسُ إيجابًا على ذاكرة أجيالنا العربيّة الصّاعدة، وستبعثُ صورةً جديدةً للعزّة والكرامة تمحو تلك الصّورَ الباهتةَ للمواطنِ والمناضلِ العربيّ التّي صنعتها سنواتُ الاستسلام العجاف.

والصّفقةُ صَفْعَةٌ لنا جميعا لندركَ مقدارَ القوّةِ التّي نمتلكُها؛ فحزبٌ عربيٌّ في بلد صغير رَفَعَ الرُّؤوسَ في زمن الهزائم، فكيف لو كانت الجهودُ أكبرُ وأشمل..؟؟ **وَكَيْفَ لَوْ وَقَفَتْ وَرَاءَهَا حُكُومَاتٌ عَرَبِيَّةٌ مُنْتَخَبَةٌ تُمَثِّلُ شُعُوبَهَا أَحْسَنَ تَمْثِيلٍ، وَتَعْرِفُ مَصَالِحَهَا تَمَامَ الْمَعْرِفَة، وَتُدَافِعُ عَنْهَا بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيس.**

2008-07-10

هَلْ انْتَهَى الْحُلُمُ الْجَمِيل..؟؟

أيّامُ الدّيمقراطيّةِ الموريتانيّةِ كانت قصيرةً جدّا وطويلةً جدّا في نفس الوقت.. فالحائفون المتوجّسون من كلّ تجربةٍ ديمقراطيّة بَدَتْ لهم تلك الأيّامُ طويلةً ثقيلةً كأنّها ألف عام.. والفرِحون بالدّيمقراطيّة مضت الأيّامُ نفسُها عليهم كلمح البصر أو أقلّ من ذلك، وربّما كانت بالنّسبة إليهم أشبه بالحلم الجميل الذّي يمرّ بأحدنا خلال إغفاءة خفيفة في مكان شاعريّ هادئ.

الخوفُ من تلك الأيّام الدّيمقراطيّة والتّرحيب بها كان في الدّاخلِ والخارجِ على حدّ سواء، فكما عرفتْ موريتانيا طوائفَ ونخبِ المرحّبين والخائفين؛ شهدتْ الدّولُ العربيّةُ المشابهةُ للحالةِ الموريتانيةِ أيضًا المفارقةَ نفسَها، فظهرَ المرحّبون المشجّعون المتفائلون المستبشرون، وامتلأت قلوبٌ أخرى بالخوف والتّوجّس والشّك والتّشاؤم، وتحركتْ جهاتٌ في الخفاءِ لتتربّصَ بتلك التّجربةِ الفتيّة، وتحاولُ إطفاءَ شمعتها بشكلٍ أو بآخر، وتنهي ذلك الحلم الجميل الذّي راودَ السّوادَ الأعظمَ من الجماهير العربيّة بين المحيط والخليج.

سيناريو الأحداث كان قصيرًا، والمشاهدُ كانت خاطفةً عندما نقيسُها بأعمار الدّول والحكومات، والانطلاقةُ كانت مع انقلابِ ذلك الرّجل الذّي بدا طيّبًا لأوّلِ وهلةٍ ورحلَ طيّبًا، وهو العقيد أعلي ولد فال حين أَطَاحَ في الثّالث من شهر أوت / أغسطس عام 2005 بالضّابطِ السّابقِ الرّئيس معاوية ولد الطّايع الذّي تجاوزتْ سنواتُ حكمه لموريتانيا العشرين عاما، ولم يكن هناك ما يبشّرُ باستعداد الرّجلِ، على غرار أشباهه في عالمنا العربيّ، للتخلّي عن الكرسيّ وفكّ ذلك الارتباط الحميم معه..!!

ومع أنّ الانقلابَ يظلُّ انقلابًا مهما كانت النّوايَا الحسنة التّي تقفُ وراءه؛ فإنّ العقيد "ولد فال" ومجلسَه العسكريّ لم يُقَابَلْ بذلك الرّفض الكبير، ربّما لأنّه انقلبَ على رئيسٍ فرديّ كان حكمُه سيطول ويتواصل على شاكلةِ ما يحدثُ في دول عربيّة أخرى، كما أنّه عمل تحت مسمّى "المجلس العسكريّ للعدالة والدّيمقراطيّة"...

والعدالةُ والدّيمقراطيّةُ كلمتان جميلتان تغريان الجميعَ بالاستماعِ إلى كلّ من اتّخذهما لنفسه شعارًا، كما دأبَ الرّجلُ من البداية على طمأنة الموريتانيّين حين تكرّرت وعودُه بالعودةِ إلى الشّعبِ والاحتكامِ الصّادقِ إلى الصّندوقِ الشّفّاف.

وتمرُّ الأيامُ سريعةً أو بطيئةً، حسب نظرتنا إليها، وتكتملُ الصّورةُ الشّكليّة للعمليّة الدّيمقراطيّة في موريتانيا بعد أن جرتِ الانتخاباتُ الرئاسيّةُ النّزيهةُ دون رئيسِ المجلسِ

العسكريِّ للعدالةِ والدّيمقراطيّةِ العقيد أعلي ولد فال... هذا الذّي أعلن انسحابَه من المسرح السّياسيّ مباشرة بعد تسلّم الرّئيس المنتخب لمقاليد الأمور في البلاد، ويكونُ بذلك قد أضافَ صفحةً زاهية الألوان إلى تاريخ حكوماتنا العربيّة المعاصرة، بعد تلك الصّفحة الزّاهية الأولى التّي رَسَمَهَا المشيرُ عبد الرّحمان سوار الذّهب، ذلك العسكريّ السّودانيّ الذّي سلّمَ الحكمَ للمدنيّين بعد عامٍ من انقلابه على الحكومة في السّودان مطلع الثّمانينيّات من القرن الماضي.

لقد كانت لوحةً رائعةً فاتنةً تشدّ النّاظرين، رغم أنّ رسّاميها انقلابيّون.. واستبشرتْ طلائعُ الشّعوبِ العربيّةِ ونخبُها الواعيّةُ خيرا بالمستقبل العربيّ، وبدأَ التّفاؤلُ يغلبُ التّشاؤمَ، وكثرتْ أحلامُ النّومِ واليقظةِ في سنواتٍ قادمةٍ تظلّلُ خلالها الدّيمقراطيّةُ والحريّةُ والعدالةُ جميعَ الدّول العربيّة بعد تجربة موريتانيا في أقصى الغرب، وأيقنَ الكثيرون أنّ دولةَ الحكمِ الرّاشدِ آتيةٌ لا محالة، وكيف لا يحدثُ ذلك وهاهي مجموعةٌ من العسكريّين في موريتانيا "تدوسُ" على كلّ مخلّفات الوصاية والسّيطرة و"الأبوّة"، وتسلّمُ الحكمَ للمدنيّين.

تسلّمَ المدنيّون السّلطةَ، أو ما بدا منها على الأقلّ، وظهرتِ التّجربةُ الدّيمقراطيّةُ حيويةً ونشيطةً من أوّل أيّامها، ولم تَسْلَمْ من التّطاحنِ والتّشاحنِ، وتجاوزت التّجاذباتُ السّياسيّةُ والاتّهاماتُ المتبادلةُ الحدودَ, وتعالتِ الأصواتُ بالتّحذيرِ من انسدادٍ سياسيٍّ قريب، وحاولَ الرّئيسُ أن يستخدمَ صلاحياته في العزلِ والتّعيينِ كما يفعلُ أقرانُه في الدّول الدّيمقراطيّة، لأنّه يمثّلُ الشّعبَ وسيادةَ الأمّة... وعندما أقدمَ على ذلك سارعتْ مجموعةٌ عسكريّةٌ إلى إيقافِ لقطاتِ ذلك الفيلم أو الحلم الجميل، واستيقظَ الطّيّبون والمتفائلون على الحقيقة المرّة وهي أنّ الديمقراطيةَ لا تأتي هكذا بقرارِ رجلٍ عسكريٍّ أو مدنيٍّ مهما كانت درجة نظافته وإخلاصه للوطن، لأنّ الطّريقَ الأصوبَ هو تعميقُ

ثقافةِ الدّيمقراطية، وقبول الاختلافِ مع الآخر والتّعايش معه، والتّوبة الصّادقة والبراءة التّامة من بقايا أفكار الوصاية على الوطن تحت أيّ شعارٍ أو مسمّى أو مبرّر.

جاء يومُ الأربعاء السّادس من أوت / أغسطس 2008 ليعودَ السّؤالُ مرّة أخرى، وبغضّ النّظر عن كلّ النّوايا الطّيّبة:

من أعطاك الحقّ في أن تنقلبَ على حكومةِ مؤسّساتٍ منتخبة ديمقراطيًّا...؟؟؟

وكيف سمحتَ لنفسك بالحديثِ نيابةً عن الشّعبِ والدّفاع عنه بهذا الانقلاب العسكريّ...؟؟؟

وحتّى لو كان الإجماعُ، أو شبه الإجماع، قائمًا على إدانة الرّئيس المنتخب لسبب أو لآخر، وأنّ تصرّفاته فعلا ضدّ الأغلبيّة البرلمانيّة؛ فإنّ الأمرَ لا يستسيغُ تغييرًا بالدّباباتِ والمدافعِ والرّشّاشات، فالرّجلُ جاءَ عبر صندوقِ انتخاب، وذلك الصّندوقُ وحده هو الكفيلُ بإخراجه من القصر الرّئاسيّ، وإعادته إلى بيته غير مأسوفٍ عليه إذا كان فعلاً قد حاولَ قيادةَ البلاد نحو الهاويّة.

إِنَّ الانْقِلاَبَاتِ فِي زَمَنِ سِيَادَةِ الشُّعُوبِ مُدَانَةٌ حَتَّى لَوْ أَطْعَمَ أَصْحَابُهَا الْمُوَاطِنِينَ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ صَبَاحَ مَسَاء، وَحَتَّى لَوْ أَوْصَلَتِ النَّظِيفَ الْعَفِيفَ الشَّرِيفَ إِلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ...

فهي عودةٌ، في العالَم العربيّ، إلى سنواتِ الخمسينيّاتِ والسّتينيّاتِ من القرنِ الماضي، بينما نعيشُ زمنًا تتطلّعُ فيه شعوبُ العالَم المتمدّن إلى المستقبل، وتضعُ الخططَ الاستراتيجيّة لعشرات، وربّما مئات السّنين، بفضل الاستقرار ودولة المؤسّسات التّي لا تزولُ بزوالِ الرّجال.

2008-08-14

أَزْمَتُهُم وفُرْصَتُنَا

الأزمةُ الماليّةُ الحاليّةُ ستنهي سيطرةُ الولايات المتّحدة الأمريكيّة على مفاصل الاقتصاد العالميّ.. بهذا تحدّثَ الكثيرون خلال هذه الأيّام، وتفاءَلَ آخرون بأكثر من ذلك حيث رأوا في هذه الأزمة نُذُرَ شؤمٍ على القوّةِ العسكريّةِ والسّياسيّةِ الأمريكيّةِ، وبدايةَ التّلاشي التّدريجيّ لسيطرةِ القطبِ الواحدِ الذّي أدارَ النّظامَ العالميَّ بعد سقوط الاتّحاد السّوفيتيّ.

تطوّراتُ هذه الأزمة وتداعيّاتُها ربّما كانت مفاجئةً لغير المتابِعين، لكنَّ خبراءَ الشّؤون الاقتصاديّة كانوا قد حذّروا من وقوعِ هذه الأزمة منذ بدأت مشكلةُ الرُّهُون العقاريّة تَطْفُو على السّطحِ في الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ عام 2007.

ومرّت الشّهورُ لتكشّرَ الأزمةُ عن أنيابها هذه الأيّام حين راحتْ تهدّدُ الاقتصادَ الأمريكيَّ بآثارٍ سلبيّةٍ كارثيّةٍ على المدى المتوسّطِ والبعيدِ تتراوحُ بين التّضخّمِ والكسادِ وعدمِ الثّقةِ، ما يجعلُ السّمعةَ الأمريكيّةَ برمّتها على المحكّ حسب رأي البعض، وبالتّالي خسارة كبيرة للولايات المتّحدة حتّى لو حاولتِ الاستفادةَ من دروسِ الأزمة وتجاوزَها بشكلٍ أو بآخر.

ويرى بعض الخبراء أنّ الأزمةَ الماليّةَ الرّاهنةَ تنبّئُ عن انهيارٍ قريبٍ للنّظامِ الرّأسماليّ، وبالتّالي، حسب نظر هؤلاء، فإنّ الحلولَ التّي تطرحُها إدارةُ جُورْج بُوشْ هي حلولٌ مؤقّتةٌ ولا تهدفُ إلى أكثر من طَمْأَنَةِ البورصاتِ الأمريكيّةِ والعالميّة..؟؟

الأزمةُ بدأتْ أمريكيّة بامتياز، وقد تمتدُّ آثارُها إلى أوروبا وبعض القطاعات الماليّة في آسيا، لكنَّ الإعلامَ العالميَّ يحاولُ نشرَ الذّعرِ وبثَّ الخوفِ في النّفوس عبر وَسْمِهَا بالأزمة الماليّة العالميّة، والمؤسفُ أنّ كثيرا من وسائل إعلامنا العربيّة تردّدُ هذا الزّعم، والنّتيجةُ هي محاولةُ فرضِ الأزمة علينا كما فرضُوا على حكوماتِنا في السّابقِ مشاريعَ وتوجّهات وحروبًا لا ناقةَ لنا فيها ولا جَمَل.

الأزمةُ في أساسِها جَشَعٌ واستغلالٌ و"تَطَرُّفٌ رأسماليّ"، وحريّةٌ ماليةٌ حيوانيّةٌ لا يضبطُها وازعٌ من خلق أو ضمير، ولا ترى أمامَها إلاّ الرّبحَ والتّوسع..!!!

وقد بدأتْ أزمةُ الرّهونِ العقّاريّةِ في الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ عندما ورّطتْ البنوكُ أعدادًا كبيرةً من العائلات هناك، وأَقْرَضَتْهَا دون ضمانٍ حقيقيّ، فصارتْ تمتلكُ منازلَ عبر قروضٍ عالية الفائدة، وعندما عجزتْ تلك العائلاتُ عن تسديدِ الدّيون وفوائدها تنازلتْ عن تلك المنازل، وعجزتِ البنوكُ عن بيعها لأنّ ميزانَ العرضِ والطّلبِ

قد اختلّ بشكلٍ غير مسبوق... وهكذا وصلَ القومُ في أمريكا إلى حافّة الانهيار الماليّ، وشرعوا في رسمِ خططِ إنقاذ لاقتصادهم المهدّد بالإفلاس.

الأمريكان على عادتهم في قضايا أخرى قد يطلبون من دولنا، خاصّة الغنيّة منها، التّدخّلَ والمساعدةَ بشكلٍ أو بآخر على أساسِ أنّ الأزمةَ الماليّةَ ستطالُ الجميع، وقد أشارَ إلى هذا الأمر صراحةً رئيسُ الوزراء البريطاني غوردون براون، نيابةً عن حلفائه على ما يبدو، حيث قال: "لا بدّ من دعمٍ عالميٍّ لخطّة الإنقاذ الماليّ الأمريكيّة، والولايات المتّحدة تستحقُّ مساعدةَ دول العالَم الأخرى"..!!

والحقيقة أنّ الأمرَ لا يعنينا بشكلٍ مباشر، ولن تكون للأزمة أيّ آثار كبيرة علينا إذا أَجَدْنَا التّدبيرَ وتحكّمنا في ردود أفعالنا، وقد أحسن الرّئيسُ البرازيليّ "لويس إيناسيو لولا داسيلفا" التّعبيرَ عن هذه الحقيقة بقوله: "الولاياتُ المتّحدة تتحمّلُ مسؤوليةَ الأزمةِ الماليّةِ الحاليّة، وليس من العدلِ أن تدفعَ دولٌ في أميركا الجنوبيّة وأفريقيا وآسيا ثمنَ مسؤولياتٍ يجبُ أن يتحمّلها القطاعُ الماليّ في أمريكا الشّماليّة".

ومع هذه الحقيقة الواضحة يدفعُ سيلُ الأخبارِ العارمِ الكثيرين منّا إلى التّساؤل عن دورنا كدول عربيّة ودول عالَم ثالث في هذه الأزمة..؟؟

وهل يمكن لحكوماتنا أن تقعَ في خطيئةِ الانسياقِ وراء النّغمةِ "العالميّة"، والرّقصِ على وقعِ الإيقاعاتِ الغربيّة، والمشاركةِ في إنعاشِ "بنوك الجشع والطّمع" الأمريكيّة..؟؟

أم أنّ لدى حكوماتِنا من الوعيِ والإدراكِ والنّظرِ الثّاقبِ ما يؤهّلُها لاقتناصِ الفرصة، وإعلان الانعتاقِ والتّحررِ من العولمة الاقتصاديّة وآثارها المدمّرة على سيادتنا وأموالنا وثرواتنا وإمكانيّاتنا ومصانعنا..؟؟

الأملُ معقودٌ على حكوماتنا العربيّة في مبادرةٍ جماعيّةٍ لفكّ الارتباطِ مع الدّولارِ الأمريكيّ، وتقويّة عملاتنا الخاصّة بِنَا، وصناعة اقتصادٍ قويٍّ يعتمدُ على التّكاملِ والتّضامنِ العربيّ الكاملِ بَدَلَ الاعتمادِ على التّبعيّةِ لهذه الجهةِ أو تلك..

كيف سيحدثُ ذلك..؟؟؟

الاقتصاديّون المخلصون في بلداننا يعرفون ذلك جيدًا، ولن يُعْدَمُوا الوسيلةَ لتحقيق هذا الأمر، وما ينقصُهم فقط هو شجاعةُ صانعِ القرار العربيّ... وهاهي الفرصةُ سانحةً لِتُصْدِرَ حكوماتُنا الأوامرَ والمراسيمَ التّي تخدمُ مصلحةَ شعوبها..

يمكنها فعل ذلك بسهولةٍ ويسرٍ لأنّ زمنَ الخوفِ قد وَلّى، والمارد الرّهيب قد بدأ يعود إلى قمقمه، وفترة القوّة العارمة التّي ظهرت بها الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ بعد الحربِ العالميّةِ الثّانية قد تكون في بدايات نهاياتها هذه السّنوات.

إنّه منعطفٌ حقيقيٌّ وفرصةٌ ذهبيّةٌ فعلاً أمام حكوماتِنا العربيّة، فإذا نجحَ الدّيمقراطيُّ باراك أوباما في الانتخابات الرّئاسيّة الأمريكيّة القادمة التّي تُخيّمُ عليها الأزمةُ الماليّة الحاليّة، سيكون تركيزُ الدّيمقراطيّين على مشاكل الدّاخل الأمريكيّ، وحتّى لو وصلَ الجمهوريّ جُونْ مَاكِينْ إلى البيت الأبيض فإنّ آثارَ الأزمةِ ستجبرُ الجمهوريّين على الاهتمامِ بالدّاخلِ أكثر والتّخفيف من المغامراتِ الخارجيّة، فتمويلُ الحربِ في العراق وأفغانستان زادَ الطّين بِلّة، **والسّيَاسَةُ الْخَارِجِيَّةُ الْهَوْجَاءُ التّي اتّبَعَهَا جُورْجْ بُوشْ خِلاَلَ فَتْرَتَيْ رئَاسَتِه بَدَّدَتْ آلاَفَ الْمَلاَيِينْ مِنَ الدُّولاَرَاتْ، وَأَغْفَلَتْ فِي الْمُقَابِلِ مَصْلَحَةَ دَافِعِ الضَّرَائِبِ الأَمْرِيكِيّ.**

2008-10-09

احْذَرُوهُمْ فَهَذَا أَوَانُ ظُهُورِهِم

الأزمةُ الماليّةُ التّي بدأت، وما زالت، أمريكيّةٌ بامتياز راحت تُلقي بِظِلالَ وآثَارٍ نفسيّةٍ على كثيرٍ من دول العالَم، وأَقْمَتْ وسائلُ الإعلام الهَلَعَ في قلوبِ كثيرٍ من مالِكي الأرصدة البنكيّة والأسهم، وخيّمت بالتّالي أزمةُ الثّقةِ على عددٍ من الدّول العربيّة، وهي أخطر، في نظر الكثيرين، من الأزمة نفسها وآثارها غير المباشرة علينا.

بعضُ دولِ العالَمِ القريبة اقتصاديًّا من الولايات المتّحدة الأمريكيّة سارعتْ إلى ضخّ مبالغ طائلة في بُنُوكِهَا الكبيرة وتلك المهدّدة بالإفلاس على وجه الخصوص، أو التّي بدأ الفيروس يقتربُ منها بشكلٍ أو بآخر.

ودولٌ أخرى بعيدةٌ عن الأزمة إلى حدّ كبير بادرت القيادةُ السّياسيّة فيها إلى الإعلان عن ضمان ودائع المواطنين لدى جميع البنوك، ومن تلك الدّول استراليا التّي أعلنتْ ضمانَ الودائع لمدّة ثلاث سنوات، كما كشفتْ بعضُ الدّول عن حجم احتياطيّاتها النّقدية وأرصدتها الآمنة كنوع من بيانات الطّمأنينة للمواطنين والمستثمرين والمُودِعين.

المفارقةُ، وربّما الطّرفةُ، أنّ دولاً عربيّةً بادرتْ إلى الخطوةِ نفسِها وسارتْ على الدّرب ذاته، وأعلنتْ بشكلٍ ما أنّ ودائعَ المواطنين في أمانٍ وضمانٍ، ولا خوفٌ على أهلها ولا هم يحزنون، وفي وسعهم أن يناموا ملء أجفانهم، ويستمتعوا أيضًا بقدر كبير من ألوان أحلام اليقظة..!!

والحقيقة أنّ بعض الدّول العربيّة، وربّما إحداها وهي أوّل من أعلن هذا الأمر بشكل صريح، لها أن تفعلَ ذلك ولمواطنيها كلّ الحقّ في تصديق حكومتهم، لأنّ اقتصاد تلك الدّولة منوّعٌ وقويٌّ متماسك، ومؤسّساتُ الحكم فيها مستقرّة منذ عقود بشكل أو بآخر، حتّى لو وصفَها البعضُ بمقايضة الرّخاء بالدّيمقراطيّة، أي: أيّها الشّعب الكريم لك أن تسبحَ في بحر الشّبع والرّفاه كما تشاء، لكن: دع "القيصر" وشأنه..!!

لكنّ دولاً عربيّةً أخرى صنعتِ الموقفَ الطّريفَ فعلا، أو المقزّز كما يرى البعض، وذلك عندما يظهرُ وزيرُ الماليّة في هذه الدّولة أو تلك ليعلنَ أنّ الأحوالَ بخير وأنّ الودائعَ في أمانٍ تام، مع أنّ مشاهدَ الوقائع المرّة في بعض تلك البلاد العربيّة ما زالت حاضرةً غضّةً طريّةً في الأذهان، والروائحُ النّتنة المتسرّبة من الفضائحِ الماليّةِ ما زالت تزكمُ الأنوف، حيث أفلتتِ العقولُ المدبّرةُ وظلّ المسؤولون يتقاذفون التّهمَ حينًا من

الزّمن، ويبحثون عن ذلك المجرم الذّي غامرَ وأودعَ الأموالَ أو خاطرَ بها دون دراسة كافية..؟؟

وبعد أن تُسَوَّدَ صحائفُ كثيرةٌ وتضيعُ أوقاتٌ غاليّةٌ وتُهدرُ أموالٌ أخرى في هذا الصّدد، تُحفظُ القضيّةُ بشكلٍ ما وتُقيّدُ الجريمةُ ضدّ مجهول أو ضدّ شخص يعيشُ وراء البحار في مأمنٍ لأنّ إجراءات تسليمه، لو بدأتْ فعلا، تحتاجُ إلى عشرات السّنين..!!

والأمرُ في هذه الدّول العربيّة أدهى وأمرّ، وأعظم خطْبًا من الأموال والأرصدة، حيث الاستهتار بحياة المواطنين جهارًا نهارًا..!!!

تغرقُ باخرةٌ ويموتُ مئاتُ الأبرياء في البحر بسبب الإهمال الواضح والرّغبة في الرّبح على حساب المسافر المسكين، وتقومُ دُنْيَا الشّعب ولا تقعد، لكنّ مالكَ السّفينةِ يغادرُ البلادَ "بقدرة قادر" ويبدأُ حياةً أخرى عاديّة جدًّا في بلدان ما وراء البحار..؟؟؟

وتُعقدُ المحاكماتُ كالعادة وتتوزّعُ الاتّهامات أيضا كالعادة، لكنّ الرأسَ غائبٌ... فتغيبُ معه أيُّ إمكانيّة لكشف حقيقيّ عن الجناة والمتستّرين والمستفيدين، وهكذا لن تَمَسَّ العقوباتُ في الغالبِ إلاَّ الذّيول البعيدة، وأولئك الذّين استسلموا رغبةً أو رهبةً ونفّذوا الأوامرَ المشبوهة يومًا ما.

إنّ الضّمانَ الحقيقيَّ الذّي ينشدُه المواطنُ العربيُّ في مثل هذه الأيّام, وعند ورود مثل هذه الهواجس الاقتصاديّة، هو التّحركُ سريعًا ودون تأخيرٍ نحو دولةٍ تُظَلّلُهَا الشّفافيةُ ويُمسِي ويصبحُ مسؤولوها على الأمانة والنّزاهة، ولا ينامون حتّى يلعنوا سرًّا وجهرًا كلَّ فسادٍ وفاسدٍ ومفسدٍ وجميع مشتقّات هذه الكلمات.

إنّ الثّقةَ التّي يريدها المواطنُ العربيُّ في حكوماته ليست مجرّد كلمات تُنقلُ عبر وسائل الإعلام وتُتْلَى بدقّةٍ وإحكامٍ، لكنّه يرغبُ في أن يرى بأمّ عينيه ذلك المسؤول الذّي يُشْعِرُهُ بأفعاله أنّه جزءٌ لا يتجزّأ منه... يحسُّ بآلامه ويغنّي مع آماله، ويريدُ أن تنشقَّ

الأرضُ وتبلعَ ذلك المسؤول الذّي يزدادُ ثراءً ورفاهيةً كلّما زاد الشّعبُ فقراً وبؤسًا بعد أن تطلّ الأزماتُ وتنذر بالويلات.

إنّ المواطنَ العربيَّ في حاجةٍ إلى أن يرى ذلك المسؤول الذّي يشدُّ الحزامَ معه بصدقٍ وأمانة، لا ذلك الذّي يدعوه إلى شدّ الأحزمة وربط الحجارة على البطون لتحمّل الجوع، ثمّ يسارعُ هو في غفلةٍ من النّاس ويوسّعُ حزامَه... ليزيدَ حجمَ بطنه ويضاعفَ جَشَعَهَا..!!

في الدّول الدّيمقراطيّة التّي تحترمُ نفسَها ويعرفُ حكّامُها أنّهم "خدم لشعوبهم" يتكاتفُ الجميعُ لتجاوز الأزمة... وفي الدّول المتخلّفة تنفتحُ شهيّةُ سماسرة الأزمات: فعندما تلوحُ الأزمةُ لا يلوحُ لهم معها خيالُ طفلٍ جائعٍ أو امرأةٍ بائسةٍ أو بطّالٍ أو مُسَرَّحٍ من العمل أو فاقدٍ لأسهمه أو رصيده البنكيّ؛ إنّما يُخيّلُ لأمزجتهم الفاسدة أنَّ الوقتَ يسابقُهم والزّمنَ يلاحقُهم ولا بدّ أن يجمعوا ما استطاعوا قبل فوات الأوان...

وهي طامّة ما بعدها طامّة...

وَهَكَذَا فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ هَؤُلاَءِ السّمَاسِرَةِ، فَهَذَا أَوَانُ خُرُوجِهِمْ حَتَّى لَوْ ظَهَرُوا بِالْقُفَّازَاتِ الْبَيْضَاءِ، وَاصْطَنَعُوا الابْتِسَامَةَ الصَّفْرَاءَ، وَأَعْلَنُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحِكْمَةِ وَالْخِبْرَةِ وَالدَّهَاءِ.

2008-10-16

وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَد اقْتَرَب

كان القرصانُ المُفْتَرَضُ يُدْلِي بتصريحاتٍ عبر الهاتفِ لقناةٍ إخباريّةٍ عربيّة.. يجيبُ عن أسئلةِ المذيعةِ بجرأةٍ ووضوح... يتحدّثُ بثقةٍ عاليةٍ وهو على ظهرِ ناقلةِ بترولٍ عملاقة اختطفَها هو ورفاقُه.. استعرضَ عضلاتَه أو عضلاتِ الجهةِ التّي يمثّلُها، وطلبَ الفدية.. وأكّدَ في الأخير أنّ بحوزته آلةً لعدّ النّقودِ واكتشافِ المزوّرة منها.

العصابةُ مطمئنّةٌ ومتفائلةٌ للغاية إذن.. فبين أيدي القراصنة أحدثُ أنواع الاتّصالات اللاّسلكيّة، ويمتلكون زوارقَ سريعةً مجهزّةً بتقنيّات عاليّة الجودة، وينتظرون مبلغَ الفديةِ لِعَدِّهِ بدقّة "ورقة تنطحْ ورقة ودولار ينطحْ دولار" على حدّ تعبيرِ بعضِ الشّعوبِ العربيّة..!!

وبعد العدّ أو قبله يتأكّدُ الفريقُ أنَّ الأوراقَ الماليّةَ أصليّة، وليست مزوّرة..!!

سيفعلون كلّ ذلك وربّما يتحدّثون إلى إحدى القنوات الإخباريّة ليشكروا أصحابَ السّفينةِ المختطَفة ويودّعوهم على الهواء مباشرة، ثمّ يغادروا متى يرغبون وبالشّكل الذّي يفضّلون.. فليسوا في عجلةٍ من أمرهم، وليس وراءهم عدوٌّ شرسٌ يطاردهم ساعة بساعة..؟؟

هذا هو لسانُ حالِ القراصنةِ الصّوماليّين مع عمليّات الخطفِ التّي تكرّرت مؤخّرا في مياه بحر العرب..!!!

وبعد... لِنَدَعَ سواحلَ الصّومال وشرق أفريقيا وننتقلَ إلى أفغانستان، وهناك نستعيدُ بعض ذكريات الحربِ الأمريكيّة على طالبان والقاعدة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001...

ونتوجّه مباشرةً إلى شِقِّ الملاحقة في تلك الحرب... فملاحقةُ الأمريكيّين لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن لم تتركْ له بديلاً عن الاختفاء التّام عن الأنظار، خاصّة بعدما اشتدّت حربُ الملاحقة عليه، أو هذا ما تعلنُه القوّاتُ والمخابراتُ الأمريكيّةُ على الأقل...؟؟

لم يجدِ الرّجلُ الشّجاعُ الذّي قاتلَ الرّوسَ ببسالةٍ بُدًّا من الانسحابِ من الميدانِ في انتظارِ هدوءِ العاصفةِ الأمريكيّة، وخلال هذه الفترة اختارَ مُكْرَهًا الابتعادَ عن كلّ وسائل الاتّصالات العصريّة.

وبعد سنواتٍ من اختفاءِ "عدوِّ أمريكا" الأخطر والمطلوب رقم واحد لديها، كما تقولُ الآلةُ الإعلاميّةُ الأمريكيّةُ في العلن، تحدثتْ تقاريرُ استخباراتيّةٌ عن أنّ الرّجلَ

المطاردَ صارَ يخصّصُ جلّ وقته لأَمَنْه الشّخصيّ فقط، وأنّه يتحرّكُ مع قلّة قليلة جدًّا من أخلصِ أتباعه حتّى لا تثير تحرّكاتُه أيَّ شبهةٍ في المناطقِ الحدوديَّةِ الأفغانيّةِ الباكستانيّةِ التّي يُعتقدُ أنَّ الرّجلَ مختفيًّا فيها..؟؟

إذن.. لكي يَنْجُوَ أسامة بن لادن بجِلْدِه من ملاحقةِ القبضةِ الأمريكيّةِ ابتعدَ عن كلّ شيءٍ يربطه بالعالَم الخارجيّ، وفارقَ أنصارَه ومحبّيه، مع أنّ المنطقةَ الحدوديّةَ التّي يُفترضُ أنّه يعيشُ فيها وعرةٌ جدًّا، فهي عبارةٌ عن سلسلةِ جبالٍ متّصلةٍ ووديانٍ سحيقةٍ وغاباتٍ، وقبائل بشتونيّة مسلّحة تعلنُ عداءَها للولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتعتبرُ التّقصيرَ في نصرة الضّيف عاراً لا يُمْحَى أَبَدَ الدّهر..!!

أمّا "أعداء أمريكا" الجدد فقد ظهروا بشكلٍ آخر تمامًا... يختطفون السّفنَ نهارًا جهارًا، ويهدّدون أمنَ العالَم الطّاقويّ والاقتصاديّ، ويعكّرون صَفْوَ أَحَدِ أهمّ طرقاته وممرّاته البحريّة... ومع ذلك يتحدّثون مع القنوات الإخباريّة على المباشر، ولا يخشون الملاحقات في زمن الأقمار الصّناعيّة التّي يتبارى الشّرقُ والغربُ في إرسالها إلى الفضاء الخارجيّ..؟؟

وأيضا: على مرأى من البوارج الحربيّة الأمريكيّة التّي تجوبُ البحارَ والمحيطات، وتخشى سطوتَها دولٌ وحكوماتٌ وعروشٌ وجيوشٌ وأساطيل..!!!

عمليّاتُ الخطفِ هذه لم تكن جديدة بالكامل فقد بدأت منذ سنوات، لكنّها تطوّرتْ وتسارعتْ خلال العام الجاري، والتّناولُ السّابقُ لهذا الأمر في وسائل الإعلام كان بريئًا إلى حدٍّ كبير؛ فالصّومالُ يعاني من غيابِ حكومةٍ مركزيّةٍ قويّةٍ منذ مطلع العقد الأخير من القرن الماضي، والسّلاحُ متوفّرٌ والحروبُ تجري هنا وهناك، وطبيعيٌّ جدًّا أن يبحثَ البعضُ عن أموال عبر اختطافِ السّفنِ التّي تعبرُ قرب شاطئٍ غير محروس.

لكنّ الجديدَ هو التّناولُ الإعلاميُّ والتّهويلُ الذّي استيقظَ عليه العالَم بين عشيّة وضحاها.. فقد بدأتْ وتيرةُ التّغطيّاتِ الإخباريّةِ والتّصريحاتِ الصّحفيّةِ تتغيّر، ووجدَ العالَمُ نفسَه، أو هكذا أرادوا له، في مواجهةِ خطرٍ يهدّدُ أمنَه وهو القرصنة.. وتبارى

القومُ في تضخيمِ الخطرِ القادمِ حتّى قالتْ صحيفةٌ غربيّةٌ شهيرةٌ إنّ حركةَ القرصنة ستشهدُ تطوّرًا كبيرًا وقد يتبيّنُ لاحقًا أنّ لها علاقات بحزب الله اللبنانيّ وتنظيم القاعدة.. ولا يخفى على صاحب الذّكاء العاديّ ما في هذا الكلام من تهيئةٍ وتقديمٍ لأخبارٍ وأخطارٍ قد يعلنُها القومُ يومًا ويطلبوا منّا، أو من حكوماتِنا بالأحرى، تصديقَها والانسياقَ خلفهم فيما يريدون.

إذن هي مشكلةٌ كبرى تواجهُ العالَمَ وينبغي توحيد الجهود لمواجهتها..؟؟ هكذا تتكرّرُ النّداءاتُ والتّصريحاتُ والتّحليلاتُ الإخباريّة، **وَمَا يُؤْسَفُ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ الْعَرَبِيَّةِ تُكَرِّرُ مَا يَقَعُ تَحْتَ أَيْدِيهَا مِنَ الْمَوادِ الإِخْبَارِيّةِ التِّي تَبُثُّهَا الْوَكَالاَتُ الدَّوْلِيَّةُ**، وتؤدّي بالتّالي دور النّاقلِ أو المترجمِ فقط في تبليغ ما تريدُ جهاتٌ دوليّةٌ مُغْرِضَةٌ وصولَه إلى الرّأي العام العربيّ.

إنّ رائحةَ التآمر تُشَمُّ من مسافاتٍ بعيدة جدًّا عن السّواحل الصّوماليّة، وفي تصريحاتِ الرّئيسِ الصّوماليّ الأخيرةِ ما يكشفُ بعضَ خيوط المؤامرة؛ فالرّجلُ قد أشارَ إلى احتمالِ وجودِ عصاباتٍ دوليّة تشتركُ مع القراصنة المحليّين في ما يجري في بحر العرب.

وهكذا فإنّ منطقتنا العربيّة تقفُ أمام مَلْهَاةٍ دوليّةٍ جديدة؛ فالعقولُ المدبّرةُ في بلاد العمّ سام أدركت أنّ لعبةَ الحربِ على الإرهابِ تفقدُ بريقَها يومًا بعد يوم، ولم تعد أساليبها تنطلي على أحد.. وهكذا تقتضي معادلةُ "الحفاظ على المصالح عبر استمرار التّوتّرات" أن تبحثَ واشنطن وحلفاؤُها عمّا تشغلُ به العالَمَ عقدًا آخر من الزّمان.. فويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب إذا وقعوا في المصيدة للمرّة الخامسة، وانساقوا وراء مصالح وسياسات لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

2008-12-04

وَعِنْدَ حِذَاءِ الزّيْدِيّ انْحَبَرُ الْيَقِين

لم أستطعْ كَتْمَ مشاعري، وضحكتُ بصوتٍ مرتفعٍ عدّة مرّات عندما تابعتُ مشاهدَ الرّئيس الأمريكيّ المنتهية ولايته جورج بوش وهو يتحاشَى فردتيْ حذاء الصّحفيّ العراقيّ منتظر الزّيديّ، وبعد لحظات فقط من توقيع الاتّفاقية الأمنيّة التّي تنظّمُ وجودَ القوّاتِ الأمريكيّةِ في العراق بداية من العام القادم وحتّى رحيلها النّهائيّ.

لا أدري بالتّحديدِ معنى ما صدرَ عنّي فأنا، كما أصنّفُ نفسي، أكثرُ ميلاً إلى دائرةِ التّعقّلِ ووزنِ الأمورِ والابتعادِ ما أمكن عن المشاعرِ الآنية والثّورات الفجائيّة سواء كانت شخصيّة أو شعبيّة عامّة، وأتفلسفُ طبعا، وهو حالُ أصحابِ تلك الدّائرة، أثناءَ الحديث عن ردّ الفعل الحكيم المتعقّل المتأنّي، وقد أغفلُ حينها، كما قد يغفلُ الكثيرون أيضا، عن تلك المشاعرِ المتراكمةِ على مرّ السّنين في نفوسِ المظلومين والمكلومين والمنكوبين والمشرّدين والمهجّرين والجائعين، وكلّ ما في القاموس مما يماثلُ هذه الكلمات أو يقاربُها.

إنّ الكلامَ سهلٌ يسيرٌ بالنّسبة لأولئك الذّين يرون الجمرَ فقط، ولم يحدثْ أن اكتوَوْا به ولو مرّة واحدة... وهكذا هو الحديثُ من بعيدٍ عن مأساةِ الشّعبِ العراقيّ، فقد ينحرفُ الكلامُ في هذا السّياقِ إلى أصنافٍ من التّرفِ الفكريّ والصّناعةِ اللّفظيّة.. لأنّنا في حقيقةِ الأمرِ متفرّجون فقط، حتّى عند أقصى درجاتِ تعاطفنا وحماسنا وبكائنا..!!

أمّا غير المتفرّجين... فهم أولئك الذّين دمّرت قواتُ الاحتلال الأمريكيّ بيوتَهم وشرّدت أسرَهم ورمّلت نساءَهم ويتّمَت أولادَهم، وداستْ مقدّساتهم وحرماتهم، وحاولتْ أن تطمسَ حتّى ذلك التّاريخ وتلك الآثار التّي صمدت أكثر من سبعة آلاف سنة في بلاد الرّافدين..!!!

ولأنّهم كذلك وأيديهم في الجمر مباشرةً حُقَّ لهم أن يعبّروا بالأحذيّة، ويرجموا بها رأسَ الأفعى ويُهْدُونَه ذكرى تدخلُ معه التّاريخ من بابه الأسوأ.

قالت قلّةٌ قليلةٌ من أهلّ السّياسة في العراق إنّ رجمَ الصّحفيّ منتظر الزّيدي للرّئيس جورج بوش عملٌ هجميّ ولا يعبّر عن الأخلاق العربيّة، ونسيَ القومُ أو تناسوا أنّ زيارةَ بُوشْ إلى العراق كانت رمزًا للهمجيّة وقمّة الوقاحة والسّخرية من الآخرين، فبعد أن دمّرَ الرّجلُ العراقَ وأعادَه عقودا إلى الوراء وتسببَ في قتل مليون عراقيّ وتهجير ملايين آخرين؛ يأتي ليسدلَ السّتارَ عن دوره في تلك المسرحيّة الدّمويّة، ويختمها بمشهد تلك

الاتّفاقيّة الأمنيّة التّي تحفظُ للولايات المتّحدة وحلفائها مصالحَ عسكريّةً وسياسيّةً واقتصاديّةً أخرى..!!!

سياسيّون عراقيّون أيّدوا الاتّفاقيةَ وطبخوا بنودَها في السّر والعلن وصادقوا عليها عبر البرلمان، وبحافلُ إعلاميّةٌ مؤيّدةٌ لهم بَارَكَتِ الاتّفاقيّةَ وسوّقتْ لها طويلاً، وفي المقابلِ ظلّتِ الغالبيّةُ العظمى من أبناء الشّعب العراقيّ ترفضُ تلك الاتّفاقيّة وإن اختلفتِ التّعبيراتُ والأساليب...

حتّى جاءَ حذاءُ منتظر الزّيديّ ليمثلَ رأيَ الشّعب كلّه، وكأنّه يقولُ لجورج بوش إنّ اتفاقيّته وزيارته لا تستحقّ أكثر من رمية حذاء...

وهكذا جاءَ الحِذَاءُ بالخبر اليقين، وقذفَ بالحقيقةِ كاملةً أمام بوش والعالَم أجمع..

قرابةُ ستّ سنوات من دعاوى الدّيمقراطيّة، ودعاية التّحرير وإعادة الإعمار والعهد الجديد والمستقبل المشرق الذّي ينتظرُ العراق.. كلُّ ذلك اختصره صحفيٌّ عراقيٌّ في لحظاتٍ معدودة حين كتبَ بحذائه فأسكتَ الألسنةَ عن التّعبير، وأوقفَ الأقلامَ عن الصّرير.. كلُّ تلك الإنجازات التّي ظلّ جورج بوش يفتخرُ بها ويناغُ بها أمام خصومه لخّصها العراقيّون الأحرار في فردتيْ حذاء ومشهد رمزيّ إلى أقصى الحدود...

مشهدٌ لو اجتهدَ روائيٌّ في رسمه بالكلمات، أو مسرحيٌّ في إخراجه، لَمَا وصلَ إلى إبداع الزّيديّ..!!

شجبَ البعضُ ما قام به الزّيديّ، ووجبَ على كلِّ عاقلٍ أن يشجبَه لو كان الوضعُ عاديًّا، ولو كان الزّائرُ غير بوش والحال غير الاحتلال.. شَجَبُوا حَمِيَّةَ الزّيديّ وتجاهلوا أنّ عددًا كبيرًا من العراقيين والعرب وغيرهم من أحرار العالَم ما كانوا ليتصّرّفوا دون تصرّفِ الصّحفيِّ العراقيِّ وحِذائه قَيْدَ أُنْمُلَةٍ لو أُتيحت لهم الفرصةُ وأَمِنُوا العقابَ والتّنكيلَ وسوء المصير.

لقد كان إلى جانب جورج بوش رئيسُ الوزراء العراقيّ نوري المالكي، ولا شكَّ أنّ حجمَ الذّعر والخجلِ الذّي أصابه كبير جدًّا، كما أنّه سيعاني الأمرّيْن وقد صارَ يعلمُ أنّ التّاريخَ قد حجزَ له مكانًا يناسبُ دورَه في قصّة الحذاء العراقيّ المُقاوِم والمُدافِع عن الشّرفِ والعِرضِ والكرامة، ويعلمُ أيضا أنّ ذلك الحذاء سيدخلُ يوما المتحفَ الوطنيّ العراقيّ، وسيدخلُ معه أيضا كلُّ مَنْ تآمَرَ مع الاحتلال.. لكنّ من الباب الخلفيّ.

تحيّة لمنتظر الزّيديّ الصّحفيّ والوطنيّ والبطل الغيور على بلده.. وسواء خرجَ سالمًا من أيدي قوّاتِ أعوانِ الاحتلالِ في العراقِ أم قضى نَحْبَهُ هناك، فقد أدّى ذلك الشّابُّ ما عليه.. وعلى النّخبِ الواعيّةِ في الأمّةِ أن تدركَ أنّ البطولات الفرديّة وحدها لا تكفي حتّى لو نفّستْ غضبًا آنيًّا وردّت بعضَ كَرَامَةٍ مهدورة..

عَلَى تِلْكَ النُّخَبِ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ مفْتَاحَ الْقُوَّةِ فِي عَالَمِ الْيَوْمِ بِيَدِ الذِّينَ يَمْلِكُونَ ثَرَوَاتِهِمْ وَقَرَارَاتِهِمْ، وَتَسُوسُهُمْ حُكُومَاتٌ رَاشِدَةٌ أَمِينَةٌ تَعْرِفُ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا.

2008-12-18

أَيُّهَا الْحُكَّام: أُوبَامَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْكُم..!!

وللعالَمِ الإسلاميّ أقولُ إنّنا نسعى إلى طريقٍ جديدٍ يعتمدُ على المصلحةِ المشتركةِ والاحترامِ المتبادل.. ولشعوبِ الأممِ الفقيرةِ نتعهّدُ بالعمل إلى جانبكم لكي تزدهرَ مزارعُكم ولتجريَ المياهُ النقيّةُ لتغذيةِ الأجسادِ والعقولِ الجائعة.. وللأممِ التّي تتمتّعُ شأنَ أمّتنا بالوفرةِ النسبيّةِ أقولُ لا يمكننا أن نسمحَ بعد الآن بألاّ نُبالي بالمآسي خارجَ حدودنا، ولا يمكنُنا أن نستهلكَ مواردَ العالَم من دون أن نتنبّه إلى انعكاسات ذلك.. العالَمُ تغيَّرَ وعلينا أن نتغيّر.

إنّها كلماتٌ من خِطَابِ بَارَاك حسين أُوبَامَا في حفلِ تنصيبه ليكون الرّئيس الأمريكيّ الرّابع والأربعين والأوّل من أصلٍ أفريقي.. تلك الكلماتُ التّي بثّت الأملَ في نفوس مئات الملايين حول العالَم بعد سماعهم نبرةَ تغيّيرٍ أمريكيّةٍ، ونظرةً جديدةً تجاه الآخر، وإقرارًا بحقّه في الحياة الكريمة والوفرة الماديّة ولو كانت في حدّها الأدنى.

إنّه السّاكنُ الجديدُ في البيت الأبيض.. ذلك البيتُ الذّي أَلِفَ الرّؤساءَ البيضَ فقط منذ ظهوره في التّاريخ الأمريكي..

هذا الوافدُ الجديدُ على البيتِ الأبيضِ قال عن نفسه في إحدى خُطَبِه: "ابن رجلٍ أسودٍ من كِينْيَا وامرأة بيضاء من كَنْسَاسْ.. درستُ في أفضلِ الكلّياتِ وعشتُ في إحدى أفقرِ أممِ الدّنيا.. تزوّجتُ من امرأةٍ أمريكيّةٍ سوداء تحملُ معها دمَ العبوديّةِ والرّق... عندي إخوةٌ وأخواتٌ وأبناءُ وبناتُ إخوةٍ وأعمامٌ وأخوالٌ وأبناءُ أعمامٍ وأخوالٍ مفرّقين في ثلاث قارّات، ولن أنسى ذلك ما دمتُ حيًّا..".

لقد باتَ مؤكدًا أنَّ سيّدَ البيتِ الأبيضِ يحملُ ملامحَ تغيّير واضحةً، وقد بدتْ مبكّرةً ومنذ إعلانه دخولَ معتركِ التّرشيح داخل صفوف حزبه الدّيمقراطيّ متخطيًّا بذلك كافّةَ الحواجزِ وضاربًا عرضَ الحائطِ بجميعِ المخاوفِ والهواجسِ، وبقايا رواسبِ التّمييزِ العنصريّ الفظيع، فهو رجلٌ "ما كان والدُه ليحصلَ على أيّ طعامٍ في مطعمٍ محليٍّ قبل ستّين عامًا" على حدّ تعبيره في خطاب التّنصيب.

جذورُ الرّجلِ ومراحلُ حياته وعلاقاته انعكستْ على خطاباته ورؤيته للحياة، وآرائه في ملامح السّياسة الأمريكيّة الجديدة التّي تتماشى مع المرحلة الرّاهنة التّي تعيشُها البشريّة، بعد الأزمة الماليّة التّي عانت منها الولايات المتّحدة الأمريكية أكثر من غيرها، وبعد الفشلِ العريضِ لتجربةِ التّدخّل الأمريكيّ العسكريّ والسّياسيّ في كلٍّ من أفغانستان والعراق.

معطياتٌ عديدةٌ تؤشّرُ إلى أنَّ الرّئيسَ أُوبَامَا سيكونُ رائدَ التّغيّير نحو الأفضل في السّياسة الأمريكيّة، وبالتّحديد ما تعلّق منها بقضايانا العربيّة وعلى رأسها قضيّة فلسطين..؟؟

لكنّ ذلك الأمر ما زال رَهْنًا لنتيجةِ امتحانٍ واحدٍ فقط ينبغي على ابن "حسين أُوبَامَا" أن يجتازه بنجاحٍ ليمنحه تأشيرةَ الدّخول إلى عالم التّغيّير الفعليّ في السّياسات والمواقف، وخارطة التّحالفات القديمة التّي جعلت من الولايات المتّحدة كلمةً مرادفةً للشّرور والمآسي، وحماية الدّكتاتوريات والأنظمة الشّموليّة.

إنّ أيّ رئيس أمريكيّ هو في حقيقة الأمر أسيرٌ مقيّدُ اليدين، رغم الحريّة التّي تتمتّع بها الولايات المتّحدة الأمريكيّة..!!

إنّه أسيرُ مؤسّساتٍ عريقةٍ ومصالح وشركات أمريكيّة عملاقة، ونقابات وجمعيّات ذات تاريخ طويل في التّعامل مع إدارات الحكم والرّؤساء الأمريكيّين، وقبل كلّ ما سبق وبعده هو أسير عددٍ كبيرٍ من اللّوبيّات وجماعاتِ الضّغطِ التّي تعملُ ليل نهار على ضمانِ مصالح وخيارات معيّنة..؟؟

وإذا كانت عمليّةُ "الأسر" تلك مستساغةً من المؤسّسات والشّركات الأمريكيّة ومنظّمات المجتمع المدنيّ لأنّها تدافعُ عن فئات ومصالح أمريكية خالصة؛ فإنّ دورَ كثير من اللّوبيّات مختلفٌ تماما، خاصّة ذلك اللّوبيّ الصّهيونيّ الذّي يُوصفُ عادةً بالأكبرِ والأخطرِ في البلادِ بما له من نشاطات على كافّة المستويات تظهرُ بشكلٍ أوضحٍ في فترة الانتخاباتِ الرّئاسيّة، حيث يبذلُ ذلك اللّوبيّ كلّ جهوده للتّأثير على آراء وخطابات المترشّحين حول مسائل الدّعم الأمريكيّ لإسرائيل، وحمايتها ضدّ الدّول والشّعوب العربيّة المحيطة بها.

وعلى غرار ما يفعلُ الصّهاينةُ هناك ندركُ أنّ قضيّتنا المركزيّةَ في حاجةٍ إلى لوبي قويّ يدعمُها ويعملُ تدريجيًّا على عزل الحليفِ الأمريكيّ عن دولة الكيان الصّهيونيّ.. وذلك اللّوبيّ ونشاطاته في حاجةٍ ماسّةٍ إلى حملةٍ إعلاميّةٍ مستمرّةٍ وعالية المستوى في وسائل الإعلام الأمريكيّة المحليّة التّي تصلُ إلى الجمهور مباشرة، لأنّ تلك الوسائل قد رتّبتْ منذ عقودٍ ماضيّةٍ أولوياتِ المشاهدِ الأمريكيّ، وحصرتْ اهتماماته فيما يراه صانعُ السّياسة وجماعات الضّغط التّي تقف وراءه، وهكذا لا ينبغي أن نستغربَ إذا فوجئنا

بأنّ أغلب الأمريكيّين لا يعرفون عن قضايانا شيئًا، ولا يطالبون حكوماتِهم بأيّ خطواتٍ إيجابيّةٍ لنصرةِ المظلومِ وإيقافِ الظّالمِ عند حدّه..!!

ومع الحاجةِ الملحّةِ لذلك اللّوبيّ العربيّ في واشنطن، فهو لا يغني شيئًا دون مواقف عربيّة قويّة تعيدُ التّوازنَ إلى المعادلة التّي تتحكّمُ في العلاقات العربيّة الأمريكيّة من جهة، والأمريكيّة الإسرائيليّة من جهة ثانيّة...

فماذا لو تتحوّلُ التّقاريرُ، التّي تُوضَعُ باستمرار على مكتب الرّئيس الأمريكيّ، إلى لونٍ وطعمٍ ونَغْمَةٍ جديدة تقولُ بالمختصر المفيد إنّ الأنظمةَ العربيّةَ لم تعد تقبلُ بدورِ التّابعِ، وأنّ لها كغيرها رأيٌ عامٌ يطالبُها بمواقف جديدة مؤيّدة للحقّ الفلسطينيّ، وأنّها طلّقتْ مرحلةَ الخوف من شعوبها وقوى المعارضة التّي كانت تهدّدها بها أمريكا، لأنّها بكلمة واحدة صارت ديمقراطيّة فعلا..؟؟

نعم لو تكرّرَ ذلك وظهرَ جليًّا لسيّد البيت الأبيض، فسيجدُ ما يواجهُ به لوبيّات الضّغط الصّهيونيّة وغيرها لأنّ مصالحَ بلاده لن تكون في أمنٍ وأمانٍ أَبَدَ الآبدين، كما جرتِ العادةُ خلال العقود الماضيّة.

إنَّ الرَّئيس أُوبَامَا فِي حَاجَة مَاسَّة إِلَى دَعْمِ حُكَّامِنَا لَهُ عَبْرَ احْتِرَامِهِمْ لِشُعُوبِهِمْ وَوُقُوفِهِمْ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ الْفِلَسْطِينِيِّ مِنْ خِلالِ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ جَرِيئَةٍ وَوَاضِحَةِ الْمَعَالِمِ.. لكن ما يؤسفُ له أنّ كثيرًا من حكّامنا أيضا في حاجةٍ إلى لوبيّات ومواقف ليتحوّلوا إلى ذلك الموقفِ الذّي يحتاجُه منهم ابن "حسين أُوبَامَا".

2009-01-29

وَقْفَةٌ جَادّةٌ وَيَتَدَحْرَجُوا تَحْتَ الْقَانُون

إِلْتَمَسَ من "جلالة الملك" أن يتكرّمَ عليه بمنزلٍ من أملاك الدّولة بعد أن مضى على تقلّده الوزارةَ عامين كاملين ومازال يعيشُ في بيتٍ مؤجّر.. أَثْنَى عليه المَلِكُ خيرا ووعده بالنّظر في حاجته.. وعندما صارَ الوزيرُ خارجَ القصرِ كان الملكُ ينادي على كبير وزرائه ويصيحُ في وجهه: كيفَ اخترقَ هذا الرّجلُ النّظيفُ العفيفُ صفوفَكم..؟؟

إنّها مجرّدُ طرفةٍ يتداولُها المواطنون في إحدى الدّولِ الملكيّةِ العربيّة، لكنّها كغيرها من الطُّرفِ السّياسيّةِ تعكسُ نظرةَ قطاعٍ واسعٍ من الشّعوبِ العربيّةِ تجاه أغلبِ الذّين يمثّلون دورَ السّلطاتِ التّنفيذيّةِ الحاكمة، وحتّى الذّين يأكلون على موائدِ تلك السّلطات، ويشكّلون حاشيتها التّي تتقوّى بها في الملمّات، وترفعُ بها عقيرتَها في المهرجانات، وتدفعُ بها لتجميل صورتها أثناء الأزمات.

أسوقُ تلك الطّرفة مع كلّ تداعياتها وظلالها في عالمنا العربيّ بعد أن تابعنا تلك "الأزمة" التّي ألّمّتْ بالرّئيسِ الأمريكيّ الجديد بَارَاك أُوبَامَا في أيّامه الأولى بعد "الطَّامَّات" التّي وقعَ فيها بعضُ المسؤولين الكبار الذّين كانوا ضمن الأسماءِ المرشّحةِ لتولّي مناصبَ سامية في الإدارة الأمريكيّة الجديدة..!!

من بين الذّين وقعوا في تلك "الطَّامَّات" تُومْ دَاشْلْ الزّعيمُ السّابقُ للأغلبيّةِ الدّيمقراطيّةِ في مجلسِ الشّيوخِ الأمريكيّ وقد اختاره الرّئيسُ أُوبَامَا ليقودَ نظامَ الرّعاية الصّحيّة، حيث انسحبَ الرّجلُ بعد أن ألقتْ مشكلةُ الضّرائبِ بظلالها عليه، فقد تخلّفَ في وقتٍ سابقٍ عن دفع مبلغ 128 ألف دولار مستحقّة للخزانة العامّة.

ومن بينهم أيضا نَانْسِي كْلِيفَر التّي كانت مساعدةً لوزير الخزانة في عهد الرّئيس الأمريكيّ الأسبق بيل كلينتون، والتّي اختارها أُوبَامَا للإشراف على إصلاح الميزانيّة، حيث سَحَبَتْ هي أيضا قبولها للترشّح بسببِ التّقَاعُسِ عن دفعِ الضّرائبِ وإن كان المبلغُ زهيدا، نسبيا، لم يتجاوز 946.69 دولارا. ومنهم أيضا تِيمُوثِي غَايْتْنَر وزيرُ الخزانةِ الذّي لم يَسْلَمْ أيضا من "بُعْبُع الضّرائب" وإن استطاعَ تجاوزَ الأمر.. لقد كان مُدَانًا للدّولة بمبلغ 34 ألف دولار، حين كان موظّفًا لدى صندوق النّقد الدّوليّ.

إنّها باختصارٍ شديدٍ ثقافةُ الاعترافِ بالخطأ وعدم التّمادي فيه، وهي درجةٌ عاليةٌ من المسؤوليّة وصلَ إليها القومُ في أمريكا والغرب عموما، حتّى وإن اختلفنا إلى آخر الزّمن مع سياسات البيت الأبيض، وعواصم دول حلف شمال الأطلسيّ، والمؤسّسات الدّولية

التّي يسيطرون عليها، ويحقّقون بها مصالحَهم على حسابنا، وبمباركةٍ وتصفيقٍ من ممثّلي حكوماتنا في كثيرٍ من الأحيان.

استقالةٌ، أو تنازلٌ عن التّرشيح، قبل تسلّم المنصبِ أساسًا، وإقرارٌ صريحٌ بعدمِ الأهليّةِ كما عبّر عن ذلك أحدُ الثّلاثةِ الذّين سبقَ ذكرُهم وهو تُومْ دَاشْلْ، فقد قالَ للصّحافةِ بعد إثارتها لقضيّةِ تهرّبه من الضّرائب: "هذا المنصبُ يتطلّبُ قائدًا يستطيعُ العملَ بصدقٍ تامّ مع الكونغرس ومع الشّعب الأمريكيّ، وأنا لستُ ذلك القائد في الظّرف الحاليّ، ولا أريدُ أن أجلبَ متاعب لإدارة الرّئيس أُوبَامَا".. وأدركَ الرّئيسُ الجديدُ الموقفَ جيّدًا ولم يكابرْ أو يحاججْ وقَبِلَ انسحابَ الرّجلِ "بحزنٍ وأسف"، رغم وصفه له بـ "الأكفأ لتقلّدِ المنصب".. وأضافَ مستدركًا الأمرَ في حوارٍ خاصٍّ مع شبكة "سِي أَنْ أَنْ" الإخباريّة أنّه لا يريدُ "توجيه رسالةٍ إلى الشّعبِ الأمريكيّ مفادُها أنّ هناك معيارين في التّعاملِ مع النّاس واحدٌ للأقوياء وآخرُ للنّاس العاديّين".. يحدثُ كلّ ذلك مع أنّ تُومْ دَاشْلْ، محلّ الجدل، قد سارعَ لاستدراكِ أمرِ الضّرائبِ ودَفَعَ 128 ألف دولار، إضافة إلى 12 ألف دولار أخرى كغرامة مستحقّة عليه..!!

هكذا هو الحالُ في بلاد العمّ سام...

أما في أغلبِ بلادنا العربيّة فالغيابُ شبهُ التّامُّ لثقافةِ الاعتذارِ هو سيّدُ الموقف، لتزدهرَ في المقابلِ عقليّةُ التّبريرِ والدّفاعِ عن الأخطاءِ والمثالبِ، بل وتحويلها إلى إنجازاتٍ يجبُ على الأجيالِ أن تتغنّى بها... والنّتيجةُ المنطقيّةُ جدًّا هي تَغَوُّلُ الفسادِ واستئسادُه على الجميع وبلوغُه، في بعض الدّول، درجةً عاليةً من التّنسيق وربّما التّنظيم المحكم.

إنّ بعضَ المسؤولين في بلادنا العربيّة لا يتهرّبون من الضّرائب فحسب، فهم لا يفكّرون في دفعها أصلاً، بل يستولون على أموال الضّرائب بكافّةِ الطّرقِ والأشكالِ وشتّى أصنافِ الحيلِ التّي تبدأُ بتهريبِ الأموالِ إلى الخارجِ عبر صفقاتٍ وشركاتِ استيراد وهميّة تُدخِلُ

الخردةَ لتحوّلَ بها الأموال، ولا تنتهي عبر مشاريع واهيّة تأكلُ من الأموالِ أضعافَ الكلفة الحقيقيّة، وعبرَ قروض ضخمة لا تُرَدُّ لألفِ سببٍ وسبب..!!

ومع ذلك يُمْدَحُ أمثالُ هؤلاء المسؤولين وينالون الأوسمةَ والنّياشين، وتُسْرَدُ باسمهم قوائمُ طويلةُ من الإنجازات..!!

ما أحوجنا جميعا إلى وقفةٍ جادّة ضدّ الفساد، وتحوّلٍ حقيقيّ نحو روح المبادرة والقيامِ بواجبِ المساءلةِ والمتابعةِ كلٌّ حسب موقعه.. وقفةٌ تلتحمُ فيها النّخبُ الواعيةُ مع قطاعات الشّعب الذّي يكتوي بنارِ الفساد والفاسدين، ولن نلبثَ بعد ذلك أن نرى أنفسَنا وقد صِرْنَا في مصافّ غيرنا من الشّعوبِ الواعيةِ التّي تمتلكُ فعلا زمامَ أمورها.. حيث يصبحُ المسؤولُ مَهْمَا عَلاَ شأنُه يتدحرجُ تحت القانون كلّما عثرتْ قَدَمَاه، ولن يفكّرَ إطلاقًا أن يكون فوق القانون، فهو مُحاسبٌ على ما يقبضُ وما يصرفُ وما يدّخرُ، ويعرفُ الخاصُّ والعامُّ أموالَه وعقاراته قبل المسؤوليّة وبعدها، وإن تقاعدَ تُعْرَفُ أيضا امتيازاته ومخصّصاته، وهل تتناسبُ مع حال البلاد والعباد أم لا..؟؟

يُنَاقَشُ كُلُّ ذَلِكَ بِحُرِّيَةٍ وَشَفَافِيَّةٍ وَمَسْؤُولِيَّةٍ فِي الْبَرْلَمَانِ وَالصَّحَافَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي الْمَقَاهِي وَالْمَجَالِسِ وَالاسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ لِتَتَّضِحَ لَهُم الصُّورَةَ ويحكموا بعد ذلك بحزمٍ على البرامج والشّخصيات، وهم يدلون بأصواتهم في صناديق الاقتراع.

2009-02-12

مَا هَكَذَا تُورَدُ الابِلُ يَا عَرَب

الرّئيسُ الإيرانيّ الإصلاحيّ السّابق محمّد خاتمي يسحبُ ترشّحه للانتخابات الرّئاسيّة القادمة لصالح رئيس الوزراء السّابق مير حسين موسوي.. خبرٌ لم يكن عاديّا، رغم أنّه يبدو كذلك.. وسائلُ الإعلامِ تناقلته وتناولته بالنّقاشِ والتّحليل، وقناةٌ إخباريّةٌ عربيّةٌ رائدةٌ جعلتْ منه عنوانًا رئيسيًّا لأكثر من موعدٍ إخباريّ.

الانتخاباتُ الإيرانيّة على الأبواب، واللاّفتُ للنّظرِ أنّها تثيرُ درجةً كبيرةً من فضولِ وسائلِ الإعلامِ العربيّةِ والدّوليّةِ المستقلّة.. ورغم أنّ لكلّ وسيلةِ إعلامٍ أجندتها في ترتيب أولويات جمهور المشاهدين، لدوافع مهنيّة بحتة أو لغيرها، فإنَّ الاهتمامَ بالانتخابات في دولةٍ من الدّول صارَ مؤشرًا على أهميّةِ دورها الإقليميّ أو الدّوليّ، وحجم اهتمام العالَم بها مَهْمَا كانت دواعي ذلك الاهتمام.

إيران التّي تصنعُ "عناوين الأخبار" هذه الأيّام، كما صَنَعَتْهَا في أحداثٍ سابقة، صارتْ قابَ قوسين أو أدنى من دورٍ إقليميٍّ مؤثّرٍ ظلّتْ تحلمُ به منذ سنوات طويلة، وهاهي مؤشّراتُه قد بدأتْ في الظّهور؛ فخروجُ القّوات الأمريكيّة من العراق باتَ مؤكّدًا وليس إلاّ مسألة وقت، وبعد أن ظلّ الرئيسُ الأمريكيُّ الجديدُ بَارَاك أُوبَامَا يُوهِمُ العالَمَ أجمع أنّ ثقلَه العسكريّ سيكون في أفغانستان بعد "الهروب" من العراق؛ هاهو يتحدّثُ عن استراتيجيّةٍ للهروب من أفغانستان أيضا.. والبديلُ القويّ الذّي يملكُ حدودًا طويلةً مع كلٍّ من أفغانستان والعراق هو جمهوريّة إيران الإسلاميّة..

نعم.. بهذا الاسم خاطبَها أُوبَامَا وهو يتحدّثُ مؤخّرا إلى الشّعبِ والقيادةِ بمناسبةِ عيدِ النَّيْرُوز الذّي يوافقُ رأسَ السّنةِ الإيرانيّة.

خَاطَبَ الرّئيسُ الأمريكيُّ إيران في عيدها القوميّ الفارسيّ قائلا: "النّيروز هو جزء من ثقافتكم العظيمة والجليلة" وتحدّثَ أيضا عن "العظمة الحقيقيّة للشّعبِ والحضارةِ الإيرانيّة"..

ويمكن لمن شاء أن يقرأَ بين السّطور كيفما شاء، وعندما نتجاوزُ العبارةَ وننقّبُ عن الدّلالة قد يتحوّلُ النّصُّ إلى: "أيّها الإيرانيّون: إنّكم نسيجٌ آخر وحضارةٌ أخرى تختلفُ كلّ الاختلاف عن بقيّة الجيران"..؟؟

ومن نافلةِ القولِ طبعًا أنّ من حقّ الشّعب الإيرانيّ أن تكون له ثقافته المتميّزة، حتّى وإن اختلفَ حولها الإيرانيّون أنفسُهم بين من يرى في طقوسِ النّيروز امتدادا للثّقافةِ

المجوسيّة القديمة، وتمجيدًا لعاداتٍ كان يُفترضُ أن تنتهي مع عصرِ الثّورة الإسلاميّة التّي سوّقتْ نفسَها دائمًا كنموذجٍ لجميع المسلمين، وبين من يرى في النّيروز وما شابهه مجّردَ عاداتٍ لا تتعارضُ وجوهرَ الدّيانة الإسلاميّة التّي لا تضيقُ ذرعًا بالثّقافات الأخرى.

ومن نافلةِ القولِ أيضا أنّ للأمريكيّين كلَّ الحقّ في تهنئة من يريدون، وبالطّريقة والصّيغة التّي تتناسبُ مع أهدافَهم ومشاريعَهم ونظرتَهم للآخرين وثقافاتهم.

لكنّ السؤالَ الكبيرَ الذّي يطرحُ نفسَه في هذا السّياق مُوَجّهٌ إلى العرب، وهل يملكون أيَّ رُؤًى استراتيجيّة للتّعامل مع الجارة القويّة "إيران"..؟؟

رُؤًى تنبعُ من المصلحة القوميّة والرّابطة الدّينية والتّاريخية، وفي معزلٍ كاملٍ عن السّياسات الأمريكيّة المتقلّبة...

والحقيقة أنّ هذا السّؤال قد يَلِدُ سؤالاً آخر أكثر إلحاحا وخطورة، وهو إن كان للعربِ الرّسميّين أصلا أيّ استراتيجيّة واضحة في جميع قضايا الأمّة المصيريّة..؟؟؟

صحيح أنّ موقفَ واشنطن وخطاب أُوبَامَا "الودّي" يدخلُ ضمن سياسة العصا والجزرة، ففي الخطابِ ظهرتِ الجزرةُ، وقد سَبَقَتْهَا العصا قبل أيّام فقط عندما وقّعَ الرّجلُ على تمديدِ العقوباتِ على النّظامِ الحاكِمِ في طهران عامًا آخر...!!

لكنّ المؤكدَ أيضا أنّ أمريكا ليست في وضعٍ يمّكنُها من خوضِ حربٍ جديدةٍ ولو كانت سياسيّة واستخباراتيّة فقط، كما أنّ طهران أثبتتْ بالدّليلِ القاطعِ أيضا أنّ عداوتَها لأمريكا لن تصلَ إلى درجةِ إعلانِ الحربِ عليها أو حتّى مجرّد الإيذاء المعتبر لمصالحها...!!

ظَهَرَ ذلك جليًّا من خلال تجربة "التّعاون الأمريكيّ الإيرانيّ" للقضاء على دولة طالبان، وتجربة العراق الواضحة للعيان حين تمّ تبادل المصالح على رؤوسِ الأشهاد، ومن ثمّ سكوت "آيات الله" على عَرْبَدَةِ "الشّيطان الأكبر" وهو على بعد أمتارٍ فقط من حدود "الجمهوريّة الإسلاميّة المحروسة".

إنّ المطلوبَ من الدّول العربيّة في هذه المرحلة، خاصّة ما صار يُعْرَفُ بدول محور الاعتدال، هو وقفةُ مراجعةٍ صادقة تعيدُ النّظرَ في خارطةِ التّحالفاتِ والمواقفِ السّابقةِ سواء ما تعلّقَ منها بالقضيّةِ الفلسطينيّةِ أو إيران أو الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّة.

مراجعةٌ وقطيعةٌ شاملةٌ مع سياساتِ وقراراتِ الماضي، التّي كانت رهينةً للمواقف الأمريكيّة المنحازة بالكامل لدولةِ الكيانِ الصّهيونيّ.

لقد اندهشتُ من كلمةِ وزيرٍ خارجيةِ إحدى "دول الاعتدال العربيّ" مؤخّرا: عندما قال: "على الرّغم من إنّنا نقدّرُ التّأييدَ الإيرانيَّ للقضايا العربيّة إلاّ أنّنا نرى أنّ هذا التّأييدَ يجبُ أن يكون عبر بوّابة الشّرعيّة العربيّة، ومنسجمًا مع أهدافها ومواقفها، ويعبّرُ عن نصرته لها وليس بديلاً عنها".

العبارةُ عربيّةٌ فصيحةٌ، لكنّها صعبةُ الهضمِ بالنّسبةِ لي على الأقلّ، فإذا كانت إيران تدعمُ قضايانا العربيّة بإيمانٍ وصدقٍ فَمَنَ المَعيبِ أن نطلبَ منها التّراجعَ عن ذلك..؟؟

وإن كان دعمُها مجرّدَ ورقةِ لعبٍ في مسرحِ السّياسةِ الدّوليّة؛ فمن المَعيبِ أيضا أن نقول لها اتركي مصالحَك واصطفّي **فِي طَابُورٍ أَدْمَنَ الْوَاقِفُونَ فِيهِ تَعَاطِي ذَلِكَ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ الذِّي يَقُولُ إِنَّ أَمْرِيكَا سَتُنْصِفُ العَرَبِ يَوْمًا مَا** وتحكمُ بينهم وبين دولة إسرائيل بالقسطاس المستقيم..!!

تفعلُ أمريكا ذلك ونحن على حالنا هذه من الخوفِ والخنوعِ والخضوع..؟؟

ما هكذا تُورَدُ الإبلُ أيّها العرب.. وبالأحرى: أيّتها الدّول العربيّة المثقلة بلواء "الاعتدال".

2009-03-26

الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ أَوَّلاً.. الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ دَائِمًا

غضِبَ وجهُ العربِ اللاّمع وممثّلهم البارع وراحَ يتحدّثُ لوسائلِ الإعلامِ بلهجةٍ ربّما ظنّ أنّها تساوي قوّةَ نبضِ الشّارعِ العربيّ.. إنّه عمرو موسى أمين عام جامعة الدّول العربيّة بعد أن بلغته أنباءُ القرصنةِ الإسرائيليّة على أسطولِ الحريّةِ في المياه الدّوليّة قبالةَ سواحل غزّة المحاصَرة.. أطلقَ المسكينُ عددًا من الجُمَلِ المستهلكةِ لكنّها اندثرتْ مع أوّلِ تصريحاتِ رَجَب طيّب أردوغان وهجومه الحادّ على سَاسَةِ إسرائيل.

وَحَوْلَ أَمِينِ عام جامعتنا العربيّة وتصريحاته تلك شدّتني نهايةُ تقريرٍ إخباريٍّ تحليليٍّ بإحدى القنوات العربيّة الرّائدة، حيث أوردَ الزّميلُ الصّحفيُّ كلماتٍ لعمرو موسى مفادُها أنّه فَهِمَ رسالةَ إسرائيل واكتشفَ عدم اكتراثها بعمليّة السّلام من خلال تصرّفاتها الرّعناء وهجومها الوحشيّ على المتضامنين الذّين كانوا على متن أسطول الحرّية يَحُثّون الخُطَى نحو غزّة المحاصَرة.. وبعد ذلك أقفلَ الزّميلُ التّقريرَ بهذه الكلمات: (اثنان وستّون عامًا ولا يزالُ العقلُ العربيُّ يتأمّلُ في فَصَاحَةِ الرّسائل الإسرائيليّة ومتعةِ اكتشاف أنّ إسرائيل لا تريدُ السّلام).

ولأنّ المقارنةَ تحدثُ بشكلٍ عفويٍّ في مثل هذه المواقف، فإنّ الذّهنَ يتّجهُ مباشرةً إلى الأمثال والأشباه، ولو بالشّكلِ والصّورةِ وربطةِ العُنُقِ والسّيارةِ السّوداءِ والحرسِ المرافقِ لها.. وإن حدثَ الاختلافُ بعد ذلك في قوّةِ الهممِ ووضوحِ الأهدافِ والاستراتيجيّاتِ وتمثيلِ الشّعوب ودرجةِ القربِ أو البعدِ منها ومن آلامِها وآمالِها.

وهكذا كانَ حالُ الكثيرين مع ممثّلِ العربِ الأوّل، من النّاحيةِ الرّسميّةِ على الأقلّ: حالُه ووضعُه ومصداقيّتُه مقارنةً بسياسيّ آخر على رأسِ دولةٍ تربطنا بها أواصرُ التّاريخ والجغرافيا، وتشتركُ معنا في بعضِ تداعيات المشهد السّياسيّ العالميّ الحاليّ، وآثاره السّلبيّة والإيجابيّة على دولنا وشعوبنا.

لقد تحدّثَ عمرو موسى لوسائلِ الإعلامِ قبل رجب طيّب أردوغان، لكنّ تصريحاته راحتْ هباءً منثورا بين أكوامِ الأخبارِ المتسارعةِ، والمصيرُ ذاتُه كان من نصيبِ تصريحاتِ قادةِ عربٍ دَعَا أحدُهم إلى دعمِ فصائلِ المقاومة، وحمّلَ آخرُ الرئيسَ الأمريكيَّ أُوبَامَا أوزارَ ما حدثَ وخاطبَه بلهجةٍ قاسية، وقبل ذلك وبعده تلك البيانات الرّسميّة التّي صدرتْ عن أغلبِ الدّولِ العربيّةِ تُدين وتشجبُ وتستنكرُ، ثمّ ترمي الكرةَ في ملعبِ ما يُسمّى المجتمع الدّوليّ ومجلس الأمن وما شابه ذلك..!!

لماذا ظلتِ الجماهيرُ العربيّةُ متعطّشةً لسماعِ الرّدّ التّركيّ وأخبارِ عودةِ أردوغان من جولته في أمريكا اللاّتينيّة، ومن ثمّ الإنصات إلى ما سيقوله..؟؟

ولماذا ركّزتْ وسائلُ الإعلام على ردودِ فعل حكومةِ حزبِ العدالةِ والتّنميةِ في أَنْقَرَة مع أنّ دولاً عربيةً وغير عربيّة كانت معنيّةً أيضا بأسطول الحريّة ومئات المتضامنين الذّين كانوا على مَتْنِه..؟؟

إنّ تركيا عضوٌ في حلفِ شمالِ الأطلسيّ، كما ظلّت لسنواتٍ طويلةٍ تسعى لعضويةِ الاتّحادِ الأوروبيّ لأنّ بعض أراضيها في قارّة أوروبا، وأكثر من ذلك ترتبطُ بعلاقةٍ مع دولة الكيان الصّهيونيّ منذ عقود، وفوق كلّ ذلك تُصنّفُ كحليفٍ استراتيجيّ للولايات المتّحدة منذ أيّام الحرب الباردة...

وهكذا يمكنُ القولُ إنّ تركيا مثقلةٌ سياسيًّا ودبلوماسيًّا، لكنّ المفارقةَ أنّها تحسنُ اتخاذَ القراراتِ الحاسمة، وتتفنّنُ في الانتصار لكرامة مواطنيها.

قبل أن يعود أردوغان تصرّفتْ حكومتُه وقامتْ بواجب الرّد الأوّليّ الذّي يتناسبُ مع حجمِ الحدثِ وجسامةِ الخطيئةِ الإسرائيليّة.. وهكذا ألغتْ ثلاث مناورات عسكريّة كانت مقرّرةً بين أنقرة وتل أبيت، إلى جانب مباراة كرة قدم، وطارَ وزيرُ الخارجيّة التّركيّ إلى نيويورك وحضرَ جلسةً طارئةً لمجلس الأمن الدوليّ، وحصلَ على بعضِ ما كان يريده، وإن كان دون المطلوب بسببِ الثّقل الأمريكيّ المعروف.

وعندما عادَ أردوغان في اليوم التّالي اجتمعَ بكتلته البرلمانيّة وأركان حزبه وأحد قادة الجيش ومدير المخابرات وغيرهم، وعلى وقع المظاهرات الغاضبة في جميع أنحاء تركيا راحَ يخاطبُ البرلمان وإسرائيل والعالَم.. تحدّثَ بنبرةٍ شديدةٍ ونطقَ بألفاظٍ لا معنى لها سوى أنّ سَاسَةَ إسرائيل مجرّد رجال عصابات لا غير، وهم كذلك بطبيعة الحال.

وضعَ أردوغان شروطًا وتوعّدَ إسرائيل إن لم تنفّذها، وأرسلَ رسائل واضحة إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإن لم يسمّها مباشرة، وتحدّثَ عن ضرورة وحتميّة إنهاء حصار قطاع غزة...

تابع العالَمُ كلّ ذلك بينما لم يتمكّن العربُ من مجرّد الاجتماع على مستوى المندوبين في جامعة الدّول العربيّة بالقاهرة.. ثمّ اجتمعوا واختلفوا، ثمّ اجتمعَ وزراءُ خارجيّتهم بعد ذلك وخرجوا بقراراتٍ (قويّة جدًّا) وهي أن يُرْجِئُوا موضوعَ مبادرة السّلام العربيّة إلى اجتماع القادة المقبل، وأن يوجّهوا رسالةً إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة..!!

لقد خَتَمَ أردوغان خطابَه الغاضب عن حادثِ القرصنةِ بموضوعٍ قد يبدو في سياقٍ آخر تماما.. تحدّثَ عن خطواته لتعزيز الدّيمقراطيّة في تركيا، وعن رفاهيّة المواطن التّركيّ وسعي الحكومة لخدمته أكثر.. لقد أدركَ أردوغان أنّ سرَّ قوةِ السّياسيّ النّاجح في صلته بجماهيره والتّفويض الحقيقيّ الذّي يَتَقَلَّدُهُ عبر صندوق انتخابيّ شفّاف.. وبعدها يكتسبُ شجاعةً غير عاديّة، فلا شيء يخافُ منه أو عليه: لا ملفّات سريّة، ولا حسابات مصرفيّة خارجيّة، أو صفقات مشبوهة، أو أيّ عُقَد تجعلُه مصرًّا على الالتحام الأبديّ بكرسيّ الحكم، ليعاني بعد ذلك ذلّ الخنوعِ والخضوعِ بسببِ إملاءاتِ لوبيّات الدّاخل والخارج.

وأخيرًا: فإنّ العنوان: (الدّيمقراطيّة أوّلا.. الدّيمقراطية دائمًا) هو كتابٌ للروائيّ العربيّ الرّاحل عبد الرّحمان منيف.. تحدّثَ فيه عن الدّيمقراطيّة وتطرّقَ فيه لتجارب بعض الدّول العربيّة وقال إنّ بطءَ استجابة تلك الأنظمة (لمتطلّبات العصر، بما تقتضيه من عقلنة، وتعدّد سياسيّ، واشراك للمرأة في الحياة العامّة، **كُلُّ ذَلِكَ تَمَّ بِمَعْرِفَةٍ مِنَ الْغَرْبِ، بَلْ بِتَوَاطُؤٍ مِنْهُ، فَتِلْكَ الْأَنْظِمَةُ الْمُتَخَلِّفَةُ هِيَ وَحْدَهَا الْمُؤَهَّلَة لِحِمَايَةِ مَصَالِحِه**).

2010-06-05

سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ وَعُلَمَاءُ السُّلْطَان

غَضِبَ العَالِمُ القاضي العزّ بن عبد السّلام من السّلطان الصّالح أيّوب الذّي امتنعَ عن تنفيذِ حكمٍ فقهيٍّ يقضي بِبَيْعِ المَمَالِيك لِصَالِحِ بيتِ المال ومن ثمّ تحريرهم ليكونوا أهلاً للمناصب الحسّاسة التّي يتولّونَها في الدّولة.. خرجَ مغادرًا القاهرةَ فَتَبِعَتْهُ جموعٌ غفيرة.. أَدْرَكَ السّلطانُ خطورةَ الوضع فَرَكِبَ في أَثَرِهِ حتّى استرضاه بعد أن وافقَ على بيع الأمراء المماليك بالمناداة على رؤوس الأشهاد.

النّتيجةُ كانت كما أرادها القاضي العزّ بن عبد السّلام، وهي بيعُ الأمراء في مكانٍ عام، والمغالاةُ في أثمانهم لصالح بيتِ المال...!!!

كان الموقفُ مهيبًا وطريفًا في الوقتِ ذاتِه، وبسببه استحقَّ ذلك القاضي الشّجاع لقبَ بائعَ الملوكِ وسلطان العلماء، وظلّ على مواقفه البطوليّة حتّى توفّاه الله ليقولَ الظّاهرُ بِيبَرْس، مع شدّته وقوّة دولته: ما استقرّ مُلْكِي إلاّ الآن..!!

لقد اختارَ العزُّ بن عبد السّلام، وكثيرٌ من العلماء قديمًا وحديثًا، ذاتَ الشّوكةِ فَأَفْتَوا وَوَجّهُوا النّاسَ بما فيه الخير والصّلاح، وكانت هِمَمُهُم شامخةً تتطلّعُ إلى أعالي الجبال، وتترفّعُ عن النّظرِ إلى الحضيض.. تبحثُ عن عزائمِ الأمورِ وما يخدمُ الصّالحَ العامَّ ويدفعُ بالمجتمع إلى الرّقيّ الحقيقيّ، وتبتعدُ عن تَوَافِهِ التّوجيهات والفتاوى التّي تنشرُ ثقافةَ الحفاظِ على الأوضاع الفاسدة والمبرّرات الشّرعيّة للبقاء ضمن مستنقعات آسنة اجتماعيًّا وسياسيًّا.

تذكّرتُ قصّةَ سلطانِ العلماءِ عندما قرأتُ عن تلك الفتوى التّي وُزّعت في بعض مساجد الجزائر العاصمة في أوّل أيّام رمضان المبارك..؟؟

كلامٌ يتحدّثُ عن جوازِ دفعِ الرّشَاوَى مقابل التّرقيّة في الوظيفة أو الحصول على مَزَايَا معيّنة..!!!

والحقيقةُ أنّ هذه الفَتْوَى ليست جديدةً في مضمونها، فالفقهاءُ تحدّثوا عن إباحة الدّفع لإعادة حقٍ أو دفعِ ضَرَرٍ حين توصدُ جميعُ الأبواب، لكنّها تظلُّ مجردَ ضرورةٍ تُقدّرُ بقدرها، كما تظلُّ حالةً خاصّة يمكنُ الإفتاءُ بها بشكلٍ فرديٍّ حتّى لا تتحولَ إلى ذريعةٍ يستعملُها ضِعَافُ النّفوس، وكلُّ من سوّلَت له نفسُه أنّه صاحبُ حقٍّ وإن كان ذلك دون وجه حقّ..

الجديدُ في الموضوعِ هو نشرُ مثل هذه الآراء الفقهيّة بين عامّة النّاس، وكأنّها إحدى أولوياتنا الشّرعيّة المعاصرة، أو أنّها من المعلوم من الدّين بالضّرورة الذّي لا ينبغي لمسلمٍ جهلَه كعددِ ركعات الصّلوات الخمس وكيفيّة أدائها..؟؟

كان في وسعِ من يقفُ وراء مثل هذه المنشورات، ومن يفتي على الملأ بمثل هذه الآراء، أن يسلكَ الطّريقَ الثّاني وهو طريق العزيمة، ويعلنُ من ثمّ الصّمودَ أمام تحدّيّات الواقع وانتشار الفساد الماليّ والإداريّ، وشيوع الرّشوة والمحسوبيّة، وتكونُ فتواه أو توجيهاتُه حربًا على الفسادِ ودعوةً للتّكاتف من أجل استئصاله، والوصول بالبلادِ والعبادِ إلى مستوياتٍ متقدّمة من الرّشد الإداريّ والسّياسيّ على غرار الدّول المتقدّمة.

لا بدّ من الدّعوةِ إلى الصّبر والتّصدّي، ولو بفقدان الكثير من الحقوق والمزايا حتّى يُولَد النّموذجُ النّظيفُ العفيفُ من جديد عبر التّراكمات الإيجابيّة، ولو دامَ الأمرُ سنين وعقودا من الزّمن، لأنّنا في حاجةٍ إلى نصح المستفتين في حالاتِ الظّلم والتّعسف الإداريّ بمزيد من العمِل الجادّ، والمساهمة الفاعلة في محاربة الفسادِ والوعي بأهميّة التّغيير.

وعلى غرارِ الاستسلامِ للواقعِ الاجتماعيّ تَابَعْنَا مرّات عديدة تلك الفتاوى التّي تستسلمُ للاستبداد السّياسيّ وتنساقُ وراء تبرير القرارات الخاطئة التّي تصدرُ لخدمة مخطّطات وأجندات أجنبيّة بعيدة عن مصالح الأمّة ودولها وشعوبها.. ونجدُ أقربَ مثال لذلك ما حدثَ بعد الجدلِ الذّي ثارَ حول الجدارِ الفولاذيّ الذّي قررتْ حكومةُ مصر بناءَه على طول حدودها مع قطاع غزّة في محاولةٍ لقطع ما تبقّى من شرايين حياةِ شعبٍ يُعَانِي الحصار منذ عدّة سنوات..!!

لقد أفادتْ فتوى مجمّع البحوثِ الإسلاميّةِ بالأزهر الشّريف بجوازِ بناء الجدار، والذّريعةُ بسيطةٌ للغاية وهي أنّ من حقّ أيّ دولةٍ تشييد ما تشاء على أراضيها، وأنّ الفتوى تخصُّ مصرَ وسيادتها بغضّ النّظر عن الأطراف الأخرى...!!!

وهي مغالطةٌ كبيرةٌ وتسطيحٌ للأمر وتبسيطٌ له إلى حدّ التّفاهة.. فالسّياسيُّ في هذه الحالة قَرّرَ، مُخيّرًا أو مُسيّرًا، القيامَ بخطوةِ بناءِ جدار، وعندما تعالت الأصواتُ المستنكرةُ واتّسعت رقعةُ الاحتجاج، استعانَ (وليُّ الأمر) بأهلِ العلمِ فجاءتِ الفتوى على المقاسِ تَمَامًا..!!!

فَتْوَى الْجِدَارِ تذكّرُنا بسيناريو مشابه حدثَ خلال حرب الخليج الثّانية حين احتلَّ صدّام حسين دولة الكويت، ورفضَ سحبَ قوّاته منها، ومن ثمّ احتشدت قواتٌ دوليّةٌ من الشّرقِ والغربِ تحت لافتةِ تحرير الكويت، وثارَ الجدلُ حينها حول مسألة (الاستعانة بالكفّار) خاصّة أنّ القوّات الأجنبيّة تمركزت حينذاك في بلاد الحرمين الشّريفين..؟؟

وطالَ الحديثُ وتشعّبَ واستعرضَ (العلماء) النّصوصَ وأقوال السّلف والخلف، وخرجوا بجواز فتحِ الأبواب لتلك القوّات وتسهيل مهمّتها والإذن لها بالإقامة في جزيرة العرب..؟؟

وكان الدّليلُ قويًّا والحجّةُ دامغةٌ بالنّسبة لهم، فقد استعانَ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في إحدى غزواته بسيوفٍ أو دروعٍ من أحد المشركين.. وهكذا بكلّ بساطة تُختزلُ مخطّطاتُ تدخّلٍ دوليٍّ، تَمّ الإعدادُ له قبل عشر سنوات وأكثر، في الاستعانةِ بسيفٍ أو درعٍ أو حتّى مجموعة فرسان...!!!

لقد قَرَّرَ السّياسيّون، مُخيّرون أو مُسيّرون، ثمّ طلبوا الفتوى بعد ذلك..؟؟؟

الأمثلةُ كثيرةٌ، وخلاصةُ الكلام أنّ مرحلتنا في حاجةٍ إلى العزيمةِ والبحثِ عمّا يخدمُ حاضرَ شعوبِنا ومستقبلها، ويعينُها على السّير الحثيث في طريق الحكم الرّاشد..

وَمَعَ كَامِلِ احْتِرَامِنَا لِلْعُلَمَاءِ... نَتَمَنَّى عَلَيْهِم الانْحِيَازَ إِلَى الْعَزِيمَةِ وَلَوْ بِالسُّكُوتِ وَعَدَمَ تَبْرِيرِ مَا يَحْدُثُ مِنْ كَوَارِث سِيَاسِيَّة وَإِدَارِيَّة.. كما نتمنّى أن نرى فتاواهم وقد خرجتْ من الإطار الشّخصيّ إلى الجماعيّ عبر التّشاور والتّواصل الدّائم سعيًا نحو الإجماع، أو حتّى ما دونه بقليل.. وما أسهلَ ذلك في زمن الاتّصال والتّواصل عبر الوسائل والتّقنيات الحديثة.

2010-08-21

حَوْلَ الرُّؤْيَة.. لِتَبْدَأ الدَّنْدَنَة

على مدارِ التّاريخ الإسلاميّ تميّزت منطقةُ المغرب العربيّ بخلوّها شبه التّام من الفرق والمذاهب الدّينيّة التّي ظهرت في بلاد المشرق العربيّ وبلاد فارس وما كان يعرفُ بما وراء النّهر، وهو السّببُ الذّي جعلَ المنطقةَ بعيدة الآن، إلى حدّ ما، عن ذلك السّجالِ الذّي عَرَفَهُ وَيَعْرِفَهُ المشرق العربيّ.. السّجالُ الدّائرُ حول العلاقة بين الشّيعة والسّنّة، ومع إيران وتصدير الثّورة والامتدادات المذهبيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في عددٍ من دول الخليج، فضلاً عن العراق ولبنان.

في ذلك السّجال ظلّت دولُ المغرب العربيّ بعيدةً إلى حدّ كبير، ربّما بقدر بعد المسافة عن إيران معقل المذهب الشّيعيّ الاثنيْ عشريّ، ومساحة التّجسيد العمليّ التّطبيقي له خاصّة بعد قيام الثّورة الإسلاميّة في إيران عام 1979.

وحتّى عندما تظهرُ بعضُ الفقاعات الإعلاميّة من حين لآخر، في هذه الدّولة المغربيّة أو تلك، حول ما يُوصَفُ بالخطر الشّيعيّ أو ما شابه ذلك، سرعان ما تختفي لأنّ الخطرَ الحقيقيّ غير مطروح، وأيّ تغلغل للمذهب الشّيعيّ في بلاد المغرب العربيّ لا يمكن تصديقه أو تحقيقه بالسّرعة أو الكيفيّة التّي يتصوّرها بعضُ المتخوّفين من الفكر الشّيعيّ، أو بعض صيّادي المياه العكرة الذّين يستغلّون أيَّ شيء لإثارة الأصوات ضدّ إيران لأغراض تخدمُ في الغالب أجندات الآخرين.

ومع أنّ ظروفًا وأحداثًا قد أدّت إلى اهتزازات في العلاقات المغاربيّة الإيرانيّة وصلت إلى درجة الانسداد التّام، فإنّ السّنوات الأخيرة شهدت تطورًا في هذه العلاقات، باستثناء أزمة الرّباط طهران الأخيرة... تطوّرٌ طرحَ تساؤلاتٍ وأثارَ مخاوفَ بعض القوى الإقليميّة والدّولية ذات العلاقة المباشرة بقضيّة الصّراع مع إيران، وبرنامجها النّوويّ وأجندتها المفترضة إقليميًّا ودوليًّا..؟؟

المثيرُ للاستغرابِ في تحذيراتِ البعضِ أنّهم يتحدّثون عن فتحِ مراكز ثقافيّة وتبادل علميٍّ أكاديميّ وسينما وغناء وأسابيع ثقافيّة، وكأنّ الثقافةَ الفارسيّةَ الشّيعيّةَ آلةٌ كاسحةٌ يمكن أن تجتاحَ بلدان المغرب العربيّ في سنين معدودة، فيتسارعُ النّاسُ جماعات وفرادى إلى إعلان الولاء وحتّى البيعة العامّة لولاة الأمر في الإمبراطوريّة الفارسيّة المفترَضة..!!

الكلامُ السّابقُ هو بعض مداخلتي في ندوة العرب وإيران: مراجعة في التّاريخ والسّياسة التّي أقامَها المركزُ العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات بالدّوحة، قطر، مؤخرا..

ندوةٌ كانت متميّزةً بحضور باحثين من مشارب شتّى، وبقوّة الطّرح وشفافيّته وصراحته في أغلب الموضوعات وعند أكثر المتدخّلين.

دارَ الحديثُ عن إشكاليّة العلاقةِ مع إيران، خاصّة بالنّسبة لدول الخليج العربيّة والعراق وبقيّة بلدان المشرق العربيّ، وكان ذلك الحديثُ يبتعدُ ويقتربُ لكنّه يلتقي دائمًا على ضرورة تعريف العرب لمصالحهم حتّى لا تتداخلَ مع مصالح الآخرين، فيجدوا أنفسَهم وُكَلاءَ لغيرهم في تنفيذ مخطّطات وتحقيق أجندات لا ناقةَ لهم فيها ولا جمل..؟؟

السّؤالُ الذّي أتصوّرُ أنّه لم يأخذ حقّه من الإجابات هو حول المسؤول عن تعريف تلك المصالح، وهل هي مهمّةٌ خالصةٌ للنّظم الحاكمة، أم أنّ لهم في ذلك شركاء حقيقيّون، لاَ أُجَرَاء تحرّكُهم الأهواءُ السّياسيّةُ والمصالحُ الآنيّةُ، فتتحكّمُ فيما تسيلُ به أقلامُهم وتجودُ به عقولُهم، فيسيروا في الاتّجاهِ المعاكسِ للمصالح الحقيقيّةِ للأمّة.

إنّ أكثر حكوماتنا العربيّة تعاني من ضغوطٍ وتواجهُ تحدّيات الوقوف بقوّة أمام أباطرة العولمة المتوحّشة بشقّيها السّياسيّ والاقتصاديّ، وهكذا سوف لن تتمكّنَ من تعريفِ المصالحِ بصيغةٍ جَامِعَةٍ مَانِعَة..؟؟

صيغةٌ تجمعُ جميعَ مصالح البلدان العربيّة، وتمنعُ مصالحَ الأَغْيَارِ الإقليميّين أو الدّوليّين.

وهكذا تصبحُ الحاجةُ ماسّة إلى مراكز دراسات مستقّلة وجادّة، ومجتمعٍ مدنيّ حقيقيّ، وَرَأْيٍ عامّ واعٍ إلى درجةٍ تمكّنُه من الاختيار الحرّ والضّغط في الوقت المناسب لمساعدة الحكّام على اتخاذ قرارات تخدمُ الأمة.. ضغطٌ هو من قبيل الحماية لهؤلاء الحكّام من تهديدات أمريكا ومَنْ شَايَعَهَا.. ضغطٌ تدفعُ به الحكوماتُ في وجه سادة العولمة لتقولَ لهم إنّنا أمّةٌ ذاتُ سيادة وإنّ صورةَ الحُكْمِ عندنا انعكاسٌ لإرادة الشّعب، فَدُونَكُم هذا المواطن الواعي المتحضّر الحريص على مصالح بلده.. خَاطِبُوهُ وأَقْنِعُوهُ إن وجدتم إلى ذلك سبيلا.

إشاراتٌ ومسائلُ كثيرةُ تطرّقَ إليها المتدخّلون في النّدوة، وتستحقُّ جميعُها الشّرحَ والتّعميمَ عبر وسائل الإعلام لتصلَ إلى الرّأي العامّ العربيّ (المنشود) حسب مستوياته المختلفة.. ومن هذه الإشارات أنّنا نتحدّثُ عن العلاقةِ مع دولةٍ لها رؤيةٌ واضحةٌ تسعى للوصول إليها بحلول عام 2025، حتّى لو شككنا في إمكانيّة تحقيقها.. رؤيةٌ تشملُ العالَمَ العربيّ، أو الدّول القريبة من إيران على الأقلّ.. فَمَا رؤيةُ العرب المقابلة..؟؟

وما هي الحالةُ التّي يرون أنفسَهم عليها خلال عقد أو عقدين أو ثلاثة من الزّمن القادم..؟؟؟

عندما يكون للعربِ رؤيتهم الصّافية النّقية سيتمكّنون من دخول مشروع شراكة، كما طرحَ بعضُ المتدخّلين في النّدوة، مع الدّول الإقليميّة الصاعدة مثل إيران وتركيا.. شراكةٌ ستكون متكافئة، لأنّنا حينها أهلُ رؤيةٍ واضحة مثلهم تماما، ولن نكون بأيّ حالٍ تحت عباءة برامج وسياسات وأجندات الآخرين، حتّى لو اشتركنا في بعض مراحل المسيرة، ورفعنا شعاراتٍ متقاربةً في هذا الوقت أو ذلك الموقف.

إنّ الرُّؤْيَةَ الواضحةَ هي التّي جعلتْ دولةً خليجيّةً صغيرةَ الحجم تحقّقُ إنجازاتٍ غير مسبوقة في مجالات متعدّدة، ومن هناك تحوّلتْ من شبهِ جزيرةٍ صغيرةٍ إلى دولةٍ عظيمة بإعلامها ومؤتمراتها ووساطاتها وعلاقاتها، ولعلّ من أحسن ما لاحظتُ في عناوين أخبار صحفِ ذلك البلد هو الرّبط الجميلُ بين الإنجازات ورؤية الدّولة، على شاكلة: تماشيًّا مع رؤية الدّولة الوزيرُ الفلانيّ يفتتحُ أو يدشّنُ أو يعطي إشارةَ الانطلاق.. **فَإِلَى الرُّؤْيَةَ ثُمَّ الرُّؤْيَةَ ثُمَ الرُّؤْيَةَ.. حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ جَمِيعًا: مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ وَمَنَ الْأَمِيرِ إِلَى الْخَفِير.**

2010-12-25

الْمَهْدِي الْمُنْتَظَر

تصاعدٌ بيانيّ في مستوياتِ الاحتجاجِ والمطالبةِ خاصّة في محافظاتِ الوسطِ والشّمال، هذا ما يشهدُهُ العراقُ منذ عدّة شهور.. وتتضاعفُ المخاوفُ أكثر عندما يخرجُ رئيسُ الوزراء نوري المالكي بتحذيراته وتهديداته المباشرة لمعارضيه خاصّة أهل السّنّة منهم، ثمّ تَتلُو تلك التّصريحات تفجيراتٌ في عدّة مدن عراقيّة.. وتتحمّلُ القاعدةُ، أو دولةُ العراق الإسلاميّة، المسؤوليةَ كالعادة.. ويُطْوَى الملفّ في انتظار ملفّات مشابهة.

هذا المشهدُ العراقيُّ ليس وليدَ صدفة، ودون أيّ مقدّمات أو تراكمات سابقة دامتْ عدّة سنوات، كما أنّه ليس وليدَ مؤامرةٍ خارجيّةٍ مفاجئةٍ تمَّ التّخطيط لها وتنفيذُها بين عشيّةٍ وضحاها في غفلةٍ من الحكومةِ العراقيّة.. وهكذا يبدو كلام المالكي، وأنصاره، سطحيًّا وهو يتحدّثُ ويعلّقُ ويردّ على الاحتجاجاتِ والاعتصاماتِ ومظاهرِ رفضِ الحالِ الذّي آلت إليه بلادُ الرّافدين..

سطحيٌّ لأنّه يختصرُ كلَّ ذلك الحَراك الشّعبيّ والحزبيّ في المؤامرةِ القادمةِ من وراء الحدود.

لقد دخلت القّواتُ الأمريكيّةُ العراقَ غازيّةً قبل عشر سنوات، ولم تكن وحيدةً غريبةً طريدةً في تلك البلاد، فهي أذكى من أن تدخلَ منفردةً.. فمن دخل معها يا ترى من الفصائل والطّوائف..؟؟

لقد حملتِ التّياراتُ والأحزابُ، التّي ينتمي إليها السّيد نوري المالكي، المشاعلَ أو الأضواءَ الكاشفةَ لتُنيرَ طريقَ القوّاتِ الأمريكيّةِ الغازيّة، ولم تكن أغلبُ عناصر تلك التّيارات والأحزاب قادمة من منافي لندن وباريس وواشنطن، وغيرها من العواصم الغربيّة، بل وفدتْ من (قُمْ المقدّسة) في بلاد الجمهوريّة الإسلاميّة التّي رفعتْ لواءَ العداءِ لأمريكا وإسرائيل، وعزفتْ، وما زالت تعزفُ، على وَترِ المقاومةِ والدّفاعِ عن فلسطين وتحريرِ المسجدِ الأقصى الأسير..؟؟؟

لقد تدفّقَ الآلافُ من العراقيّين، وآخرون معهم، وساروا جنبا إلى جنب مع القوّات الأمريكيّة الغازيّة وساهموا في استباحةِ العراقِ خاصّة المناطق الوسطى منه، ثمّ سعوا بكلّ ما أوتوا من قوّةٍ للسّيطرةِ على مفاصلِ الدّولةِ الجديدةِ خاصّة قوّات الأمن والدّفاع، وهكذا تحوّلتْ تلك المليشيات، التّي تدرّبتْ في الخارج وتشرّبتْ الحقدَ الطائفيَّ الأعمى، إلى عناصر وقيادات تحملُ النّياشين والرّتب، وتتصرّفُ في ميزانيّات ضخمة، وتمتلكُ صلاحيّات الدّهم والتّفتيش والاعتقال والتّعذيب والانتهاك والقتل والتّشريد..؟؟؟

سارَ قطارُ العراق من مرحلةٍ إلى أخرى، وتعثّرَ هنا وهناك خلال تلك المرحلة التّي رَعَتْهَا واشنطن حتّى انسحبتِ القوّاتُ الأمريكيّة وتركتِ البلادَ لأهلها.. ومع أنّ

خطوةَ الانسحاب تعدّ مكسباً بشكل أو آخر، إلاّ أنّها دشّنتْ مرحلةً جديدةً شعارُها التّهميش والطّائفيّة، والسّببُ واضحٌ وهو أنّ تلك القوّات، أو الإدارة التّي أرسلتها، مكّنتْ لطائفةٍ عراقيّة دون أخرى لأمرين أو سببين أحلاهما مُرّ...؟؟

فإمّا لِصَفْقَةٍ سرّيةٍ أبرمتْها الإدارةُ الأمريكيّةُ مع نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في طهران، أو لغرضِ دَفْعِ العراقِ إلى مزيدٍ من الدّمار المادّيّ والسّياسيّ والاجتماعيّ عبر صراع الطّوائف والمذاهب والأحزاب، حتّى لا تقوم له قائمةٌ في المدى المتوسّط فضلا عن القريب.

وتعفّنتِ الأوضاعُ السّياسيّة والاجتماعيّة فعلا بعد رحيل القوّات الأمريكيّة، وظهرَ نوري المالكي على حقيقته، وأخرجَ مخزونَه الاحتياطيّ من الاستبداد والدّكتاتوريّة، وهو مشكورٌ على ذلك فقد قدّمَ لنا درسًا واقعيًّا جديدا مفادُه أنّ الدّيمقراطيّةَ سلوكٌ وتربيةٌ وممارسةٌ عمليّةٌ يتعاون فيها الجميع، وليست أوراقًا وصناديقَ مهما بَدَتْ شفّافةً ونزيهةً، ومهما انهالَ عليها من تزكيّاتٍ وثناءِ المنظّماتِ الوطنيّةِ والدّوليّة..!!

عند الحُكْم على ظاهرِ ما يحدثُ في العراق نجدُ أنفسنا مع نوري المالكي في اتّهامه للمعارضة، ووصفِ ما يحدثُ من اعتصاماتٍ ومظاهراتٍ واحتجاجاتٍ بالانقلاب على الشّرعيّة الانتخابيّة.. نعم هو عينُ الصّواب عندما نراقبُ المشهدَ ونرسمُ صورتَه الخارجيّة الظّاهرة للعيان فقط، دون غوصٍ في الأسبابِ والخلفيّاتِ والتّراكماتّ والمعادلاتّ الدّاخليّةّ والإقليميّةّ والدّوليّة.

لقد أراد المالكيّ من الآخرين التّفكير بسذاجة..

أَيْ... انتخاباتٌ ديمقراطيّةٌ فازت فيها أغلبيّةٌ وإن كان ولاؤها للدّولة الجارة إيران.. وعلى الجميع أن يحترموا الوضعَ القائم.. وينتظروا حتّى تنتهي العهدة، وعبر صناديق الانتخاب مرّة أخرى تتحدّدُ الأغلبيّةُ البرلمانيّةُ والحكومةُ الجديدة، ومعها برنامجها وسياساتها ونظرتها لما يحدث على الحدودِ الشّرقيةِ حيث العلاقة مع إيران، والحدود الغربيّة حيث التّعامل والتّفاعل مع سوريا الثّورة أو سوريا ما بعد الأسد.

كلامٌ جميلٌ جدًّا، وتنظيرٌ رائع للدّولِ الدّيمقراطيةِ الحرّةِ التّي اكتملتْ فيها المؤسّساتُ ونضجت، وتعلّمَ النّاسُ الحركةَ والنّشاطَ والخصامَ والجدلَ في إطار حدود المصلحة العليا للوطن، وتشرّبتِ الأحزابُ احترامَ الآخر فكرةً وممارسةً، وصارَ الصّندوقُ فعلا هو القاضي العادل بين الجميع.

لكنّ الأمرَ في العراق يختلف عن تلك الصّورة الورديّة التّي تعيشُها دولٌ ديمقراطيّة في الشّرق أو الغرب.. إنّها مرحلةٌ انتقاليّة ما زالت تتقاذفها أمواجُ الدّاخلِ والخارج، وتتلاعبُ بها رياحُ الأهواء السّياسيّة وتدنّسُها أدرانُ الانتقامِ وسنوات الاستبداد الطّويلة التّي عاشَها العراقيّون تحت حكم البعث، ومن ثمّ دفعتْ بهم إلى وضعيّة الفرقاء المتشاكسين أو الأعداء المتنازعين.

يتحدّثُ السّيد نوري المالكيّ عن جهاتٍ خارجيّةٍ تدعمُ المعارضةَ، ويلمّحُ إلى محورٍ إقليميّ يخلطُ الأوراقَ في العراق، حسب رأيه، ويجرُّ البلادَ إلى حربٍ طائفيةٍ لن ينجو من نيرانها أحد، لكنّه يتغافلُ ويتجاهلُ المحورَ الذّي يلعبُ فيه هو وحزبُه والمؤتلفون معه، ويدورون معه أينما دار..!!

إذا كان بيتُك من زجاجٍ فلا ترمي النّاسَ بالحجارة.. وهكذا إذا كان المالكي لا يتحرّجُ من الانحيازِ إلى المحورِ الإيرانيّ وأجندته في المنطقة؛ فليس من حقّه البكاء على العراقِ واتّهامِ المعارضةَ بتلقّي الدّعم الخارجيّ.

يقدّمُ الرّجلُ نفسه على صورةِ المهدي المنتظر الذّي يعرفُ وحده مصلحةَ البلاد وشعبها، ويدركُ الصّحيحَ من الخطأ في التّعامل مع دول الجوار والقضايا الإقليميّة.. أبدا.. **إِنَّهَا مَحَاوِرُ فَاخْرُجْ أَنْتَ أَوَّلاً مِنْ مِحْوَرِكَ وَأَخْلِصْ لِوَطَنِكَ.. ثَمَّ اطْلُبْ الْخُطْوَةَ ذَاتَهَا مِنْ الآخَرِين.**

2013-03-10

هَلْ يَخَافُونَ الْقَضَاء..؟؟

بعد أن استتبّ له الأمرُ في العراقِ وسَادَ الأمنُ بين النّاس من جديد وخافَ بطشَه الصّغيرُ والكبير، عمدَ إلى تجربةٍ مثيرةٍ جدًّا حِينَ جاءَ بِعِقْدٍ ثَمِينٍ تبلغُ قيمتُه ثلاثة آلاف دينار، وهي ثروةٌ كبيرة، وأَمَرَ بِإِلْقَائِه على قارعةِ الطّريق وفي مَوْضِعٍ يَرَاهُ الغادي والرّائح.. وبعد ثلاثةِ أيّامٍ متوالية كانت الإثارةُ والمفاجأةُ، وجاءت النّتائجُ إيجابيّة مائة في المائة.

إنّه الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ المتُوفّى قبل نهاية القرن الأوّل الهجريّ بخمس سنوات، والذّي وَلاّهُ الخليفةُ الأمويّ عبد الملك بن مروان على العراق حيثُ الفتنُ والعصيانُ وهيبة الدّولة المستباحة وسلامتها المهدّدة؛ فقرّرَ هذا الوالي إعمالَ القسوةِ وسياسةِ القبضةِ القويّة كما ظهرَ من أوّل خُطَبِه التّي اشتهرت في الأدب العربيّ، فالرّجلُ إلى جانب العسكريّة والسيّاسة ضليعٌ في لغة العرب حتّى قِيل إنّه من بين أربعةٍ لم يُلْحِنُوا في جدّ أو هزل وهم: الشّعبيّ وعبد الملك بن مروان والحجّاج وابن القرية.

هذا الرّجلُ، الذّي يمدحُه البعضُ بعددٍ من الفِعال، أعادَ الأمنَ إلى ربوعِ العراقِ لكنّه أراقَ دماءً كثيرة وقتلَ بمجرّد الشّبهة ونكّل بعلماء كبار.. خافَ النّاسُ على رؤوسهم لأنّ سيفَ الحجّاج كان سريعًا إلى كلِّ رأسٍ يقتربُ منه الشّكّ مهما بدا يسيرا..!!!

وهكذا كانتِ المفاجأةُ حيثُ ظلّ ذلك العِقْدُ الثّمينُ في مكانه ثلاثة أيّام متواليّة، دون أن يجرؤَ أحدٌ على أخذه والتّعريف به، فضلاً عن الاستحواذ عليه..!!

لا أحبُّ الإشادةَ بالحجّاج على الإطلاق، رغم مآثره التّي يذكرها تاريخُ الدّولة الأمويّة، ومنها تعريبه لديوان العراق الذّي كان يُكتب بالفارسيّة، إضافة إلى تأمينه لحدود الدّولة وتثبيت كيانها..

لا أحبّ ذلك... والسّببُ أنّ الرّجلَ أنموذجٌ للاستبدادِ العربيّ المتقدّم في الزّمن، أي منذ القرن الأوّل الهجري.

والظّلمُ والقتلُ بالرّيبة لا مبرّر له، وهكذا أتقزّزُ دائمًا عند سماعِ أيّ مدحٍ أو إشادةٍ برموز الاستبداد القديم أو المعاصر بحجّة أنّهم الأصلح لهذا الشّعب أو ذاك، وأنّ بعض الشّعوب لا تستقيم إلاّ بالعنف والقسوة..؟؟

وعليه فإنّ الاستدلال من قصّةِ الحجّاجِ يقتصرُ على جانبٍ واحدٍ هو استشعارُ العقوبةِ وخشية سيفِ أو سوطِ السّلطان، أو سلطةِ القانون إذا تحدّثنا بلغةِ ومصطلحاتِ هذا العصر.

إنّ الخوفَ من العقابِ واستشعارَ رقابةِ القانون سوف يضعُ حدًّا لمرضى النّفوسِ الذّين لا يردعهم وازعٌ من دينٍ أو خلقٍ أو ضمير.. وسوف تنكمشُ جيوبُهم الفضفاضة التّي تعودت على عدم الشّعور بالامتلاء، مهما سرقتْ ونهبتْ من المال العام.

في هذا السّياق يمكنُ فهم مجريات ما يحدثُ هذه الأيّام في مصر، أرض الكنانة.. حيث ذلك الجدل الواسع حول مؤسّسة القضاء وضرورة إصلاحها من خلال قانونٍ جديدٍ تنادي به الأحزابُ التّي تحوزُ أغلبيّةً في السّلطتيْن التّنفيذيّة والتّشريعيّة.

لا أريدُ الخوضَ في التّفاصيل، وتلك التّهم المتبادلة بين المدافعين عن القضاء المصريّ بشكله الحالي، والمطالبين بتعديل القانون.. فالطّرفُ الأوّلُ يتّهمُ الثّاني بالسّعي نحو صبغِ السّلطة القضائيّة بلون حزبيّ معيّن، ويردُّ الطّرفُ الثّاني بأنّ خصومَه يناصرون ثورةً مضادّةً تتمثّلُ في وجوهٍ وجيوبٍ معروفة في القضاء المصريّ..؟؟؟

والجدلُ في مثل هذه القضايا المصيريّة لابدّ أن يكون كبيرًا ومثيرًا في أيّ بلدٍ غير مصر، فكيف بمصر وحجم التّباينات والتّجاذبات التّي ظهرت بعد الثّورة، وألوان وأشكال وسائل الإعلام التّي تتنافسُ بحدّةٍ لتوجيه الرّأي العام..؟؟

لكنّ سؤالاً واحدا سمعتُه أكثر من مرّة رجّحَ الكفّةَ بالنّسبة لي، وجعلني أميلُ إلى الطّرفِ الذّي يدعو إلى إصلاحِ القضاء، وهذا السّؤالُ بسيطٌ للغاية وهو: إذا كان الجميعُ، تقريبا، قد اتّفقوا على فسادِ الحكمِ السّابق، وأنّه عاثَ خرابًا في الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والإداريّة، ولمدّة ثلاثين عاما.. فهل يُعْقَلُ أن يَتْرُكَ القضاءَ المصريَّ على حاله...؟؟؟ أَيْ أن يُحَيِّيهِ من بعيدٍ ويقولُ له: أَنْتَ فِي أَمانٍ وَسَلاَم...!!!

ولو فرضنا أنّ هذا الأمرَ مستساغ، وأنّ ذلك النّظام كان بريئًا من تهمةِ إفسادِ القضاءِ براءةَ الذّئبِ من دمِ يوسف بن يعقوب؛ فأين كان هذا القضاءُ من جولاتِ وصولاتِ المفسدين، وكيف ظلّوا يعربدون طوال ثلاثة عقود...؟؟؟

وهل يعقلُ أن تتركَ عصاباتُ الفسادِ القضاءَ على حاله، ولا تحاولُ شراءَ ذممِ عددٍ من رموزه وفاعليه..؟؟

ولو حدثَ العكسُ سيكونُ الأمرُ لغزًا محيّرًا أو مفارقةً عجيبةً أو معجزةً..!! أَيْ: حياةٌ سياسيةٌ وماليةٌ فاسدةٌ، ثمّ قضاءٌ نظيفٌ لم تَشُبْهُ شَائِبَةٌ خلال هذه السّنوات الطّويلة...!!!

طبيعيٌ أن يعملَ الفاسدون على تلويث القضاء، فيسنّوا قوانين ويتركوا بها ثغراتٍ يَنْفُذُونَ منها، وسوف يورّطوا قضاةً حتّى لا يتكلّموا، وسوف يُرهبوا آخرين بأكثر من وسيلة ووسيلة، ويدفعوا القسمَ الأكبر إلى الحياد السّلبيّ حتّى تتحوَلَ صورةُ العدلِ عندهم إلى حكمٍ على مجرمٍ سَرَقَ نَعْجَةً أو بقرة، أمّا الذّي ينهبُ أموالَ الدّولة فذاك (أفندي) محترم، ورجل طيّب القلب يقيمُ الموائدَ والخيامَ الرّمضانيّة، ويسدي المعروفَ إلى مستحقّيه، ويرسلُ النّاسَ إلى الحجّ والعمرة على نفقته الخاصّة...!!!

إنّ القضاءَ المصريّ في حاجةٍ إلى إصلاحٍ حقيقيّ حتّى يرتدعَ المجرمون والفاسدون، ويدركوا أنّهم ليسوا في مأمنٍ إلى الأبد، وأنّ عدالةً الأرض قريبةٌ منهم، بعد أن تَنَاسَوْا عدالة السّماء.. وإذا كان الأمرُ قد وصلَ إلى ذلك الحدّ المثيرِ هناك على ضفاف النيل؛ فهو كذلك في الجزائر، بشكلٍ أو بآخر...؟؟

وَمَنْ يَرَى أنّ هذا الكلامَ مجافيًا للحقيقة، فما عليه سوى تفسير ما يحدثُ من توالي وتزايد الفضائح الماليّة، وانتقالها من مستوى الاختلاسات العاديّة إلى جرائم رهيبة في حقّ المال العامّ، **قَدْ تَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْخِيَانَةِ الْعُظْمَى وَالتَّآمُرِ عَلَى الْوَطَن.. فَهَلْ يَخَافُ أَهْلُ الْفَسَادِ فِي بِلاَدِنَا مِنَ الْقَضَاء..؟؟**

2013-04-28

مَا هَكَذَا تُؤْكَلُ الْكَتِف..!!

يتربّعُ أمام جهاز التّلفزيون وفي يده أداة تحكّم.. يتفنّنُ في التّجوال بين القنوات الفضائيّة العربيّة والعالميّة بشتّى لغاتها ومشاربها وألوانها.. بعد فترة يشعرُ بالملل رغم العدد الهائل من الفضائيّات فيتحوّلُ إلى بحار الانترنت ويستعرضُ مهاراته في السّباحة، فيقضي ساعات وساعات.. بعد كلّ هذا قد لا يَروقُه شيء، فهو من النّوع الذّي لا يعجبُه العجبُ ولا الصّومُ في رجب، فماذا سيفعل..؟؟

سوفَ ينتقلُ إلى مستوى آخر غير التّلقّي.. سيبادرُ إلى مواقع التّواصل الاجتماعيّ، أو ما صارَ يُعرف بالإعلام الجديد، وهناك يقدّمُ أفكارَه للعالَم كلّه، عبر الفيسبوك وتويتر ويوتيوب والسّكايب ويبثُّ كلّ ما يشعرُ به إلى الآخرين من خلال الصّوت والصّورة والكلمة المكتوبة والرّسم السّاخر أو المُعَبِّر، وكلّ ما تُيَسِّرُه عوالمُ التّقنيّات الحديثة.

إنّه الآن في عالَم بلاد قيود أو حدود.. فمن هذا الإنسان يا ترى...؟؟

إنّه أنا وأنت والآخر وكلّ فردٍ في هذا العالَم توفّرتْ بين يديه خدمات الانترنت، وجميع إفرازات ومظاهر العولمة التّكنولوجيّة.. لكن.. ما الدّاعي لهذه الثّرثرة، وهذه العبارات المعروفة لدينا، فنحن نعيشُ عالمَنا اليوم، ولسنا في القرن التّاسع عشر، حتّى لا نتحدثَ عن تلك الحقبة التّي تُعرف بالقرون الوسطى..؟؟

دارتْ هذه المعاني في خاطري، وتمثّلتُ مشاهدَ الإنسان في عصر التّقنيّة والسّماوات المفتوحة، وأنا أقرأُ بيانَ وزارة داخليّة المملكة العربيّة السّعوديّة حول تصنيف عددٍ من الجماعاتِ والتّنظيماتِ في خانةِ الإرهابِ والإرهابيّين، ثمّ الإجراءات المطلوبة في هذا السّياق ليتحوّلَ الإعلانُ إلى نتائج ملموسةٍ على الأرض داخل المملكة وحتّى خارجها، حيثُ التّأثير المباشر لمؤسّساتها لِمَا لها من امتدادات ومصالح وعلاقات تبدأُ بالدّين والإشراف على البقاع المقدسّة، ولا تنتهي بالسّياسة والتّحالفات الإقليميّة والدّوليّة وما شابهها..!!!

حديثي لن يتطرّقَ إلى تلك الجماعات التّي ذَكَرَهَا البيانُ الرّسميّ السّعوديّ، وإن كانت إرهابيّة فعلا أم لا..؟؟

وأكثر من ذلك دعونا نتّفقُ على أنّ من حقّ المملكة ممارسة سيادتها الكاملة على أراضيها وشعبها، وتصنيف من شاءت في أيّ خانة شاءت...!!!

وإن كانت التّجاربُ الماضيّةُ والوقائعُ على الأرض تشيرُ إلى شيء آخر في بعض دول الخليج العربية، وهو الصّرامة، وحتّى القسوة، مع حَمَلة الجوازات والجنسيّات الآسيويّة..!! والوداعةُ واللّينُ وقّةُ الأدب مع السّادة أصحاب الجوازات الأمريكيّة والقادمين من العواصم العالميّة ذات الصّيت العالي مثل باريس ولندن وبرلين..؟؟

إذن... المشكلةُ ليست مع التّصنيف، وإن كان تصنيفُ الإخوان المسلمين ضمن الجماعات الإرهابية قد أوقعَ المملكةَ في وَرْطَةٍ حقيقيّة بعد أن ازدحمتْ مواقعُ التّواصل الاجتماعيّ بعروضٍ وصورٍ وأخبارٍ تروي تاريخَ العلاقة الطيّبة، والحميميّة في بعض المراحل، بين السّعوديّة والإخوان المسلمين من أيّام مؤسّس الجماعة حسن البنّا والملك عبد العزيز آل سعود مؤسّس الدّولة السّعوديّة الثّالثة..!!!

المشكلةُ في ملامحِ العودةِ إلى القرونِ الوسطى، والمقصودُ بها تلك الحقبة الزمنيّة المعروفة في التّاريخ الأوروبيّ حيث كان عدُّ أنفاسِ المعارضين ودعاة العلم والنّهضة هو العنوان البارز، في الوقت الذّي كان الشّرقُ يُحكمُ باسم الدّين الإسلاميّ لكنّه سمحَ في الغالب بمظاهر التّنوعِ الفكريّ والحريّةِ العلميّةِ والتّعدديّةِ المذهبيّةِ والدّينيّة، وعاشَ الحنابلةُ، وهم المتّهمون بالتّشدّد، في بغداد وحواضر المشرق وهي تموجُ بالأفكار والآراء وحتّى السّلوكيات، ولم يدفعهم ذلك للثّورةِ على العبّاسيّين بحجّة تفريطهم في الدّين بسبب مخاطر الحريّات الفكريّة والعقائديّة..؟؟

والمشكلةُ أيضا في نظرةِ المملكةِ لشبابها ومفكّريها والحكمِ عليهم بالسّجن المؤبّد بين جدران الرّأي الواحد، وهو سلوكٌ يدعو إلى الشّفقةِ والاستغرابِ والخوفِ على أرضِ الجزيرةِ العربيّة...

فأين نضعُ أقدامَنا..؟؟ وأين نسير..؟؟ ونحن في القرن الواحد والعشرين... عصرُ الفضاءات المفتوحة والحريّات شبه المطلقة، والإنسان الذّي يفكّرُ، ثمّ بِلَمْسَةِ زِرٍّ على هاتفه الذكيّ يُشْرِكُ الآلاف، وربّما الملايين، في رأيٍ أو حتّى طرفة تبعثُ على الضّحك.

والمشكلةُ أيضا في النّظرة البدائيّة للأمنِ والاستقرارِ واستمرارِ الأسرةِ السّعوديةِ الحاكمة، وهي مربط الفرس في قضيّة التّصنيفات هذه كما يرى البعض، حين يحدّدُ بيانُ وزارة الدّاخليّة السّعوديّة بالنّص: (كلّ من يخلعُ البيعةَ التّي في عُنُقِهِ لِوُلاَةِ الأمرِ في هذه البلاد..)....

قراراتٌ بدائيّةٌ فعلا لأنّ الشّعبَ السّعوديَّ لا يعيشُ في كوكبٍ آخر بعيد عن الأرض، فهو يواكبُ جميعَ إيجابيّات وسلبيّات العولمة السّياسيّة والثّقافيّة والإعلاميّة،

ولا يتصوّرُ عاقلٌ أنّه سيظلُّ طويلاً ضمن حالة الانفصامِ بين ما يراه من حوله وفي العالَم، وبين ما يسمعه في البيانات الرّسمية والأنماط القديمة من الولاء المطلق الذّي يرفضه العقلُ السّليمُ والفهمُ الصّحيحُ للإسلام على حدّ سواء.

حَارِبُوا مظاهرَ العنف والتّطرّف بتوفيرِ البيئاتِ الحضاريّة التّي تتطلّعُ إليها الشّعوب العربيّة، وتُوبُوا إلى الله من حكمِ النّاسِ وإخضاعهم وابتزازهم باسم الدّين، والدّين في وَادٍ وأوضاعُ البلادِ في وَادٍ آخر.

لَشَدَّ ما آلمني كلامٌ تتناقَلُه مواقعُ التّواصلِ الاجتماعيّ، حيثُ تخاطبُ رئيسةُ وزراء أستراليا السّابقة أحدَ المسلمين في بلادها قائلة: لماذا أنت متعصّب، لماذا لا تذهب وتسكن في السّعودية أو إيران..؟؟ ولماذا غَادَرْتَ دولتَك الإسلاميّة أو العربيّة أصلاً..؟؟ أنتم تتركون دولاً تقولون عنها إنّ الله بَارَكَهَا بنعمةِ الإسلامِ وتهاجرون إلى دولٍ تقولون إنّ الله أخزاها بالكفر.. من أجل الحريّة.. العدل.. التّرف.. الضّمان الصّحيّ.. الحماية الاجتماعيّة.. المساواة أمام القانون.. فرص عمل عادلة.. مستقبلٌ أفضل لأطفالكم.. حريّة التّعبير.. إذن لا تتحدّثوا معنا بتعصّبٍ وكُره.. قد أعطيناكم ما تفتقدونه.. احترمونا أو غادروا..!!!

وحول أستراليا أيضا حدّثني زميلٌ مشرقيّ، عاشَ هناك، كيف كان ينتظرُ دَوْرَهُ مرّة أمام مطعمٍ لبنانيّ خلال يوم عطلة، وقريبًا منه، وفي الانتظار أيضا، يقفُ رئيسُ وزراء البلاد حينها دون أيّ مظاهر أمنيّة.

مَا هَكَذَا تُؤْكَلُ الْكَتِفُ يَا سَادَة.. فَتّشُوا بصدقٍ عمّا يفتقدُه النّاس.. أَشْبِعُوا حَاجَاتِهِمْ الْحَقِيقِيَّةَ فِي حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ، حَكِّمُوا مَوَازِينَ الْعَدَالَةِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَحَوَاشِيكُمْ.. وَسَوْفَ يَدُومُ الْمُلْكُ بِإِذْنِ الله.

2014-03-16

الْمِحْوَرُ الثَّانِي

الْقَضِيّةُ الْمَرْكَزِيَّة

الصّرَاعُ مَعَ الْمَشْرُوعِ الصُّهْيُونِيّ
السّلاَمُ الْعَرَبِيُّ وَالْوَهْمُ الْمُزْمِن
غَزّة..... رَمْزُ الْعِزَّة

الاسْتِرَاتِيجِيَّةُ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ

الاستراتيجيّةُ مصطلحٌ اُسْتُخْدِمَ في اللّغةِ اليونانيّةِ القديمة، وكان يُقصدُ به القائد، وهو ما يعني أنّ الاستراتيجيّة عندهم هي فنُّ القيادة، أمّا المعاني والتّعريفات الحديثة لهذا المصطلح فهي كثيرة منها أنّ الكلمةَ تعني سياسة طويلة المدى للوصول إلى أهدافٍ محدّدةٍ باستخدامِ أفضلِ الوسائلِ فاعليّة، ومنها فنُّ تحقيقِ الغاياتِ الأمنيّة العليا بالاستخدامِ الأمثلِ للإمكاناتِ السّياسيّةِ والاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ، ومنها: فنُّ تعبئةِ وتوجيهِ مصادرِ الأمّةِ بما في ذلك القوّات المسلّحة من أجلِ تحقيقِ هدفٍ سياسيّ.

العربُ، أو الرّسميّون منهم تحديدًا، حَدَّدُوا خيارَهم الاستراتيجيّ في مسألتيْ الحرب والسّلام، وذلك منذ قمّة بيروت عام 2002، وهو ما يعني حسب التّعريفات السّابقة أنَّ القومَ مُصِرُّونَ بلا كَلَلٍ ولا مَلَلٍ على بذل كلّ الوسائلِ المتاحةِ لديهم عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا للوصولِ إلى هدفهم الاستراتيجيّ بعيد المدى... وهو السّلام..!!

العربُ أعلنوا، قمّةً بعد قمّة، أنّهم ملتزمون بالسّلامِ خيارهم الاستراتيجيّ، حتّى أنّ زعيمَ إحدى الدّول العربيّة الكبرى ذات الثّقلِ السّكانيّ والسّياسيّ قال مرّةً بشكلٍ مباشر إنّ "الحرب مُودَه قديمة" وهي دعوةٌ للعربِ أن يتركوا "الأفكار القديمة البالية" و "يَتَعَصْرَنُوا" ويَنْفُضُوا عن كواهلهم غبارَ الماضي..!!!

هكذا إذن... مع أنّ أكثر الدّول مدنيّةً وتقدّمًا علميًّا، وهي الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ما زالت تحاربُ كلّما خافت، مجرّد الخوف، على مصالحها، أمّا إذا مُسّتْ تلك المصالح بشكلٍ مباشر، فالويلُ والثّبورُ وعظائمُ الأمورِ لمن سوّلتْ له نفسُه ذلك، حيث يَشُنُّ "العمّ سام" حروبًا تقضي على اليابسِ قبل الأخضر، وتتركُ ساحةَ الحرب قاعًا صفصفًا، لا أثر فيها لسياسيّ أو ثقافيّ أو اجتماعيّ وحتّى لتاريخيّ.

محاولاتُ الوصولِ إلى الهدفِ الاستراتيجيّ عند كثير من الحكوماتِ العربيّةِ سلكتْ كلّ الطّرق والوسائل:

من اتّصالاتٍ فرديّةٍ وجماعيّةٍ مع إسرائيل، وحضورِ ملتقياتٍ دوليّة، والجلوسِ مع الإسرائيليّين على نفس الطّاولات، وتبادلاتٍ تجاريّةٍ واقتصاديّةٍ بين دولٍ عربيّةٍ وإسرائيل.. فضلا عن الاتّصالاتِ والعلاقاتِ السّرية، التّي تحرصُ أنظمةٌ عربيّةٌ على إخفاء أيّ أثرٍ لها، لكنّ صُحُفًا عبريةً تكشفُ النّقابَ عنها من حين لآخر.

طريقٌ واحد تَجَاهَلَهُ العربُ تمامًا وهو "العسكريّ" الذّي يدخلُ أيضا في تحقيق الاستراتيجيّة والوصولِ إلى الأهدافِ بعيدةِ المدى، حتّى لو كان الهدفُ هو السّلامُ والوئامُ وتركُ الحرب والخصام، ولا غرابةَ في ذلك فكثيرٌ من الاتّفاقيّاتِ والمعاهداتِ والتّفاهماتِ الدّوليةِ قديمًا وحديثًا تحقّقتْ بعد نصرٍ عسكريّ كبيرٍ أو تغيّرٍ ملحوظٍ في موازين القوّة، أو تصاعدٍ متكافئٍ في قوّةِ الطّرفيْن المتصارعيْن يدفعهما إلى اليقينِ المطلقِ بأنّ الحربَ صارتْ وبالًا على الجميع، والمنتصرُ فيها هو أوّل الخاسرين.

دولة إسرائيل، الشّريك المُفْتَرَض والمتردّد في السّلام، تعيشُ في وادٍ آخر على ما يبدو، فهي في معزلٍ عن تفكيرِ "شركاء السّلام الجاهزين المُبَادِرِين"، ويظهرُ من تحرّكاتها دائما أنّها لا تؤمنُ بشيءٍ يسمّى السّلام أصلا، وإذا آمنتْ به على مَضَضٍ ومن باب موازنات الرّبح والخسارة، تظلُّ على عقيدتها السّابقة التّي قامتْ عليها أساسا وهي العضُّ على القوّة العسكريّة بأقصى جهد ممكن، فالسّلامُ عند هؤلاء القوم الوافدين من كلّ أقطار العالَم لا يتحقّقُ إلا بالتّفوّقِ العسكريّ على الطّرفِ الآخر، وامتلاكِ سلاح الرّدع النّوويّ، فضلا عن ترسانة الأسلحة التّقليديّة..!!

هذه العقيدةُ أو التّوجّهاتُ "الاستراتيجيّة" عبّرتْ عنها إسرائيل من خلال مناوراتها وتدريباتها الأخيرة التّي وُصفتْ بأنّها الأكبر في تاريخ الدّولة العبريّة..

نعم.. مناوراتٌ عسكريّةٌ لم تقتصرْ على القّواتِ النّظاميّةِ وحدها، بل تدرّبَ المسؤولون المدنيّون خلالها على العملِ والقيادةِ من المخابئ، والجاهزيّة لمواجهة أيّ حرب..؟؟

يعرفُ ساسةُ إسرائيل أكثر من غيرهم أنّ الأنظمةَ العربيّةَ الحاليّةَ لا تفكّرُ في الحربِ إطلاقًا لأنّها اندمجتْ في الزّمنِ الأمريكيّ المتجبّر بشكل أو بآخر، وإعلان أيّ نظام عربيّ الحربَ على إسرائيل هو حربٌ مباشرة على الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فالأخيرةُ لم تتركْ مناسبةً كبيرةً أو حقيرةً إلا وأكّدتْ حرصَها المطلق على أمنِ إسرائيل، وبالتّالي

فإنّ المناوراتِ العسكريّةَ والاستعدادَ الدّائم للحربِ يؤشّرُ إلى أنّ الدّولةَ العبريّةَ هي وحدها من يفكّرُ في الحرب، وربّما تخطّطُ لها بشكلٍ فعليّ، فلا دخان بدون نار.

يتحدّثون عن السّلام ويواصلون مفاوضاتِهم العبثيّة مع السّلطة الفلسطينيّة، لكنّهم يعلنون كلّ مرّة أنّهم لا يريدون إلا سلام الفتات، وتنازل الطّرف الآخر عن كلّ شيءٍ لأجل لا شيء...!!!

ولا أدلّ على ذلك من آخر تصريحات وزيرةِ خارجيّةِ الدّولةِ العبريّةِ "تسيبي لِيفْنِي" الأخيرة التّي سبقتْ بها آخرَ جلسةِ مباحثاتٍ بين محمود عبّاس وإيهود ألمرت حيث قالت: "إنّ تل أبيب لديها خطوطٌ حمراء وهي ليست على استعدادٍ لتخطّيها"، وطالبتْ لِيفْنِي الأسرةَ الدّوليّةَ بضرورةِ تفهّمِ عدم قدرةِ إسرائيل على تخطّي تلك الخطوط، خاصّة المتعلّقة بمسائل أساسيّة مثل القدس والحدود واللاجئين.

نعم.. يريدون سلامًا دون الحديث عن أهمّ القضايا وأعدلها وأقدسها لدى العرب والمسلمين، ويعزّزون عنادَهم بالتّفوّق العسكريّ والسّلاح النّوويّ والدّعم الأمريكيّ المطلق.

وَفِي الْمُقَابِلِ نَجِدُ عَرَبًا يُنَادُونَ بِالسَّلاَمِ الاسْتَرَاتِيجِيّ، وَلَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ أَيّ شَيْئ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الاسْتِرَاتِيجِيّة...!!!

لا استعداد.. ولا تلويح بالقوّة... حتّى في أحلكِ الظّروفِ وأسوأ المجازرِ والهجماتِ الإسرائيليّة على الشّعبِ الفلسطينيّ، ولا حتّى أقلّ من ذلك عبر دعمِ المقاومةِ والصّمودِ بشكلٍ فاعلٍ يكبحُ بعضَ غطرسةِ العدو، على الأقلّ، إذا تعذّرَ على الجيلِ العربيّ الحاليّ مسحُ العارِ من الأساسِ وإعادة ما اندثر من عزّةٍ وكرامة.

2008-04-10

مَشْرُوعَانِ فَقَطْ لاَ ثَالِثَ لَهُمَا

خمسةُ ملايين دولار شهريًّا هي مجموعُ ما يصلُ حزب الله اللّبنانيّ المقاوم من نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.. هذا ما أخبرني بي صحفيٌّ لبنانيٌّ جمعتني به زمالةٌ صحفيّةٌ خارج الوطن، وكان هذا الزّميلُ أصدقَ مِثَالٍ على التّنوّع والفسيفساء اللّبنانيّة، فهو شيعيّ الطّائفة أو الأصل، وشيوعيّ الانتماء السّياسيّ والعقيدة والنّظرة للكون والوجود.

هذا المبلغُ اليسيرُ جدًّا، في ميزان الأنظمة العربيّة خاصّة البترولّية منها، هو ما يحرّكُ ويديرُ به السّيد حسن نصر الله وجماعتُه المحافلَ الإعلاميّةَ والسّياسيّةَ والعسكريّةَ، وشبكةَ الخدماتِ الصّحيّةِ والتّعليميّةِ، وكفالاتِ الأيتام وأرامل الشّهداء ومساعداتِ عائلاتِ الأسرى والمعطوبين، وغير ذلك من النّشاطاتِ والفعاليّات.

وقد يؤدّي عدمُ الدّقّةِ في النّقل، أو هشاشة أرقامِ المصدرِ المنقولِ عنه، إلى جَرْحٍ ومن ثمّ ردّ رواية زميلي اللّبنانيّ الشّيعيّ الشّيوعيّ، وبالتّالي فإنّ المبلغَ أكثر من ذلك أو أقل..؟؟

ومع ذلك دعونا نتجاوزُ المبلغَ ذاتَه، ونتجاهلُ الرّقمَ إلى ما وراءه، ونفكّرُ في فعلِ القوم... أقصدُ الإيرانيّين.. وفعل القوم الآخرين، وأقصدُ دول الثّقل السّنيّ مشرقيّةً كانت أم مغربيّة، دون أيّ نوعٍ من أنواعِ التّصنيفِ والتّصفيفِ على أساسِ المذاهب، فالأساسُ الذّي أرى أنّه الصّوابُ المحضُ هو أيَّ شكلٍ من أشكالِ التّعاونِ والوحدة العامّة التّي تحفظُ كيان الأمّة، مع حريّة بل ومشروعيّة الاحتفاظِ بالخصوصيّاتِ الثّقافيّةِ واللّغويّةِ والمذهبيّة، فالأرضُ تسعُ الجميعَ والدّين كذلك، ولنا في الحوار والتّحقيق العلميّ النّزيه مندوحة وفسحة ومخرجا من الصّراعاتِ والمبارزاتِ الكلاميّةِ والفعليّة، ويوم القيامةِ يلتقي الجميعُ عند ربّ الجميع، ليحكمَ بين الجميع ويجازي الجميعَ بما فعلَ وبما صنع، ويدركُ الجميعُ يومها من كان على الحقِّ المبين ومن كان قريبًا منه ومن كان في حِماه وحوله.

إنّ الدّعمَ الإيرانيّ لحزب الله اللّبنانيّ المقاوم الصّامد يعتبرُ تافهًا جدًّا إذا وضعنا في الحسبان ما تصرفُه بعضُ الزّعامات العربية، أدام الله ظلّها، في حفلاتها ومؤتمراتها ومصايفها ومظاهر البذخ الرّسميّ والخاصّ في دولها...؟؟؟

وحتّى ما ينفقُه عددٌ من الأثرياء العرب... من خلال اليسير البسيط الذّي يصلُنا من الأرقام والحسابات والأهوال التّي تتسرّبُ إلى وسائل الإعلام وتجدُ طريقَها إلى النّشر...؟؟؟

حديثٌ طويلٌ يدور عن الكيفيّة التّي تفرّدَ بها حزبُ الله بالجنوب اللّبنانيّ، وكيف صارَ المحتكرَ الوحيدَ للسّلاح والمقاومةِ والرّدع، وحديثٌ أطول وأعلى صوتًا يدورُ حول الدّعمِ السّوريّ والإيرانيّ لهذا الحزب الذّي "أعلنَ الشّموخَ في زمن الانكسار"، وحقّقَ الانتصاراتِ في زمنِ الإدمانِ العربيّ لكلّ أشكالِ وأنواعِ الهزائم الثّقافيّة والسّياسيّة والعسكريّة..؟؟؟

ويطولُ الحديثُ ويتشعّبُ ليصلَ إلى "مآرب أخرى" تريدُها الدّولتان من وقوفهما ودعمهما للمقاومةِ في لبنان وفلسطين المحتلّة، خاصّة تلك المآرب الإيرانيّة التّي تزدادُ وضوحًا وخطورةً عند مقارنتها بالدّور الإيرانيّ المثير للجدلِ في العراق قبل وأثناء وبعد الغزو الأمريكيّ المشؤوم.

ووسط هذا الخضمّ المتلاطم من الاتهّامات والشّكاوى والتّحذيرات يُطِلُّ سؤالٌ بريءٌ برأسه ليقول: أين أنتم أيّها الدّاعمون المخلصون بلا مآرب وأغراض، أين كنتم طوال السّنوات الماضية..؟؟

ثلاثةُ عقودٍ كاملة لم تستطع الدّولُ العربيّةُ "السّنّية" تشكيلَ وبعثَ عملٍ مقاومٍ يستمرُّ في حمل راية المقاومة في لبنان، ويحفظُ ماءَ وجه الأمّة الذّي أراقته مؤتمراتُ الاستجداءِ والاستسلام...؟؟؟

فشلٌ أو تقاعس... وعندما تعلو رايةُ حزب الله، ويرتفعُ صوتُ انتصاراته؛ يستيقظُ القومُ من سباتهم العميق، ليتحدّثوا سرًّا وجهرًا، كنايةً وتصريحًا عن الشّيعة ومخطّطات الشّيعة، وَتُقْيَة الشّيعة... وتتكاتفُ في ذلك وسائلُ إعلام، وعلماءُ دين، وأقلامُ رأي، ورجالُ سياسة ودبلوماسيّة، وكلُّ من استطاعَ القومُ "الكرام" تجنيده وضمّه إلى الجوقة.

إنّنا اليوم في نقطةِ انعطافٍ حادّة، وليس أمامنا إلا خيارين لا ثالث لهما: المشروعُ المُقَاوِمُ المدافعُ عن الكرامةِ والحقوقِ والدّاعي إلى الصّمود مهما كانت الظّروف، والمشروعُ التّابعُ لأمريكا المدافعُ عن مصالحها، ليس حبًّا فيها بالضّرورة، فقط لأنّ بقاءَ رموزِ هذا المشروع وازدهارهم مرتبطٌ بالمشروع الأمريكيّ للمنطقةِ كلّها.

مشروعٌ واضحٌ في دفاعه عن الثّوابت والحقوق، واستهزائه واستهتاره بكلّ أشكال التّهديدِ والوعيدِ الأمريكيّ، ومشروعٌ يدورُ في فلك العمّ سام وبوش وكونداليزا، ويُسَوِّقُ بكلّ ما أُوتِيَ من جهودٍ وطاقاتٍ لهم ولأفكارهم وحلولهم وأطروحاتهم ورؤيتهم لمستقبل المنطقة، وحتّى العالَم أجمع.

إنّ بعض زعاماتِ دولنا العربيّة قد غاصتْ في مستنقعِ اللّعبةِ الأمريكيّةِ إلى أعلى الرّأسِ بعد أن لمستْ أطرافَ ذلك المستنقعِ بأخمصِ القدمين فقط في البداية...!!!

وسارتْ تلك الزّعاماتُ مع الوعودِ تلو الوعود، وتدحرجتْ مع عمليّةِ السّلامِ في كلّ محطّاتها من مدريد إلى أنابولس، وما زالتْ تطالبُ بحدودٍ دنيا من الحقوقِ التّاريخيّةِ والواقعيّة، وما زالتْ تَتَلَقّى الابتساماتِ تلو الابتسامات خلال اللّقاءات العلنيّة والمؤتمرات الصّحفيّة، ولُدِغَتْ هذه الزّعاماتُ من جُحْرٍ واحدٍ عدّة مرات، وما كان ينبغي لها ذلك، **فَمِنَ الْمُخْجِلِ التَّعَثُّرَ بِالْحَجَرِ نَفْسِهِ مَرَّتَيْنِ مُتَتَالِيَتَيْنِ، فَكَيْفَ بِمَنْ صَارَ الْحَجَرُ مُلازِمًا لِحِذَائِه.**

2008-05-15

سُكُوتٌ مِنْ ذَهَب

الصّراعُ على السّلطةِ بين طَرَفَيْ النّزاع في البيت الفلسطينيّ الواحد... وَصْفٌ يَحْلُو لبعض المحلّلين والمعلّقين والصّحفيّين التّعبيرَ به عن حالةِ الانقسامِ الفلسطينيِّ التّي تشهدُها الأراضي الفلسطينيّة منذ استيلاء حركةِ المقاومةِ الإسلاميّةِ حَمَاس على زمامِ الأمورِ في قطاعِ غزّة.

الصّراعُ بين حركتيْ فتح وحماس في فلسطين هو صراعٌ على السّلطةِ كما يبدو في الظّاهر، فالحركتان انخرطتَا في سجالٍ مستمرٍّ ومتزايدٍ منذ قرّرتْ حركةُ حماس المشاركةَ في الانتخاباتِ التّشريعيّة، ثمّ فازتْ بأغلبيّةٍ أهّلتْهَا لتشكيلِ حكومةٍ تحت مظلّةِ السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ ورئيسها محمود عبّاس.

والحقيقة التّي تنجلي مباشرةً دون كثير عناء بعد التّأمّل والتّدبّر هي أنّ الصّراعَ بين قطبيْ الرّحَى في فلسطين هو صراعُ توجّهاتٍ وأفكارٍ وبرامج بل واستراتيجيّات، وأكثر من ذلك هو صراعُ قوًى دوليّة وإقليميّة وعربيّة تجسّدَ في النّزاع القائم بين حركتيْ فتح حماس، كما يتجلّى بصورٍ أخرى في العراق وأفغانستان ودولٍ عديدةٍ في عالَمنا الثّالث المغلوب على أمره.

جذورُ الصّراع بين الحركتين أو الاتّجاهين في فلسطين تعودُ إلى ما قبل سنوات اتّفاق أُوسْلُو ومؤتمر مدريد للسّلام، عندما اختارتْ منظّمةُ التّحرير الفلسطينيّة، وفصيلُها الرّئيسيّ فتح، طريقَ الاعتراف بدولة إسرائيل والمفاوضات لتحقيق حلم الدّولة الفلسطينيّة على جزء من أرض فلسطين التّاريخية، ولتتجاورَ تلك الدّولة المنتظرة بطبيعة الحال مع الدّولة العبريّة.

وبينما برزتْ حركةُ المقاومةِ الإسلاميّةِ حماس بشكلٍ رسميّ نهاية عام 1987 مع انطلاقِ الانتفاضةِ الفلسطينيّةِ الأولى، كانت حركةُ فتح في ذات الوقتِ تستعدُّ للدّخولِ في مرحلةٍ جديدة، وتَتَالَى الأحداثُ بعد ذلك لتصلَ قاطرةُ المفاوضاتِ إلى محطّةِ أُوسْلُو ولتدخلَ حركةُ فتح، ومعها بعض فصائل منظّمة التّحرير الأخرى، إلى أجزاء من الضّفة الغربيّة وقطاع غزّة، وتبدأَ الوعودُ منذ ذلك الحين بالدّولةِ الفلسطينيّةِ وعاصمتها القدس الشّريف، ولتتعثّرَ المسألةُ لاحقًا عندما اصطدمتْ بعقباتٍ عدّة بينها الإصرارُ الصّهيونيُّ على مدينةِ القدسِ شرقيّها وغربيّها عاصمةً للدّولة العبريّة، وحقّ اللاّجئين في العودة، ونسبة الأراضي التّي ستتنازلُ عنها دولة الاحتلال لصالح الدّولة الفلسطينيّة الموعودة.

حركةُ حماس تطوّرتْ بعد الانتفاضةِ الأولى، وانتقلتْ من الحجارةِ والخناجرِ والسّكاكين، إلى الأحزمةِ النّاسفة، ثمّ البندقيّة والرّشاش، والصّواريخ لاحقًا، ومعها بطبيعةِ الحال فصائلُ فلسطينيّةٌ أخرى بينها كتائب شهداء الأقصى المنتمية لحركةِ فتح بشكلٍ أو بآخر.

وظلّت حماس، ومن يقاربُها فكرًا وعملا، تؤمنُ بفلسطين التّاريخية من النّهر إلى البحر، وتعملُ ضمن استراتيجيّة طويلة الأمد لإبقاءِ جذوةِ الصّراع مشتعلةً، حتّى وإن أيقنتْ أنّ موازين الْقِوَى الدّوليّة في غير صالح الفلسطينيّين والعرب حاليا.

ومع أنّ حماس لا تمانعُ في القبول مؤقّتًا بحدودِ عام 1967، فقد ظلّت تؤكّدُ على أنّ الصّراعَ مع الصهاينة صراعُ وجودٍ وليس صراعُ حدود، وأصرّتْ دائمًا على نظرتها لدولة إسرائيل على أنّها جزء من مشروعٍ استعماريٍّ غربيٍّ يهدفُ إلى تمزيقِ وحدة العالَم العربيّ، قلب العالم الإسلاميّ، وإلْهَائِهِ بهذا الكيان الغريب الدّخيل.

وترى حركةُ حماس، وفصائل أخرى، أنّ المسيرةَ السّلميّةَ خاطئةٌ من أساسها، وأنّ خطابات الاعتراف المتبادل بين منظّمة التّحرير الفلسطينيّة ودولة إسرائيل لا تغيّرُ من واقع الحال شيئا، وتنتقدُ بشدّة حذف الجُمَل والعبارات الدّاعية إلى القضاء على إسرائيل من ميثاق منظّمة التّحرير..

ولاحقًا صارتْ ترى في المفاوضاتِ العقيمة بين السّلطة الفلسطينيّة والحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة محاولةً لتميّيع القضيّة الفلسطينيّة وتصفيّتها نهائيا.

إذن هذا هو المشهدُ الحاليُّ الفلسطينيُّ شئنا أم أبينا...

تَعَاطَفْنَا مع حماس أم مع فتح...

إنّه صراعٌ بين طرفين: يرى أحدُهما أنّ القضيّةَ مازالتْ حيّة وقابلة للاستمرار، وقوتّها ومصيرها بيد الشّعب الفلسطينيّ... ويرى فيها الطرفُ الآخر، أو عناصر فاعلة فيه على

الأقلّ، مجرّدَ مفاوضاتٍ وقراراتٍ دوليّة وخارطة طريق، وما شابه ذلك من تسميّات ومصطلحات عرفتها القضيّةُ الفلسطينيّةُ خاصّة خلال السّنوات الأخيرة.

ومن المؤكّدِ في هذا السّياق أنّ الأخيارَ الوطنيّين في حركة فتح ومن معها كثيرون، وقد تجدُ فتحاويًّا أحسن من كثيرٍ من الحمساويّين، وقد تجدُ في صفوف حماس من هو أسوأ من كثيرٍ من السّيّئين في الطّرف الآخر، لكنّنا في النّهاية أمام مشروعين مختلفين:

مشروعٌ مُمَانِعٌ مُقَاوِمٌ يصرُّ على الثّوابت، ومشروعٌ مقابلٌ دَخَلَ نفقًا مظلمًا لا نهاية له، وهو ما يُسمّى مفاوضات وسلام ومشاريع وخطط ووعود دوليّة..؟؟

إنّنا الآن أمام منعطفٍ خطير، وبين أيدينا خياران لا ثالث لهما:

المشروعُ المُقَاوِمُ المُدَافِعُ عن الكرامةِ والحقوق، والدّاعي إلى الصّمودِ مهما كانت الظّروف، والمشروعُ الذّي يسيرُ في ركاب المشروعِ الأمريكيّ والمتناغِمِ مع المصالح الغربيّة.

إنّنا مطالبون بدعمِ الممانعة حتّى لو اختلفنا مع الذّين يمثّلونها ويناصرونها دولاً كانوا أو منظّمات... وما دامتْ كثيرٌ من حكوماتنا العربيّة غير قادرة على الدّعمِ المباشر، فهي مطالبةٌ بالدّعمِ المعنويّ ولو بالكلام، مجرّد الكلام، ليصدقَ فيها قولُ الشّاعرِ العربيّ:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَال فَلْيَصْدُقِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الْحَال.

وإذا عجزتْ هذه الحكوماتُ حتّى عن الكلام المفيدِ، فلتسكتْ حتّى تأتي الأيّامُ بالجديد، وسيكون سكوتُها فعلاً من ذهب...

في هذا الزّمن العربيّ البائس.

2008-11-20

مَاذَا بَعْدَ الاسْتِفْتَاءِ الشَّعْبِيّ حَوْلَ غَزَّةَ الصُّمُود..؟؟

الطّائراتُ الإسرائيليّةُ تمرحُ وتسرحُ بِحُرِّيّةٍ تامّة في أجواء قطاع غزّة، وتختارُ من الأهدافِ ما تشاءُ لتُنزِلَ عليها حِمَمَهَا النّاريّة.. الجميعُ مستهدفٌ ولا فرق بين مدنيّ ومسلّح، وأَنَّى لتلك الطّائرات أصلا أن تعثرَ على مسلّحٍ منفردٍ في مساحةٍ محدودةٍ يقطنُها أكثر من مليون ونصف مليون إنسان.. وفي المقابل لم تسكتِ الدّولُ العربيّةُ وتحرّكتْ فيها بقايا النّخوةِ القديمةِ وأرسلتْ هي أيضا طائراتها..؟؟؟

نعم... أرسلت بعضُ الدّول العربيّة طائراتها، لكنّها لم تتمّكن من الوصولِ إلى ميدانِ المعركةِ لمقارعةِ الطّائراتِ الإسرائيليّة، وحمايةِ سماءِ غزّة، أو قصفِ وتدميرِ أهدافٍ عسكريّةٍ صهيونيّةٍ ردًّا على العدوان، وَلَجْمًا لجموحِ قادةِ إسرائيل و"تفرعنهم" على شعبٍ أعزلٍ من السّلاح، ومنهكٍ جرّاء حصارٍ طويلٍ ظالمٍ شاركَ فيه الصّديقُ قبل العدوّ.

لم تتمّكن تلك الطائراتُ العربيّةُ من الوصولِ إلى ميدانِ المعركةِ لأنّ الذّين "تكرّموا" بأوامرِ إرسالها لم يفكّروا بأمرِ الحربِ أصلا، فقد حملتِ الطّائراتُ الدّواءَ والكساءَ والطّعامَ لأهلِ غزّة، ولم يكن بين حمولتها قنابل وصواريخ ورشّاشات ورصاص لرجالِ غزّة كي يدافعوا عن أطفالهم ونسائهم ومدارسهم ومساجدهم...!!

ومع أنّ الحمولةَ "بريئةٌ" لكنّها وجدتْ من يضعُ أمامَها المتاريس والحواجز ويواجهُها بأَلْفِ سببٍ وسبب وعذرٍ أقبح من آخر، لتظلّ مكدّسةً في مطارِ العريشِ المصريّ أيامًا حتّى تصلَ إلى معبر رَفَح، ومن ثمّ تلجُ إلى القطاع المنكوب...!!!

إنّ جميعَ جهودِ الإغاثةِ التّي بذلتها الحكوماتُ الرّسميّةُ العربيّةُ مقدّرة، لكنّها دون المطلوبِ على الإطلاق، فشعبٌ يتعرّضُ للإبادة جوًّا وبحرًا وأرضًا في حاجةٍ إلى من يُوقفُ عنه المحرقةَ أوّلاً وقبل كلِّ شيء، ويُشْعِرُهُ بالأمنِ والأمان، ولا بأس أن يتزامنَ ذلك مع طائراتِ الإغاثةِ والطّواقمِ الطّبيّةِ والموادِ الغذائيّة.

إنّ موقفَ أغلبِ الحكوماتِ العربيّةِ من العدوانِ على غزّة كان مثيرًا للغثيان، وحتّى بياناتِ التّنديدِ والشّجبِ والاستنكارِ، التّي كنّا ننتظرُها من خلال قمّةٍ استثنائيّةٍ طارئة، "حُرِمْنَا" منها هذه المرّة، وهو أمرٌ لم يكن متوقّعًا حتّى من أكثرِ المتشائمين والمشكّكين في مصداقيّةِ النّظامِ العربيّ الرّسميّ.

فالتّنديدُ لا يكلّفُ شيئًا، بل إنّ البياناتِ الرّسميّةَ جاهزةٌ في الأرشيف، وليستْ في حاجةٍ إلاّ إلى تحديثِ التّواريخ والأسماءِ والوقائع، ويعودُ كلُّ زعيمٍ عربيٍّ مغوارٍ بعد ذلك إلى بلاده سالمًا غانِما...!!!

حكومةُ تركيا، المثقلةُ باتّفاقيّات عسكريّة وسياسيّة مع دولة الكيان الصّهيونيّ، والعضو في حلف شمال الأطلسيّ، كانت أكثر شجاعة من أغلبِ حكوماتِ الدّول العربيّة..؟؟

فالمصريّون الرّسميّون اكتفوا بالاستنكارِ بألفاظٍ عاديّة وباليّة، وقالوا إنّهم حذّروا، ومن لم يفهم لا يلومُ إلا نفسَه، واعتقدوا أنّ ذلك كافيًا لردّ الشّبهةِ عنهم حيث كانوا يقفون إلى جانب وزيرةِ خارجيّةِ الكيان الصّهيونّي في بلادهم قبل يومين فقط من بدءِ العدوانِ على غزّة،..!!

أمّا الأتراكُ الذّين زارهم رئيسُ حكومة الكيان الغاصب قبل أيّام من بدءِ العدوان فقد اشتطّوا غضبًا ونَعَتَ رجب طيّب أردوغان رئيسُ الوزراء التّركيّ في أوّل تصريحاته ما حدث بسوءِ الأدب، ولاحقًا تحدّثَ عن أنّ دماء الأطفال والنّساءِ لن تظلّ دون حساب وأنّ دموعَهم ستغرِقُ إسرائيل، وهو تعبيرٌ دبلوماسيٌّ متحفّظٌ لكنّه يصبُّ بوضوحٍ في دائرة الإيمانِ بحتميّةِ زوالِ إسرائيل، هذه الحقيقةُ التّي تجاهلَها أغلبُ حكّام الدّول العربيّة حين اختاروا السّلام خيارًا استراتيجيًّا بعد أن سكنتْ قلوبَهم الرّهبةُ من هذه الدّولةِ الصّهيونيّة، ومن الولايات المتّحدة الأمريكيّة التّي مثّلتْ، ولا زالت تمثّل، دورَ الوليّ الرّسميّ لها.

الشّعوبُ العربيّةُ التّي تمكّنتْ من الخروجِ في مظاهراتٍ أدانت النّظامَ الرّسميّ العربيّ، قبل أن تُدِينَ إسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة...

فهذه الشّعوبُ تدركُ بوضوحٍ أنّ ساسةَ واشنطن ما كان لهم أن يُعطوا الضّوءَ الأخضرَ للصّهاينة ليفعلوا ما فعلوا لو علموا أنّ البترولَ الذّي يصلهم قد ينقطعُ في أيّ لحظة، وأنّ الصّفقاتِ الضّخمةَ التّي تحرّكُ دواليبَ اقتصادهم قد تتّجه إلى دولٍ أخرى محايدة، وأنّ الأموالَ المرصودةَ في بنوكهم قد تُسحبُ دون سابق إنذار.

قالت وزيرةُ الخارجيّةِ الإسرائيليّةِ بعد أيّام قليلةٍ من بدءِ العدوان إنّ الهجومَ على غزّة حاجةٌ إقليميّة...؟؟؟ وأخشى ما نخشاه أن تكون تلك الوزيرةُ الكذوبةُ قد صدقت فيما

ذهبتْ إليه، وأنّ حكوماتٍ إقليميّةً لا تريدُ استمرارَ الصّمودِ الذّي بدأته حركةُ حماس والفصائل الفلسطينيّة المقاومة، لأنّ تلك الحكومات لن تصمدَ إذا تغيّرتِ المعادلة، ومالتْ كفّةُ الممانعة، وارتفعت رايةُ الفصائل المطالِبة بالحقّ الفلسطينيّ في دولةٍ حقيقيّةٍ على الأرض.

ستتغيّرُ قواعدُ اللّعبةِ حينها، وتسري الدّماءُ الحيّةُ في عروقِ النّخبِ والشّعوب.

نعرفُ أنّ هناك حكوماتٍ عربيّةً بكاملها وشخصيّاتٍ داخل الحكوماتِ المتواطِئةِ تريدُ المقاومةَ والممانعةَ، وفيها بقايا خيرٍ وشهامةٍ ونخوة... وربّما تخوّفَ هؤلاء من حركةِ حَماس لعلاقتها الفكريّة الرّاسخة مع تيّارٍ إسلاميٍّ معارِضٍ في أكثر الدّول العربيّة..؟؟

لكنّ الحلَّ سهلٌ للغاية، فأمامكم أيّها السّادة فصائل أخرى غير إسلاميّة، لكنّها ترفعُ لواءَ الممانعةِ والوقوفِ في وجه الكيان الصّهيونيّ... ادعموها واصنعوا منها مقاومةً غير إسلاميّة في فلسطين ولبنان والجولان، لتحقّقوا شعاراتِكم المعلنةَ للدّفاع عن فلسطين...؟؟

وعندما تنتصرُ المقاومةُ الجديدةُ أو تحقّقُ الرّدعَ المطلوبَ على الأقلّ في هذه المرحلة، سيكون ريعُها المعنويّ لكم ولأنظمتكم ولن ينازعكم أحدٌ حقّكم فيه، واستثماره لبقائكم سنوات أخرى في الحكم.

إنّ جوهرَ الدّيمقراطيّةِ هو اختيارُ الشّعبِ لما يريدُ بكلّ حريّة وشفافيّة، وهاهي الشّعوبُ العربيّةُ قد خرجتْ في استفتاءٍ لم تنفقوا عليه أيّها الحكّامُ درهمًا ولا دينارًا, واختارتِ المقاومةَ والصّمود، فاتركوا المجالَ للنّخبِ التّي تؤمنُ بالمقاومةِ ودعوها تقودُ الشّعوب، أو أعلنوا أنتم القطيعةَ مع الماضي الكئيبِ البائسِ الخانع، **وَارْفَعُوا أَلْوِيَةَ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ، وَسَتَجِدُونَ مِنْ شُعُوبِكُمْ كُلَّ التَّقْدِيرِ وَالاحْتِرَامِ، وَبِصِدْقٍ عَمِيقٍ هَذِهِ الْمَرَّة.**

2009-01-08

صُمُود غَزَّةَ.. نَحْوَ فِلِسْطِين كُلّ فِلِسْطِين

كنتُ ألعبُ مع الأطفال فقصفونا، ماذا فعلنا لهم..؟؟؟ كلماتٌ نطقَ بها طفلٌ فلسطينيٌّ في مجمّع الشّفاءِ الطّبيّ بمدينة غزّة الصّمود حيث تمّ إسعافُه بعد أن فقدَ بصرَه وتشوّه جسدُه.. صورةُ ذلك الطّفل كانت واحدةً من مئاتٍ بل آلاف الصّور والمشاهد التّي ظهرت عبر الفضائيّات وشاهدَها العالَمُ على الهواء مباشرة.

مجازرُ الصّهاينةِ السّابقةُ في فلسطين، خاصّة التّي سبقتْ أو تزامنتْ مع النّكبةِ عام 1948، لم تَنَلِ الحظَّ الذّي نَالَتْهُ مجزرةُ غزّة من التّوثيق والتّسجيل الدّقيق، ومع ذلك دخلتْ أعماقَ الإدراكِ والشّعورِ الفلسطينيّ والعربيّ والإسلاميّ وحتّى العالميّ.

ولا زالتْ مجزرةُ دير ياسين تثيرُ مشاعرَ العداءِ والكراهيّةِ تجاه الصّهاينة ودولتهم... تلك المجزرةُ التّي نفّذَتْها العصاباتُ الصهيونيّة وراحَ ضحيّتُها، باعترافِ الصّهاينةِ أنفسِهم، مائتان وأربعة وخمسون نفسًا بريئةً بين رجالٍ وأطفالٍ ونساء.

تلك مجزرةُ دير ياسين عام النّكبةِ حين كانتْ وسائلُ الإعلامِ والتّبليغِ والتّوثيقِ محدودةً جدًّا، فكيف بمجازرِ غزّة الحاليّة التّي يتابعُها العالَمُ لحظةً بلحظةٍ ويُحْصِي ضحاياها من الأطفال والنّساء والمدنيّين العزّل، ويوثّقُهَا سمعيًّا وبصريًّا، وتتناقلُها وسائلُ الإعلام بجميع اللّغات في جهاتِ العالَم الأربع...؟؟؟

لا شكّ أنّ تضحياتِ الفلسطينيّين في غزّة الصّمود كبيرةٌ جدًّا مقارنة بخسائرِ الجانبِ الصّهيونيّ، لكنَّ نظرةً متأنيةً فاحصةً لأحداثِ غزّة، ومسار القضيّة الفلسطينيّة بشكلٍ عام، كفيلةٌ بأن تقلبَ المعادلةَ لِنُدْرِكَ أنّ فصائلَ المقاومةِ هي المنتصرةُ بامتيازٍ في معركةِ غزّة، وذلك عندما حافظتْ تلك الفصائلُ على وتيرةٍ يوميّةٍ لإطلاقِ الصّواريخ، وإدخالِ الرّعبِ على قلوبِ مئاتِ الآلافِ من سكّانِ مستوطناتِ دولةِ الكيانِ الصّهيونيّ.

نعم... صمدتْ تلك الفصائلُ واستعصتْ على الكسرِ أو العصرِ رغم أنّ المُرْجِفِين والمُسْتَسْلِمِين من أبناءِ جلدتنا أشاعوا أنّ المقاومةَ لن تصمدَ طويلاً، وسترفعُ الرّايةَ البيضاء خلال أيّامٍ معدودة..!!

نعم... تنقلبُ المعادلةُ عندما نقارنُ إمكاناتِ المقاومةِ والشّعبِ المُحَاصَرِ في القطاع، بإمكاناتِ جيشٍ ودولةِ العدوّ الصّهيونيّ الذّي يمتلكُ ترسانةً من الأسلحةِ والمعدّاتِ الحديثة، ويحاربُ بجيشٍ محترفٍ كثير العدد، ومحميّ بالطّائراتِ والدّباباتِ والمدفعيّةِ الثقيلة في كلّ خطوةٍ يخطوها داخل قطاع غزّة، كما أنّه بدأَ العدوانَ مدعومًا نهارًا

جهارًا من أطرافٍ دوليّةٍ فاعلة، ومُسْتَأْسِدًا بصمتٍ إقليميٍّ رسميٍّ مُخْجِل، إن لم يكن تواطؤًا مدروسًا خاصّة من بعض الأطراف العربيّة الرّسميّة ذات الصّلة المباشرة بالقضيّة الفلسطينيّة..؟؟؟

قد يتفلسفُ بعضُ المُرْجِفين حول نتائجِ معركةِ غزّة، ولهم أن يقولوا في ذلك ما بدا لهم، لكنّ الحقيقةَ التّي يصعبُ إنكارُها على كلِّ متابعٍ يحترمُ عقلَه هي النّتائجُ العمليّةُ الإيجابيّةُ الفائقةُ بِفَضْلِ الصّمودِ الرّائعِ الذّي ظهرتْ به المقاومةُ والشّعبُ الفلسطينيُّ الغزّاويُّ مَعًا... تلك النّتائجُ التّي تجسّدتْ في بروزِ ثقافةِ المقاومةِ والعزّةِ لدى الأجيالِ العربيّةِ الصّاعدة، بعد أن كادتْ مهاتراتُ السّلامِ والاستسلامِ ومؤتمراتُ الفنادقِ الفخمةِ أن تجعلَ بينها وبين ثقافةِ الصّمودِ والمقاومةِ سدًّا منيعًا، وأَنْ تُوهِمَهَا أنَّ السّلامَ ممكنٌ مع محتلٍّ غَاصِب، وأَنَّ ملفَّ قضيّةِ فلسطين سيُحفظُ في أدراجِ الأرشيفِ الدّوليّ إلى الأبد.

لو ظلَّ الإسلاميّون والقوميّون واليساريّون يخاطبون الأجيالَ العربيّةَ الشّابّةَ عبر كلِّ الوسائلِ المتاحة، ويَحُثُّونَهَا على رفضِ ثقافةِ الاستسلام، ويدفعونها إلى فهمِ حقيقةِ العدّوِ الصّهيونيّ والحكوماتِ الغربيّةِ الدّاعمة له..... لو ظلّوا كذلك ردحًا من الزّمن ما وصلوا إلى ما حقّقه العدوانُ الإسرائيليُّ الصّهيونيُّ على قطاعِ غزّة والهمجيّةُ النّازيةُ التّي ظهرَ بها، والصّورُ البشعةُ الدّاميةُ التّي نقلتها الفضائيّاتُ وتداولتها مواقعُ الانترنت ونشرتها الجرائدُ والمجلّاتُ على صدرِ صفحاتها.

إنّ نتائجَ معركةِ غزّة تبرزُ بجلاءٍ في إعادةِ بناءِ ذاكرةِ الأمّة، وإمدادها بزخمٍ جديدٍ من صورِ البطولةِ والصّمود، وتغذيّتها أيضا بمشاهد حيّة للوحشيّةِ الصّهيونيةِ النّازيّة، ومن ثمّ بَعْث ماء الحياة في فكرةِ الصّمودِ والتّصديّ التّي طبعتْ المسيرةَ العربيّةَ في العقود الأولى لاحتلال فلسطين، ثمّ كادتْ أن تندثرَ في العشريّتَيْن الأخيرتيْن.

وبالتّالي.. يظلُّ الصُّمودُ والتّصديّ شوكةً حادةً في خاصرةِ العدّوِ وأنصارهِ والمتواطئين معه، وخطًّا أحمَرَ أمام جميع مخطّطاتِ وبرامجِ تصفيّةِ القضيّةِ الفلسطينيّةِ وإنهائها لصالح الاحتلال والقوى الغربيّة.

لقد كانت معادلةُ الصّراعِ في السّابقِ عبارة عن غطرسةٍ صهيونيّةٍ بدعمٍ غربيٍّ مقابلَ صمودٍ عربيٍّ وإسلاميّ وحياةٍ متجدّدةٍ في دماء القضيّة، وسارتْ مجرياتُ الأحداثِ بعد ذلك من سيّءٍ إلى أسوأ حتّى غدتِ المعادلةُ دون طرفٍ عربيٍّ فاعلٍ تقريبا حين انقسمت الأنظمةُ العربيّةُ بين مسالمٍ ومتردّدٍ وخائفٍ وعاجز، أو بعيدٍ لا يملكُ من خيوطِ اللّعبةِ ومعطياتِ الصّراعِ ما يمكّنُه من لعبِ دورٍ يؤثّرُ على مجريات الأحداث..

وَالْآن... أعَادَ صُمُودُ أَهْلِ غَزّةَ التَّوَازُنَ إِلَى الْمُعَادَلَة.. وَمِنْ هُنَا سَيَبْدَأُ الْعَدُّ التَّصَاعُدِيّ لِصَالِحِ تَحْرِيرِ فِلَسْطِين.. كلُّ فِلَسْطِين.

2009-01-15

أَهْلاً وَسَهْلاً بِالتَّصَدُّعِ الْعَرَبِيّ

مشاركةُ الرّئيس الجزائريّ عبد العزيز بُوتفْلِيقَة في قمّةِ غزّة بالدّوحة القطريّة كانت تعبيرًا قويًّا وصريحًا على أنّ الجزائر كانت، ولا زالت، ضمن معسكرِ الدّولِ التّي تراهنُ على المقاومةِ بالدّرجة الأولى، وترفضُ مشاريعَ الاستسلامِ والأوهامِ التّي سوّقتها بعضُ الأنظمةِ العربيّةِ ردحًا من الزّمن.

الموقفُ الجزائريُّ الرّسميُّ تجاه العدوان على غزّة برهنَ على أنّ أغلبَ أطيافِ صنّاعِ القرارِ في بلادنا، إن لم يكونوا جميعا، يشاطرون نبضَ الشّارعِ وتوجّهاته وتطلّعاته لنصرةِ أهلِ فلسطين، وهو موقفٌ لم يقم به إلاّ عددٌ محدودٌ من الأنظمةِ العربيّة..

حتّى أنّ بضعها فضّلَ "التّغريد خارج السّرب" وولّى ظهرَه للشّارع العربيّ الذّي أعلنَ في أغلبه الانحيازَ الكاملَ لفصائلِ المقاومة، وشدَّ بقوّةٍ على أيدي الصّامدين، وصفّقَ بحماسٍ لجميع الأحرار الذّين يُناكِفُون مشاريعَ الذّلّ الأمريكيّة، حتّى لو كانوا من رؤساء دول في أمريكا اللاّتينيّة.

قمّةُ الدّوحة وصفَها البعضُ بقمّةِ الانشقاق...!!!

ومرحبًا بهذا القدر من الانشقاقِ الذّي أبرزَ مواقفَ جريئةً لصفوةٍ من قادة الدّول العربيّة.

لا نقولُ إنّهم سيصدِرون أوامرَهم الفوريّةَ فتنطلقُ جيوشُهم لنصرةِ أهلِ غزّة وتحريرِ فلسطين، لكنّها خطوةٌ على الطّريق الصّحيح، وصرخةٌ جريئةٌ في وجهِ الهيمنةِ الأمريكيّة.

وأكثر من ذلك... تعكسُ وعيًا عميقًا بمجريات المتغيّرات الدّوليّة الجديدة التّي بدأت في الظّهور، ومن ثمّ النّهاية الحتميّة لعهدِ القطبِ الواحدِ بعد الفشل العسكريّ الأمريكيّ في أفغانستان والعراق، والأزمة الاقتصاديّة التّي أحكمتْ قبضَتَهَا على أكبر المؤسّسات الماليّة في بلاد العمّ سام.

إنّ أهمّ نتائج قمّة قَطَر، وأهمّ انتصاراتِ المقاومةِ في غزّة على الإطلاق، هو خروجُ عددٍ من العربِ الرّسميّين من حالةِ "الحياد السّلبيّ"، وإعلانهم العصيان الصّريح لقرارات "السّيد الأمريكي"..

فالمقاومةُ إرهابٌ حسب التّوصيفِ الأمريكيّ، وهاهم قادةُ "الإرهابيّين" خالد مشعل ورمضان عبد الله شلّح وأحمد جبريل يجدون طريقَهم إلى قمّةٍ عربيّةٍ إسلاميّةٍ عاليةِ المستوى، بل ويتحدّثون قبل الجميع لأنّهم أصحابُ الشّأن وأهلُ الميدان..

ويصفّقُ لهم القادةُ وهم يعلنون الثّباتَ على الثّوابت، والصّمود على تراب الأرض المباركة، ويجاهرون بعدائهم لكلّ مشاريع الاستسلام والخنوع.

بعضُ الْمُرْجِفِينَ والْمُسْتَسْلِمِينَ، الذّين يخافون من أيّ تحرّكاتٍ عربيّةٍ رسميّةٍ جادّةٍ نحو درب المقاومة والصمود، لم يعجبهم بيانُ قمّةِ الدّوحة خاصّة ما تعلّقَ منه بالدّعوةِ إلى تجميدِ مبادرةِ السّلامِ العربيّة، وجاء أحدُهم بمبرّراتٍ سخيفةٍ حين قال إنّ سحبَ تلك المبادرة يدعونا إلى فتح جبهات القتال مباشرة...؟؟

فالأمرُ بالنّسبةِ له إمّا استسلامٌ كاملٌ، وَجَرْيٌ وراء المخطّطاتِ الإسرائيليّةِ والأمريكيّة، وإمّا فتحُ جبهاتٍ عسكريّةٍ عربيّةٍ مع العدوّ يعرفُ القاصي والدّاني أنّها ليست متاحةً في الوقت الرّاهن..!!

إنّ جبهاتِ القتالِ العربيّة ضّد دولة العدوّ الصّهيونيّ ظلّت مفتوحةً بعد النّكبة (1948) لأكثر من ثلاثة عقود، ولم تُغْلَقْ هكذا بين عشيّة وضحاها، فقد بدأت الحكايةُ المأساويّةُ من الأردن عندما اصطدمتْ فصائلُ المقاومةِ الفلسطينيّةِ بالجيشِ الأردنيّ في أحداث ما صار يُعرف بـ "أيلول الأسود" عام 1970، لتخرجَ الفصائلُ بعد ذلك إلى لبنان، وهناك ازدهرتِ المقاومةُ لكنّ الحربَ الأهليّةَ التّي اشتعلتْ شرارَتُها عام 1975 خلطتْ كثيرًا من الأوراق، وأثّرتْ على فصائلِ المقاومةِ ودفعتْها في بعضِ الأحيانِ إلى التّخَنْدُقِ في جبهاتٍ لبنانيّةٍ وإقليميّة، ثمّ جاءتِ الضّربةُ الموجِعةُ من العدوّ بعد ذلك لتدمّرَ لبنان عام 1982، وتجبرَ المقاومةَ على الخروجِ إلى بلدانٍ عربيّةٍ بعيدةٍ عن حدودِ الوطن المحتلّ، وليبدأَ من هناك التّحضيرُ للمفاوضاتِ وعمليّةِ السّلام التّي قادتْ إلى مؤتمرِ مدريد ثمّ اتّفاق أُوسْلُو وبقيّةِ المسلسلِ المعروف.

والآن... وبعد قرابةِ ثلاثة عقود هاهي العمليّةُ العكسيّةُ تبدأُ من جديد:

صمودُ غزّة، وجلوسُ قادةٍ عربٍ ومسلمين جنبا إلى جنب مع قادةِ المقاومة، ودعمُ صمودِ الشّعبِ الفلسطينيّ والتّشديد من لهجة التّخاطب مع الكيان الصّهيونيّ، وخطوات أخرى قادمة لعلّ أبرزها أن يجتهدَ العربُ ليكون معبرَ رَفَحٍ فلسطينيًّا مصريًّا خالصا.

إنّ من بديهيّات الطبّ أنّ الجسمَ إذا تعرّضَ لمرضٍ أو حادثٍ خطيرٍ لا يعودُ إلى التّعافي مباشرةً بعد أوّل جرعةٍ من العلاج، وحتّى بعد الْبُرْءِ التّام يظلُّ في حاجةٍ إلى فترةٍ زمنيّةٍ حتّى يعودَ إلى سابقِ نشاطه الذّهنيّ والبدنيّ.

والأمّةُ بكاملها دخلت غرفةَ الإنعاشِ خلال المرحلةِ الماضيّة، فهل يعقلُ أن نطلبَ منها العودةَ مباشرةً إلى أيّام الحروبِ المفتوحةِ مع دولة الكيان الصّهيونيّ، وأن يُهدّدَ قادتُها برميِ اليهودِ في البحر، وأن لا يقبلوا بغير فلسطين، كلّ فلسطين، من البحر إلى النهر..؟؟

إنّ روحَ اليقظةِ تسري في كيانِ الأمّةِ يوما بعد يوم، وهاهي "عدوى المقاومة والصّمود" تنتقلُ إلى القمّةِ العربيّةِ في الكويت حين تحدثَ قادةٌ يوصفون بالاعتدال عن خيارٍ آخر للعرب غير خيار السّلام، وعن تحرّكاتٍ عمليّةٍ لدعمِ صمودِ أهل غزّة.. ومع أنَّ البيانَ الختاميَّ للقمّة كان دون المأمول فقد ثمّنَ مقاومةَ الشّعبِ الفلسطينيّ ودعا إلى رفعِ الحصار، وحمّلَ إسرائيل المسؤوليةَ القانونيّة عما جرى، ودعا إلى التّحرّك واتخاذ ما يلزم لملاحقةِ المسؤولين عن جرائمِ الاحتلالِ في قطاع غزّة.

لقد تجنّبَ بيانُ قمّة الكويت الخوضَ في القضايا الخلافيّة حتّى لا تهتزّ صورةُ التّصالح العربيّ التّي ظهرتْ في اليومِ الأوّلِ للقمّة، وبدا جليًّا أنّ القادةَ العرب اختلفوا بشدّة حول دورِ فصائلِ المقاومةِ في المرحلةِ القادمةِ وحقّها في تمثيلِ الشّعبِ الفلسطينيّ، والإشرافِ على برامجِ وأموالِ إعادةِ الإعمار، واختلفَ القادةُ أيضا حول المبادرةِ العربيّةِ للسّلام فلم يذكروها بخيرٍ أو شرّ.. **وَفِي كُلِّ مَا سَبَقَ دَلِيلٌ سَاطِعٌ عَلَى أَنَّ عَدَدًا مِنَ الزُّعَمَاءِ الْعَرَبِ خَالَفُوا أَقْرَانَهُمْ بِشِدَّةٍ وَانْحَازُوا تَمَامًا إِلَى مُعَسْكَرِ الْمُقَاوَمَةِ وَالصُّمُود...**

فأهلاً وسهلاً بالخلافِ والتّصدّعِ العربيّ الجديد.

2009-01-22

مَحْمُود عَبَّاس وَالْقِطَارُ الْأَخِير

أقاموا الدّنيا ولم يقعدوها، ونَادَوْا بالويلِ والثّبورِ وعظائِمِ الأمورِ وكَالُوا لخصومهم اتّهاماتٍ بالخيانةِ والتّآمرِ لصالحِ أجندات ومخطّطاتٍ غير فلسطينيّة.. كلُّ ذلك لأنَّ قياديًّا فلسطينيًّا من جيل الشّبابِ تجرّأَ وَدَعَا إلى مرجعيّةٍ جديدةٍ تتناسبُ مع حجمِ المعركةِ التّي تخوضُها إسرائيل لتصفيّةِ القضيّةِ الفلسطينيّة.

الشّرارةُ التّي أشعلتِ المعركةَ الكلاميّةَ بين حركةِ المقاومةِ الإسلاميّةِ حماس وقياداتِ منظّمةِ التّحريرِ الفلسطينيّةِ انطلقتْ من الدّوحة، عندما أعلنَ رئيسُ المكتبِ السّياسيّ لحركةِ حماس خالد مشعل نهايةَ الشّهر الماضي أنّ قوى المقاومةِ الفلسطينيّةِ تتداولُ بناءَ مرجعيّةٍ وطنيّةٍ تمثّلُ الدّاخلَ والخارج، وتضمُّ جميعَ قوى وتيّاراتِ الشّعبِ الفلسطينيِّ وشخصيّاتِه الوطنيّة.

وطبيعيٌّ جدًّا أن تظهرَ ردودُ فعلٍ حادّة على لسانِ قياداتِ فتح التّي تمثّلُ الفصيلَ الأقوى في منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، والمستفيدَ الأوّل منها أيضا عبر الاستحواذ على مراكزِ اتّخاذِ القرارِ فيها، كما يرى كثيرٌ من المتابعين للشّأن الفلسطينيّ، فضلاً عن خصومِ حركةِ فتح.

انطلقَ الجدلُ الفلسطينيُّ حول المرجعيّةِ وعَلاَ صوتُه بعد أن سكتتْ أصواتُ الطّائراتِ والمدافعِ الإسرائيليّةِ التّي خاضتْ حربًا غَادِرَةً على قطاعِ غزّة، مع أنّ الإشكالَ قد طُرِحَ مباشرةً بعد قمّةِ الدّوحة التّي حضرَتْها فصائلُ المقاومة، وتحدَّثَ فيها خالد مشعل بينما غَابَ عنها محمود عبّاس وقادةُ السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة بحججٍ بَدَتْ واهيةً جدًّا في نظر الكثيرين.

ومع أنّ منظّمي قمّةِ الدّوحة كانوا حذرين حيث تركوا كرسيَّ فلسطين شاغرًا، وخصّصوا مكانًا مستقلاً لخالد مشعل ومن معه؛ فقد تحدّثَ بعضُ قادةِ السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ حينها بغضبٍ شديدٍ عن حضورِ المقاومةِ تلك القمّة، لكنَّ الدّماءَ الغزيرةَ التّي كانت تسيلُ في قطاعِ غزّة آنذاك منعتهم من الاسترسالِ في الحديثِ عن جدليّةِ التّمثيلِ والمرجعيّة.

وبداية... لا أحدَ يستطيعُ إلغاءَ منظّمةَ التّحريرَ من الخارطة، أو تخطّي دورَها النّضاليّ خلال العقودِ الماضيّة..

تلك المنظّمةُ التّي رأتِ النّور في القدس عام 1964 بجهودِ القائدِ الفلسطينيّ الرّاحل أحمد الشّقيري، بعد أن كلّفته القمّةُ العربيّةُ الأولى في القاهرة بتقديم تصوّرٍ للقمّةِ الثّانية حول إنشاءِ كيانٍ يتحدّثُ باسمِ الشّعبِ الفلسطينيّ... ليتزايدَ دورُ المنظّمةِ بعد إعلان قمّةِ

الرّباط عام 1974 أنّها الممثّلُ الشّرعيُّ والوحيدُ للشّعبِ الفلسطينيّ، ومن ثمّ لعبتْ أدوارًا مهمّةً وصارتِ المتحدّثَ باسم فلسطين على السّاحة الدّوليّة، بعد أن افتكّتْ مقعدَ مراقبٍ في هيئة الأمم المتّحدة.

لقد ظلّتِ المنظّمةُ وفيّةً لخطّها النّضاليّ المسلّح، والدّعوةِ إلى تحرير فلسطين كلّ فلسطين، وكانت لها قوّاتُها المتمركزة في أكثر من دولة عربيّة حيث شاركتْ بها في الحروب التّي قامت بين العرب ودولة الكيان الصّهيونيّ، وخلال معركة التّصديّ للعدوان الإسرائيليّ على لبنان عام 1982.

لكنّ المنظّمةَ بدأتْ بعد ذلك في تلمّسِ "دروب السّلام المتشعّبة" من خلال اعترافها بقرارِ مجلسِ الأمنّ الدّوليّ 242، الذّي أفضى إلى مشاركةِ المنظّمةِ في مؤتمرِ مدريد للسّلام بحضورِ أطرافٍ عربيّة، لتدخلَ بعده في مفاوضاتٍ سرّيةٍ مع إسرائيل انتهتْ بإعلانِ أُوسْلُو عام 1993 الذّي غيّرَ معطياتِ الصّراع وجعلَ فكرةَ القضاء على دولة الكيان الصّهيونيّ من مخلّفاتِ الماضي عند أغلب قياداتِ منظّمة التّحرير..!!

وبتطبيقِ اتّفاقِ أوسلو وقيامِ السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ غابتِ المنظّمةُ عن الأنظار، وانصهرتْ في السّلطة كما تقولُ الأطرافُ المعارِضة، ولم يجتمعِ المجلسُ الوطنيّ، الذّي يمثّلُ السّلطةَ التّشريعيّةَ في المنظّمة، إلا مرّات محدودة منها عام 1996 عندما وافقَ على تعديلِ ميثاقِ منظّمةِ التّحريرِ عبر شطبِ الجُمَل والعبارات الدّاعية إلى القضاء على دولة إسرائيل...!!!

وعلى حدّ تصريحاتِ الخصومِ فقد شاختِ المنظّمةُ وترهّلت، وتجاوزَها الزّمنُ بشكلها الحاليّ، ويؤكدون أنَّ فئةً متنفّذةً في المنظّمةِ حوّلتْها إلى هياكل فارغة لا وجود لها على أرض الواقع..؟؟

والحقيقة التّي لا مفرّ منها أنّ المنظّمات تهرُم كما يهرمُ الرّجال، إذا لم تتجدّد لتواكبَ التّطورات وتناسبَ الأجيال الجديدة.

والقياداتُ الكبيرةُ قد تصلُ إلى مرحلةٍ من العطاءِ والعملِ لا تستطيع بعدها تقديمَ المزيد، وقد تصيرُ عبئًا على المسيرةِ كلّها، إذا لم تتدارك الأمرَ وتفسح المجالَ للدّماء الجديدة.

والشّواهدُ التّاريخيّة كثيرة، ففي الجزائر مثلاً ترهّلتْ منظّمةُ انتصار الحرّيات الدّيمقراطية، ونَخَرَ التّنَافُسُ والخلافات صفّ قياداتها الكبيرة، ولم يجد الشّبابُ بُدًّا من تشكيلِ كيانٍ مستقلٍ وسرّيٍّ وهو اللّجنةُ الثّوريةُ للاتّحادِ والعمل، ومن خلالها انطلقتِ الثّورةُ ونجحتْ في استرجاعِ الاستقلال.

إنّ عددًا كبيرًا من القياداتِ الفلسطينيّة، من داخل المنظّمة وخارجها، دعوا منذ فترةٍ إلى إصلاحِ منظّمةِ التّحرير، وإعادةِ هيكلتها لتتناسب مع الظّروفِ الرّاهنةِ التّي تمرّ بها القضيّة، بل إنّ اتّفاقَ القاهرة عام 2005 بين حركتيْ فتح وحماس نصّ بوضوحٍ على إصلاحِ المنظّمةِ لتصبحَ كيانًا قادرًا على ضمّ جميع فصائل العمل الفلسطينيّ.

والمسألة أساسًا لا تتحمّلُ كلّ هذا الصّراع، فهي أولّاً وأخيرًا خلافٌ على أساليب العمل والنّضال، وإذا رأتِ الفصائلُ المُقَاوِمَةُ أنّ من حقّها أو واجبها تأسيسَ مرجعيّةٍ جديدةٍ لا تلغي الأولى، بعد أن تعذّر الاتّفاق على الإصلاح، فليكن لها ذلك، ولا ينبغي لفلسطينيّ جادّ أن يخافَ منها، فهناك وسائل إعلام دوليّة ومحليّة تنقلُ الشّاردةَ والواردة، وهناك شعبٌ فلسطينيٌّ مُشْبَعٌ بالوعي والثّقافة السّياسيّة، كما أنّ الاختيارَ صارَ سهلاً عبر الآليّات الدّيمقراطيّة والخروج للشّارع لتأييد هذا الطّرف أو نقيضه.

وَمَعَ ذَلكَ فَإِنّ زِمَامَ الْمُبَادَرَةِ مَا زَالَ فِي يَدِ مَحْمُود عَبّاس وَقِيَادَات مُنَظَّمَة التّحْرِير، وَالْقِطَارُ الْأَخِيرُ لَمْ يُغَادِرْهُم بَعْد، ففي وسعهم سحبَ البساطِ من حركةِ حماس عبر إعادةِ بناءِ منظّمةِ التّحريرِ وفق قواعد جديدة توافقُ عليها جميعُ الفصائل، وتتناغمُ مع آمالِ وتطلّعاتِ الشّعبِ الفلسطينيّ، وتُراعي موازين القوى الجديدة التّي برزتْ بعد العدوان الصّهيونيّ وصمودِ المقاومةِ في قطاع غزّة.

2009-02-05

غَزَّة وَرَامَ الله وَعُقْدَةُ الْخَارِج

بعد كلِّ مصيبةٍ أو بلاءٍ نَتَعَالَى أصواتُ السّياسيّين الفلسطينيّين، وتتّحدُ اللّغةُ أو تكادُ، ويَتَدَاعَى الجميعُ إلى كلمةٍ سواء تردمُ الهوّةَ العميقةَ بين شطريْ (الوطن) وتعيدُ الوشائجَ إلى سابقِ عهدها بين مدينتيْ غزّة ورام الله، وما يمثّلانه من فصائل متعدّدة، وتوجّهات سياسيّة تتباينُ في رؤاها وقناعاتها حول أنجع الوسائل والأساليب للتّعامل مع الشّأن الفلسطينيّ بجميع تجليّاته وتداعياته.

السّاعاتُ الأُولَى للحادثةِ تحملُ في الغالبِ تصريحاتٍ سياسيّة متقاربة جدًا، حيث الحديثُ عن الوحدةِ الوطنيّةِ وأهميّةِ القرارِ الفلسطينيِّ المستقلّ، وضرورةِ الاستماعِ لصوتِ المواطنِ الذّي ملَّ مظاهرَ الانقسامِ وسَئِمَ تعدّدَ الرّاياتِ والزّعامات، وحصرَ أَمَلَهُ الوحيدُ في وحدةٍ أو تقاربٍ يعيدُ له بعضَ ما فَقَدَهُ خلال سنوات الاختلاف والتّنابز بالألقاب، وتبادلِ التّهم والعمالة لهذه الجهةِ الأجنبيّةِ أو تلك.

أسطولُ الحريّةِ كان آخرُ الأحداثِ السّاخنةِ التّي شهدتها القضيّةُ الفلسطينيّةُ، بل إنّ أبعادَه الإقليميّةَ والدّوليّةَ كانت كبيرةً للغاية، وأكبر مما تصوّرَ ساسةُ إسرائيل أو بعض دول الجوار الفلسطينيّ، والسّببُ هو ذلك الدّم التّركيّ الذّي امتزجَ بمياه البحرِ الأبيضِ المتوسّط..!!

لقد كان دمًا حارًّا إلى درجةِ الغليان أو أكثر، لأنّ الجهةَ التي تكفّلتْ بالثّأرِ له من طينةٍ مختلفةٍ عن التّي عرفتها إسرائيل وحلفاؤها الغربيّون خلال العقود الماضّية.. خاصّة تلك الأَطْيَان الرّسميّة ذات التّماس المباشر بالقضيّة الفلسطينيّة..؟؟

لقد تصدّى للثّأرِ سياسيّون مُنْتَخَبُون بشكلٍ ديمقراطيٍّ شفّاف, وخرجوا قبل سنواتٍ قليلةٍ من بين صفوفِ الشّعبِ دون سابقِ عهدٍ بِأَدْرَانِ السّياسةِ المعاصرة.

لقد قَلَبَ الدّمُ التّركيُّ الكثيرَ من الموازين، وأَضَافَ الكثيرَ من التّداعيات التّي لم تكن في الحسبان، خاصّة بالنّسبةِ لساسةِ إسرائيل الذّين اعتقدوا أنّ تصرّفاتهم العنيفةَ ستخيفُ المتضامنين مع غزّة... لقد ذهبتْ حساباتُهم أدراجَ الرّياح، فَقَبْلَ أن يتمَّ الإفراجُ عن جميعِ معتقلي أسطول الحرّية كانت المشاوراتُ والتّحضيراتُ قد بدأتْ لتسيّير قوافلَ وأساطيلَ جديدة لإنهاء المأساة.

الحصارُ على غزّة كان واضحَ الأهدافِ من البداية، ولم يَعُدْ سرًّا أنّ جهاتٍ فلسطينيّةً كانت ترغبُ في أن يأتيَ أُكُلَهُ في أقربِ وقتٍ عندما تسقطُ حكومةُ إسماعيل هنيّة عبر الضّغط الشّعبيّ، ومن ثمّ يستقبلُ سكانُ غزّة، بالورود والزّغاريد، تلك الوجوه السّياسيّة

المعروفة لتتربّعَ على الكراسي، وتمثلَ دورَ الْمُخَلِّصِ البطلِ الذّي أنقذَ الغزّاويّين من أهوالِ الجوعِ والمرضِ والطّائراتِ الإسرائيليّة..!!

ولأنّ سنواتِ الحصارِ طالت دون نتائج، ولأنّ حربًا شعواءَ على قطاعِ غزّة لم تُغَيِّرْ في حقيقةِ الأمرِ مقدارَ أُنْمُلَة، ولأنَّ الشّيءَ إذا زاد على حدّه انقلبَ إلى ضدّه؛ فقد بدأتِ النّتائجُ في الظّهور عكس ما يشتهي المُحَاصِرُونَ من الإسرائيليّين وغيرهم.. وحتّى أولئك المتفرّجون من بعض العربِ الذّين لا يُرُوقُ لهم أيَّ عُلُوٍّ لشأنِ المقاومة... فقط لأنّ آفاقَ الحلّ في أذهانهم لا تتفاعلُ إلاّ مع الوعودِ الأمريكيّة، وَوَهْمِ الدّولتين، وما يمكن أن تتنازلَ عنه دولةُ الكيان الصّهيونيّ (مشكورة) لِتُقَامَ عليه دولةٌ فلسطينيّة بلا طعمٍ ولا لونٍ ولا رائحة..!!

المواقفُ الدّوليّةُ بدأتْ في التّململ، ثمّ تغيّرتْ إلى درجةِ الدّعواتِ الصّريحةِ لرفعِ الحصار عن قطاعِ غزّة، وسفنُ المتضامنين الجدد بدأت استعداداتها للإقلاعِ وخوضِ غمارِ البحر... وهكذا صارت نهايةُ الحصارِ مسألة وقت لا أكثر.. من هناك بادرتِ السّلطاتُ المصريّةُ إلى التّخفيفِ من حصارها الذّي تمارسُه من خلال معبر رَفَح، وهرعتْ دولةُ الكيان الصّهيونيّ إلى إجراءاتٍ لتخفيفِ الحصار، وتحدّثَ الاتّحادُ الأوروبيّ عن أفكارٍ للمشاركة في تفتيشِ السّفنِ المتّجهة نحو قطاع غزّة.

السّلطةُ الفلسطينيّةُ التّي ما زالت تصفُ ما حدثَ في غزّة بالانقلاب على الشّرعية، سارعتْ هي أيضا، وفي أكثر من مناسبة، إلى المطالبةِ برفعِ الحصارِ عن قطاعِ غزّة لإنقاذِ ما يمكنُ إنقاذُه، ولأنَّ السّندَ الذّي تتّكِئُ عليه السّلطةُ هو الجارةُ مصر؛ فقد بادرتْ إلى الاستغاثةِ بها لنفخِ الرُّوحِ في وثيقةِ المصالحةِ المصريّة.

ولأنّ حرارةَ الحدثِ الأليمِ قد تلاشت، فقد عادت الاتّهاماتُ المتبادَلةُ حول تأخّرِ المصالحةِ والطّرفِ المسؤولِ عن ذلك...؟؟

فالسّاسةُ في (رام الله) يرمون الْكُرَةَ إلى جهةِ سياسيّ غزّة، فيعيدُها هؤلاء إليهم في أقربِ فرصة، وتستمرُّ اللّعبةُ على هذه الوتيرة، وتشتدُّ المعاركُ الكلاميّة فيتقاذفُ الطّرفان تهمةَ الارتهان للخارج على حسابِ القضيّة.

إنّ تلك التّهمةَ هي مربطُ الفَرَسِ في كلّ ما يحدثُ، لأنَّ الخارجَ بالنّسبةِ للقضيّةِ الفلسطينيّة حقيقةٌ بادية للعيان، بل ومنطقيّةٌ أيضا عند الكثيرين، لأنّ ذلك (الخارج) أدركَ مبكرًا خطورةَ قضّيةِ فلسطين، فَرَاحَ يوظّفها بالكيفيّة التّي تخدمُ مصالِحَه وأجندته في المنطقة والعالَم.

وعلى هذا الأساس يمكنُ القولُ بأَنّ لكلّ طرفٍ الحقَّ في الاستفادة من الأوراق المتاحة في ساحة اللّعب الدّوليّة والاقليميّة..

لكن.. ليس من حقَّ أحد أن يُحَرِّمَ على الآخرين ما يُبِيحُهُ لنفسه..!! إنّ السّلطةَ الوطنيّةَ الفلسطينيّةَ وليدةُ عمليَّة أُوسْلُو، واليدُ الأمريكيّة، وحتّى الإسرائيليّة، واضحةُ البصمات في تلك العمليّة من أوّلها إلى آخرها.

أمّا الطّرفُ الآخر، الذّي اختارَ المقاومةَ، فقد كان في حاجة إلى دعمِ جهاتٍ أعلنتْ أنّها مع المقاومة، وفي طليعتها سوريا وإيران... وإن سَلِمَت الأُولَى من أيّ تشكيكٍ في نواياها، فقد نالتِ الثّانيةَ نصيبًا وافرًا من التّشهير، وهو أمرٌ فيه بعضُ الصّواب، فقد يكون لإيران، أو بعض مكوّناتها السّياسيّة على الأقلّ، أهداف غير تلك المعلنة في دعمها للقضيّة الفلسطينيّة...؟؟

لكن... ما الحلّ إذا كان أهلُ القضيّة الأقربون قد فرّطوا فيها، فهرعَ المسلمون المجاورون لساحتها... وهل يمكنُ لأحد أن يطالبَ مسلمًا بالكفّ عن دعم القدس لأنّه انتهازيّ في نظره.. **إِنَّ اللَّوْمَ كُلَّ اللَّوْمِ عَلَى الذِّي أَخْلَى مَوَاقِعَهُ، وَسَلَّمَ أَسْلِحَتَهُ، وَوَقَفَ مَعَ جُمْهُورِ الْمُتَفَرِّجِين.**

2010-06-26

عَلَى الْمُبَاشِرِ.. مَا الْجَدِيد..؟

(نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فَلِقَاء)... عمليّةٌ قد تأخذُ أيّامًا أو أسابيع أو حتّى أشهرًا في بعض الحالات، وفي المقابلِ كانت عدّةُ أيّامٍ كافيّةً لعمليّةٍ مشابهةٍ من حيث الخطوات ومختلفة شكلاً ومضمونًا.. فهي رغبةٌ أمريكيّةٌ فتلميحٌ فتصريحٌ فاجتماعٌ عربيٌّ فمباركةٌ، فمفاوضاتٌ مباشرةٌ قد نشهدُها خلال فترةٍ قياسيّةٍ لأنّ الجانبَ الإسرائيليّ على أتمّ الاستعداد، والمعنيّون من العربِ لن يُعدَمُوا مبرّرًا للاستجابة.

لقد دعت الولاياتُ المتّحدة إلى مفاوضاتٍ مباشرةٍ بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين، فكانت الاستجابةُ العربيّةُ أكبر من المتوقّع...!!

وهكذا اجتمعتْ لجنةُ متابعةِ مبادرةِ السّلامِ العربيّةِ في القاهرة، وأعطتِ الضّوءَ الأخضرَ للفلسطينيّين للدّخول في مفاوضاتٍ مباشرةٍ مع الجانبِ الإسرائيليّ..!!

والجديدُ الذّي دفعَ القومَ إلى هذا الموقفِ المتطوّرِ هو تلك الرّسالة التّي بعثَ بها الرّئيسُ الأمريكيُّ بَارَاكْ أُوبَامَا إلى الرّئيس محمود عبّاس، وحملت ما يشبه الضّمانات أو الكلام الصّريح عن رؤيةِ البيت الأبيض لمستقبلِ القضيّةِ الفلسطينيّة، أو أيّ شيء مشابه يمكن أن يَشْتَمَّ منه الواهمون من العربِ رائحةَ التّأييدِ الأمريكيّ لقضيّتهم، والحزمَ مع خصمهم..؟؟

لقد اجتمعَ وزراءُ الخارجيّةِ العرب أيضًا قبل أسابيع معدودة، أو العددُ الذّي حضرَ منهم بالأحرى، واتّفقوا على دعمِ المفاوضاتِ الفلسطينيّةِ غير المباشرةِ مع إسرائيل إلى شهر سبتمبر القادم، وبعدها لكلّ حادثةٍ حديث.

وسارت تلك المفاوضاتُ وشاهدَ العالَمُ الجولاتِ المكّوكيّةَ للمبعوث الأمريكيّ جورج ميتشل، وأدركَ كلُّ ذِي عقلٍ وفَهْمٍ، وحتّى من دون ذلك، أنّ الأمرَ لا يتعدّى الشّكليّات والمجاملات والتّصريحات والكلمات المدروسة بعناية...!!

فما الذّي استجدَّ حتّى تجتمعَ لجنةُ متابعةِ مبادرةِ السّلامِ العربيّة، وتقدمَّ غطاءً لمفاوضاتٍ مباشرة يتصرّفُ محمود عبّاس في تفاصيلها ومدّتها وموعد انطلاقها..؟؟

في الاجتماعيْن العربيّيْن يحقُّ لنا التّساؤلُ عن الأوراقِ العربيّةِ الرّابحةِ الجديدةِ التّي دخلتْ فعلا معادلة الصّراع، وجعلتِ العربَ على يقينٍ من نجاعةِ وحكمةِ وفائدةِ المفاوضاتِ المباشرةِ أو غيرها...؟؟

سؤالٌ مغلق، والإجابةُ عنه بنعم أو لا... فإذا حصلَ العربُ على أوراقٍ فكلّ التّحيّةِ والتقديرِ لأولئك المجتمعين.. وإن كان الجوابُ بالنّفي، فيا ويلنا من التّاريخ وهو يسجّلُ هَرْوَلَتَنَا واستجابتنا السّريعة للضّغوط الأمريكيّة دون أيّ مراعاةٍ لحقوقنا وعدالة قضيّتنا.

لقد توقّعَ البعضُ أن يكون اجتماعُ القاهرةِ الأخيرُ فرصةً مناسبةً للردّ على الاستفزازِ الأمريكيِّ للعرب، فالمفاوضاتُ غير المباشرةِ لم تحقّق شيئا على الإطلاق، والاستيطانُ وعمليّاتُ تهويدِ القدسِ مستمرّةٌ على مَرْأَى ومَسْمَعٍ من العالَم أجمع.. ومع ذلك تطلبُ واشنطن من العربِ تمهيدَ الطّريقِ أمام محمود عبّاس للدّخولِ في مفاوضاتٍ مباشرة..!!

نعم.. لقد كانت فرصةً مناسبةً للردّ ولو بتأجيلِ البتّ في الأمر، أو المماطلةِ بعض الوقت.. لكنّ أهواءَ أكثر المجتمِعين، أو المؤثّرين منهم على الأقلّ، مَالَتْ نحو الرّغبةِ الأمريكيّة.

لقد تحدّثَ العربُ المؤيّدون للمفاوضاتِ المباشرةِ عن رسالةِ أُوبَامَا وضماناته الوهميّة، وجعلوا منها حجرَ الزّاويةِ في تبريرِ استسلامهم للضّغط الأمريكيّ... والحقيقةُ أنّ مثل هذا الكلامِ لم يَعُدْ له وزنٌ يُذْكَرْ بعد الضّماناتِ الكثيرةِ التّي سبق أن قدّمتها واشنطن، وبعد تكرارِ الوعودِ بدورٍ محايد، وإبداءِ الرّغبةِ في دولةٍ فلسطينيّةٍ قابلةٍ للحياة كما ورد في أدبيّات البيت الأبيض التّي تتجدّدُ كلماتُها وصياغاتُها الشّكليّةُ مع عهدِ كلِّ رئيسٍ جديد.

لقد ظلّ العربُ في العَقدين الأخيرَيْن ينتظرون الدّورَ الأمريكيَّ الذّي سيخلّصهم من الغُول الإسرائيليّ، ويعيدُ لهم حقوقَهم المسلوبة، لكنّ ذلك الدّورَ تأخّرَ كثيرا، وكلّما تأخّرَ كلّما زادتْ نقاطُ القوّةِ في يدِ إسرائيل، ونقصتْ في يدِ الدّولِ العربيّةِ المعنيّةِ بالصّراعِ العربيّ الإسرائيليّ بشكلٍ مباشر..!!

لاَ تُفَاوِضْ إلاّ إذّا كُنْتَ قَوِيًّا، لكن إذا كنتَ قويًا فلماذا تُفاوض... حكمةٌ تَنَاغَمَ معها قادةُ الكيان الصّهيونيّ منذ ظهرتْ دولتُهم إلى الوجودِ عام 1948... لقد خاضوا معاركَ السّياسةِ وجولاتِ المفاوضاتِ من خلال منطقِ القوّة، ولم يفكّروا أبدًا أن يتعاملوا معها من خلالِ قوّةِ المنطق..

وفي المقابلِ وقعَ بعضُ العربِ والفلسطينيّين أَسْرَى دائرةٍ مغلقةٍ غنيّةٍ بمفردات مثل: فاوضَ يُفاوض فهو مُفاوض، وعندما يواصلُ التّفاوضَ سيحصلُ على المزيدِ من جلساتِ التّفاوضِ ويؤدّي كلُّ ذلك إلى انتعاشِ سوقِ التّفاوض...!!!

إنّ صنّاعَ القرارِ في الغربِ يدركون جيّدا، خاصّة هذه الأيّام، أنّهم أمام سلطةٍ فلسطينيّةٍ ضعيفةٍ لا تمسكُ بأيّ أوراقٍ قويّةٍ على الإطلاق، فقسمٌ من مناطقِ نفوذِ تلك السّلطة في يدِ فصيلٍ مناهضٍ يملكُ زمامَ الأمور، ويديرُ السّياسةَ والاقتصادَ وحتّى الحرب، وله اتّصالاتُه وعلاقاتُه القويّةُ مع دولٍ عربيّةٍ وإقليميّةٍ فاعلة...

والفسادُ الماليّ قد فَعَلَ فِعلته في جسمِ السّلطة، وخيوطُه وأسرارُه في يدِ الجانبِ الإسرائيليّ يسرّبُ منها لوسائلِ الإعلامِ ما يريدُ ومتى يريد...؟؟ وأغلبُ الأنظمةِ العربيّةِ بين متفاعلٍ بإخلاصٍ مع المشروعِ الأمريكيّ، وبين متردّدٍ أو ساكتٍ وكأنّ الأمرَ لا يعنيه...!! أما مفرداتُ حملِ السّلاح، والعودةِ إلى خنادقِ النّضالِ فلم تَعُدْ جزءًا من قواميسِ قادةِ السّلطة، ولو على سبيلِ الخداعِ والكرّ والفرّ.

لقد أرسلَ المجتمعون في القاهرة رسالةً إلى الرّئيسِ الأمريكيّ بَارَاكْ أُوبَامَا افتتحوها بالثّناءِ على دوره وجهوده، **وَلَيْتَ رِسَالَتَهُمْ كَانَتْ بِدَايَةً حَقِيقِيَّةً لِمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ يَتِمُّ فِيهَا وَضْعُ النِّقَاطِ عَلَى الْحُرُوفِ وَيَصْدَعُ فِيهَا الْعَرَبُ فِي وَجْهِ السَّيِّدِ الامريكيّ بِأَنَّ الْكَيْلَ قَدْ طَفَحَ**، وأنّ الحكوماتِ العربيّةَ لن تتحمّلَ أكثر مما تحمّلت، وأنّ الوقتَ قد حانَ لِاحْتِرَامِ رغباتِ الشّعوبِ العربيّةِ التّي تتطلّعُ إلى تجسيدِ الحقّ العربيّ والفلسطينيّ على الأرضِ دون لفٍّ أو دوران، أو جريٍ وراء وَهْمِ الألاعيبِ والمماطلاتِ السّياسيّةِ التّي برعتْ فيها الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ وحلفاؤُها الغربيّون... ستتبدّلُ المعادلةُ حينها، ولن نحتاجَ إلى مهازلِ المفاوضاتِ إلاّ فيما ندر.

2010-07-31

أَبُو مَازِن عَلَى خُطَى عَرَفَات..!!

تبخّرَ حُلُمُ الرّئيسِ الأمريكيّ الدّيمقراطيّ بِيلْ كْلِنْتُون وتحطّمتْ أحلامُه على صخرةِ صمودِ الرّئيسِ الفلسطينيّ ياسر عرفات واستمانته، وتشبّثه بالثّوابتِ الأساسيّةِ في القضيّةِ الفلسطينيّة.. لقد بذلَ كلنتون كلَّ ما في وسعه في آخرِ أيّامِ عُهْدَتَيْهِ في البيتِ الأبيض، وحاولَ أن يغادرَ وقد حجزَ لنفسه فصلاً مناسباً في موسوعةِ التّاريخ المعاصرِ عنوانُه تحقيقُ معجزةِ السّلامِ بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين.

مرّتِ الأيامُ وكرّتِ السّنونُ وعادَ الدّيمقراطيّون إلى واجهةِ الحكمِ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

عادوا بِوَجْهٍ جديدٍ يتّفقُ خصومُه وأنصارُه على السّواء أنّه أقربُ من غيره إلى الشّرق وأهله، لأكثرَ من سَبَبٍ وَسَبَب... قُرْبٌ قد يكونُ له بعضُ التّأثيرِ الآجل، وإن كان الحَلُّ والعَقْدُ في بلادِ العمّ سام في يدِ مؤسّساتٍ عريقة، وليس من السّهولةِ بمكانٍ أن يتغيّرَ بين عشيّةٍ وضحاها تبعًا لِهَوَى وتوجّهاتِ وجذورِ هذا الرّئيس أو ذاك.

عَادَ الدّيمقراطيّون إلى الحكمِ وعادَ معهم الاهتمامُ بالقضيّةِ الفلسطينيّةِ بعد قرابةِ عَقْدٍ من اللاّمبالاةِ التّي أظهرَها الجمهوريّون، وانعكستْ نتائجُها بشكلٍ واضحٍ على تصرّفاتِ ومواقفِ السّاسةِ الإسرائيليّين، فقد ضربوا يمينًا وشمالاً فحاصروا الزّعيم يَاسِر عَرَفَات حتّى الموت، وغزوا لبنان، وقصفوا قطاعَ غزّة وحاصروه، وما زالوا يفعلون ذلك.

عَادَ الدّيمقراطيّون إلى القضيّةِ الفلسطينيّة، وعاد كلنتون إلى الواجهةِ أيضا باسمه على الأقلّ الذّي تحملُه زوجُته هيلاري وزيرةُ الخارجيّة وأبرزُ الوجوهِ الباسمةِ في مشاهدِ التّصريحاتِ والمحادثاتِ والمفاوضاتِ التّي شَهدتْها واشنطن مؤخّرا، ثمّ (شرم الشّيخ) المصريّ، وبعدها مدينة القدس.

الرّاعي الأمريكيّ للمفاوضاتِ المباشرةِ بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين يبدو متفائلاً إلى أبعد الحدود، ويأملُ، حسب التّصريحاتِ والتّعليقات، في الوصولِ إلى نتائج تُفضي إلى قيامِ دولةٍ فلسطينيّةٍ قابلةٍ للحياةِ كما عبّر عنها المبعوثُ الأمريكيُّ للسّلام جُورْجْ مِيتْشَل..؟؟

تفاؤلٌ أمريكيٌّ كبيرٌ وتحمّسٌ شديدٌ رغم أنّ جدولَ أعمالِ المحادثاتِ مشحونٌ بخلافاتٍ مزمنةٍ وملفاتٍ شائكةٍ وقضايا ثقيلةٍ للغاية... الأمرُ الذّي دَعَا الرّاعي إلى تكثيفِ اللّقاءاتِ بين محمود عبّاس وبنيامين نتانياهو ووفدَيْهما المُفاوِضيْن، لكسرِ الجمودِ وتهيئةِ الأجواءِ النّفسيّةِ المناسبةِ التّي تساعدُ على قطعِ خطواتٍ على طريقِ تجاوزِ الخلافات، والوصولِ إلى نقاطِ اتفاقٍ بين الطّرفين.

لقد دخلَ الفلسطينيّون هذه المفاوضاتِ المباشرةَ دون ضماناتٍ أمريكيّةٍ أو غربيّةٍ حقيقيّة، وقد تمّ إقناعُهم بالتّخفيفِ من شروطهم المُسبقة، والتّخلّي عن تلك التّصريحاتِ التّي سخّنتِ السّاحةَ الإعلاميّةَ خلال الأسابيع التّي سبقت انطلاقَ المفاوضات..!!

وفي المقابلِ دخلتْ حكومةُ إسرائيل المفاوضاتِ دون شروطٍ مسبقةٍ من النّاحيّة النّظريّة، لكنّها اشترطتْ لنفسِها، عمليًا، عندما صرّح نتانياهو أنّ الوصولَ إلى الحلِّ النّهائيِّ في المحادثاتِ المباشرةِ يتطلّبُ اعترافًا فلسطينيًّا بيهوديّةِ الدّولةِ الإسرائيليّة، وضمانِ الاستحقاقاتِ الأمنيّة المطلوبة..!!

دخلَ الفلسطينيون هذه المفاوضات ولا جديدَ على مستوى أوراقِ القوّةِ التّي ينبغي أن تكون بين أيديهم، سوى ذلك الأمل، أو الوهم، في حياديّة الإدارةِ الأمريكيّةِ وضغطها على الإسرائيليّين للتّنازلِ عن خطوطهم الحمراء الكثيرة، ومن ثمّ المرونة في بعضِ مواقفهم المتشدّدة ليتسنّى التّقدّمُ ببضع سنتيمترات إلى الأمام...!!

والمفارقةُ أنّ هناك نقاطَ قوّةٍ بادية للعيان، ويمكنُ للطّرفِ الفلسطينيِّ المفاوضِ أن يستعملها لو أراد ذلك...؟؟ والمفارقةُ الأخرى أنّ نقاطَ القوّةِ ليست من صنعِ يدِ الفلسطينيّ المُفاوِض، ولا من بنات أفكاره ولا حتّى ممّا هو في مخطّطاته وبرامجه العلنيّة والسّريّة...؟؟ إنّها نقاطُ قوّةٍ ستكون في صالح الفلسطينيّين إذا أحسنوا استغلالَها جيّدًا، وهي واضحةٌ تمامًا لدى الرّاعي الأمريكيّ والغريم الإسرائيليّ، وسينظران إليها حتمًا باهتمامٍ وحذرٍ شديدٍ لو تمّ التّلويحُ بها.

من بين نقاطِ القوّةِ استمرارُ صمودِ قطاعِ غزّة المحاصَر، وبإدارةِ حركة حماس التّي ترفضُ جميعَ أشكالِ المفاوضاتِ والاتّفاقيّاتِ وما تمخّضَ عنها سابقًا، وما يمكن أن تؤولَ إليه لاحقًا... وهو صمودٌ بَاتَ مُقْلِقًا للإدارةِ الأمريكيّةِ لأنّ الكيانَ (المشاكس) الذّي صمدَ كلّ هذه السّنوات وسط حصارٍ خانقٍ من الأشقّاءِ والأعداءِ على حدٍّ سواء، كفيلٌ بدفعِ شعوبِ المنطقةِ، وحتّى بعض حكوماتها، إلى إعادةِ التّفكيرِ في أساليبِ

وآليّاتِ إدارةِ الصّراعِ، وترتيبِ موازينِ القوّةِ وخرائطِ التّحالفاتِ والتّحرّكاتِ السّياسيّةِ من جديد..؟؟

ومِنْ بين النّقاطِ أيضًا ذلك التّغييرُ الذّي حدثَ على خارطةِ ثوابتِ السّياسةِ الإقليميّةِ بعد الدّورِ التّركيّ في المناداة، ومن ثمّ التّحرّك، برفعِ الحصارِ عن قطاعِ غزّة والدّخولِ في مشاحناتٍ ومَلاَسَنَاتٍ مع إسرائيل هي الأشدّ في تاريخ العلاقاتِ بين أنقرة وتل أبيب، الأمرُ الذّي يؤشّرُ إلى أنّ روابطَ البلدين لن تعودَ إلى أيّامِ السّمنِ والعسل، خاصّة أنّ صِلاَتِ تركيا بجيرانها العرب والإيرانيّين قد تسارعتْ وتيرتُها الإيجابيّة بشكلٍ كبير، وأسكتتْ حتّى تلك النّخبة التّركيّة المتعاطفة مع إسرائيل بعد النّتائج الاقتصاديّة الباهرة لهذه الصِّلاَتِ الجديدة.

نقاطُ القوّة السّابقة وغيرها قد تجعلُ المفاوضاتِ مفتوحةً على بعضِ المفاجآت، فالرّغبةُ الأمريكيّة في دعمِ من تسمّيهم المعتدلين واضحة، ولا بدّ لهؤلاء، سلطة فلسطينيّة وحكومات عربيّة، أن يجنوا شيئا من هذه المفاوضات... وهكذا ستجتهدُ إدارةُ البيتِ الأبيضِ في إكرامِ هؤلاء والحرصِ على تجنيبهم خيبةَ الفشلِ والهوان أمام الجانبِ الإسرائيليّ المتغطرس، وهو أمرٌ، لو حَصَل، سيزيدُ من حالةِ الصَّغَارِ أمام الشّعوبِ المتململة والنّخبِ السّياسيّة المعارِضة..

لكنّ هذا الأمرَ مرهونٌ بمدى قدرةِ الطّرفِ الفلسطينيّ على الصّمودِ في وجهِ الضّغوط...

لَقَدْ صَمَدَ يَاسِر عَرَفَات فِي كَامْبْ دِيفِيد عَامَ أَلْفَيْن وَرَفَضَ التّنَازُلَ، وَكُلُّنَا أَمَلٌ أَنْ يَصْمُدَ عَبَّاس أَيْضًا ويعيدُ إلى الأذهانِ صورةَ الزّعيم أبي عمّار المُحَاصَر الذّي لم تطاوِعه نفسُه نسيانَ القدس وحقّ اللاجئين في العودة، وغيرها من الحقوقِ الثّابتةِ للشّعبِ الفلسطينيّ.. وإن كانت الحقيقةُ أنّ فلسطين كلّها حقّ ثابت من النّهر إلى البحر.

2010-09-18

غَزّة.. الْمُعَادَلَةُ الْجَدِيدَة

ما الجديدُ في غزّة بعد عُدوان الثّمانيةِ أيّامِ الأخيرِ على شعبِها وشجرِها وحَجَرِها، وجوِّها وبرِّها وبحرِها..؟؟ هناك جديدٌ بالتّأكيد.. لكنَّ فريقًا من مُدْمِني التّشاؤمِ يصرّون على أنَّ مسارَ الأحداثِ كان روتينيًّا.. عدوانٌ إسرائيليّ، وَرَدٌّ من فصائلِ المقاومةِ الفلسطينيّة، ثمّ قلقٌ عالميٌّ، يَلِيهِ تدخّلٌ مصريٌّ، ثمّ هدنةٌ يحاولُ كلُّ طرفٍ أن يصنعَ منها انتصارًا باهرا.

التّفسيرُ التّشاؤميّ للأحداث، والنّظرةُ المنبثِقةُ من نفسيّةٍ انهزاميّةٍ لا تنتجُ سوى ذلك السّياق العاديّ في تحليل ما جرى، بينما يقتضي النّظرُ السَّليمُ الإحاطةَ بالقضيّةِ إجمالا، وقياسَها من جميع أبعادها، ومقارنةَ السّابقِ بالرّاهن، ثمّ الآتي وما سيحملُه معه من خلال المعطيات الجديدة.

إنّ حروبَ التّحرّرِ التّاريخيّةِ والمعاصرة، على حدٍّ سواء، لم تعرف النّصرَ الحاسمَ والفوريَّ والشّاملَ، بل سارتْ عبر مراحل، وقاستِ الشّعوبُ وعانتْ ودفعتِ الأثمانَ الباهظة، وعندما تراكمتِ الأسبابُ اندحرَ العدوّ.

إنّ المتتبّعَ لمحطّاتِ قضيّةِ فلسطين يلاحظُ ذلك الانحدارَ البيانيّ، وإن تخلّله بعضُ الصّعود، والبدايةُ منذ المؤتمر الصّهيونيّ في سويسرا قُبَيْل نهاية القرن التّاسع عشر، حيث انطلقَ التّخطيطُ لإقامةِ وطنٍ لليهودِ على أرضِ فلسطين، واستمرّ الانحدارُ مع وعدِ بلفور المشؤوم عام 1917، حيث وعدتْ بريطانيا العظمى اليهودَ بإسكانهم فلسطين، أرض الميعاد كما يزعمون.

واستمرّ المسارُ في التّدهورِ عندما وافقَ مجلسُ الحلفاءِ على وضعِ فلسطين تحت الانتدابِ البريطانيّ عام 1920، ثمّ اعترفتْ عصبةُ الأممِ بذلك وصدّقتْ على وعدِ بلفور الذّي يصفه الفلسطينيّون بـ (وَعْدُ مَنْ لاَ يَمْلِك لِمَنْ لاَ يَسْتَحِق).

لم يقصّرِ البريطانيّون في دعمِ اليهودِ والحركةِ الصّهيونيّة، وعيّنوا في منصبِ المندوبِ البريطانيّ في فلسطين أحدَ القادةِ اليهودِ وهو (السّير هربرت صموئيل) حيث اضطلعَ بمهمّةِ تيسيرِ الهجرةِ اليهوديّة، ثمّ مكّنَ اليهودَ الوافدين من الأراضي والاقتصاد، ولاحقًا سهّلَ هذا المندوبُ أسبابَ التّسليحِ والتّنظيمِ لليهود، فكانتْ نواةُ العصاباتِ اليهوديّةِ التّي هجّرتِ الفلسطينيّين عن أراضيهم.

وصلتْ القضيّةُ الفلسطينيّةُ بعد ذلك إلى قرارِ الأممِ المتّحدةِ الجائرِ عام 1947 حيث قسّمَ البلادَ إلى شطرين، يهوديّ وعربيّ، وأعلنَ الصّهاينةُ دولتَهم في العام الموالي، وقامتِ الحربُ العربيّةُ الإسرائيليّةُ الأولى، وحلّتِ النّكبةُ بعد أن فرضَ العالَمُ هدنةً على

الطّرفين، فاستقرّ اليهودُ على مساحةٍ تقاربُ الثّمانين في المائة من أرض فلسطين التّاريخيّة..!!

مرّتِ السّنواتُ بعد ذلك وكانت الإدارةُ مصريّةً في قطاعِ غزّة، وأردنيّةً في الضّفةِ الغربيّة، وجاء عامُ 1967 والحربُ العربيّة الإسرائيليّة الثّانيّة، وكانت النّكسةُ عندما فَقَدَ العربُ ما بقي من أرض فلسطين، إضافةً إلى مرتفعاتِ الجولان السّوريّة وشبه جزيرة سيناء المصرية، وتوالى الانحدارُ عندما خرجتِ المقاومةُ الفلسطينيّة من الأردن إلى لبنان بعد أحداث أيلول الأسود الدّامية عام 1970.

ودخلَ العربُ حربًا ثالثةً مع الإسرائيليّين عام 1973 وكان النّصرُ فيها حليفًا للعرب، ولو بشكلٍ نسبيّ، وشهدتِ الجبهةُ المصريّةُ بطولاتٍ كبيرة، لكنّ الرّئيسَ المصريَّ أنور السّادات استغلَّ هذا الإنجازَ في إقامةِ سلامٍ معَ الدّولةِ الصّهيونيّة، عَبْرَ زيارتِه المفاجِئةِ للقدس ودخولِه في مفاوضاتٍ مع إسرائيل أفضتْ إلى ما يُعرف بمعاهدةِ كامب ديفيد، وبها خرجتْ مصر من معادلة الصّراع.

أمّا الجبهةُ اللّبنانيّة، التّي انتقلتْ إليها فصائلُ المقاومة، فقد فقدتْ فعاليتها بعد بدايةِ الحربِ الأهليّةِ عام 1975، وانتهى الأمرُ إلى اجتياحٍ إسرائيليّ للبنان عام 1982، ثمّ وساطةٌ دوليّةٌ أبعدتِ المقاومين إلى دولٍ أخرى، فتفرّقوا أيَادِي سَبَأ، واستقرّ المقامُ بياسر عرفات بعيدًا عن حدود فلسطين، حيث صارَ مقرُّ حركةِ فتح ومنظّمةِ التّحرير في تونس..!!

واستمرّ المسلسلُ حيث أعلنتْ منظّمةُ التّحرير عن قيامِ دولة فلسطين (في الجزائر) عام 1988، دون أن يكون تحت أقدامِ القادةِ شبرٌ واحدٌ من الأرضِ المحرّرة، وباتَ واضحًا أنّ بوابةَ الطّريق نحو المفاوضاتِ وحلّ الدّولتين قد انفتح على مصراعيه..

وانطلقتْ مفاوضاتُ العاصمة الإسبانيّة مَدْرِيدْ بين بعض العرب، وفيهم الفلسطينيّون، وإسرائيل... وبينما كان العالَمُ مشغولاً بمفارقاتها وتناقضاتها، كانتِ العاصمةُ النّرويجيّةُ أُوسْلُو تحتضنُ مفاوضاتٍ سرّيةً بين منظّمةِ التّحريرِ الفلسطينيّةِ والدّولةِ اليهوديّة... ثمّ

تَحْدُثُ المفاجأةُ بعد ذلك من خلال اتّفاق أُوسْلُو، ثمّ بداية تطبيقه في غزّة وأريحا عام 1994.

إلى هنا ظلّ الخطُّ البيانيُّ منحدرا في الأغلب... لكنّ مسارًا آخر بدأَ في الصّعود منذ الأيّام الأخيرة لعام 1987 من خلال الانتفاضةِ الشّعبيّةِ في الضّفةِ وغزّة... حيث تطوّرتِ الأمورُ إلى عملياتٍ استشهاديّةٍ ضدّ القوّات الإسرائيليّة بدأتْ في صُنْعِ معادلةِ توازنِ الرُّعب بين الطّرفين.

استمرتِ السّلطةُ الوطنيّةُ الفلسطينيّةُ في عملها، مع انتظارِ وعودِ الدّولةِ والسّيادة، ومع مرورِ السّنواتِ انكشفتْ نيّةُ إسرائيل في تفريغِ هذه السّلطةِ من أيِّ محتوى حقيقيّ، وما زاد الطّينَ بِلَّةً ذلك الانتشارُ الرّهيبُ للفساد في مؤسّساتها وهياكلها، ثمّ وصلَ الأمرُ إلى حصارِ القائد ياسر عرفات حين رفضَ التّنازلَ عن حقوقِ الشّعب الفلسطينيّ، وكانت تلك الوفاةُ الغامضةُ التّي تؤرّقُ أسرارُها قياداتِ السّلطةِ في رام الله..؟؟

سارَ المشهدُ نحو انتخاباتٍ تشريعيّةٍ فازتْ فيها فصائلُ المقاومة، وظهرت إلى السّطحِ أكثرُ من حكومةِ وحدةٍ وطنيّة، لكنّ الخلافاتِ توالتْ حتّى انتهتْ إلى صداماتٍ داميّة، ثمّ الانقسام التّام بين قطاع غزّة والضّفة الغربيّة.

وتصاعدَ المنحنى البيانيُّ للقضيّةِ الفلسطينيّةِ خلال عدوان إسرائيل على قطاع غزّة نهاية عام 2008... فرغم الدّورِ المصريّ الرّسميّ المتآمرِ على المقاومةِ حينها، كانت النّتيجةُ مشرّفةً عبر صمودٍ فلسطينيٍّ على الأرض، وإن كان الثّمنُ كبيرًا في الأرواح والممتلكات.

ثمّ جاء العدوانُ الأخيرُ ليسفرَ عن معادلةٍ جديدة، فارتفعَ المنحنى البيانيُّ عاليًّا... موقفٌ مصريٌّ مغاير، وصواريخٌ تصلُ القدسَ وتل أبيب لأوّل مرّة، ولا تتوقّفْ حتّى آخر اللّحظاتِ قُبَيْلَ سريان الهدنة، ووزراء عرب وغيرهم يصلون غزّة وقت العدوان.. ومعبرٌ مفتوحٌ في رَفَحَ.. وغير ذلك... **وَبِاخْتِصَارٍ هِيَ مُعْطَيَاتٌ جَدِيدَةٌ عَلَى طَرِيقِ الصِّرَاعِ.. وَالآتِي سَيَكُونُ أَكْثَرُ إِيلاَمًا لِإِسْرَائِيل وَحُلَفَائِهَا.**

2012-11-25

فُوبْيَا الْآخَر..!!

هل هناك محمود عبّاس آخر يقصدُه القياديُّ الفتحاويُّ المطرودُ غير الذّي نعرفُه عبر وسائل الإعلامِ العربيّة والأجنبيّة.؟؟ ربّما يتسرّبُ الشكُّ إلى العقول وتتزحزحُ الحقائقُ عن مكانها الذّي يعرفُه النّاسُ منذ عشرات السّنين، سواء أكان هذا التّزحزحُ من ناحية شخصِ الرّئيسِ الفلسطينيّ عبّاس، أو توجّهاته السّياسيّة والفكريّة وعلاقاته الفلسطينيّة والإقليميّة والدّوليّة.. حقًّا إنّه زمنُ التّيه حين تغزو الحيرةُ العقولَ والنّفوس.

سرٌّ عظيمٌ وخطيرٌ كشفَ عنه القياديُّ الفلسطينيُّ محمّد دحلان...؟؟؟

وسبْقٌ صحفيٌّ تاريخيٌّ حقّقته قناةٌ مصريّةٌ مملوكةٌ لرجلٍ مقرّبٍ من نظام مبارك السّابق، أو الحالي بالأحرى لأنّه أعادَ إنتاج نفسه على صورةٍ جديدةٍ من خلال انقلابِ الثّالث من يوليو العام الماضي، وما تلاه من أحداثٍ مأساويّة، ومحاولاتٍ سياسيّة لفبركةِ مؤسّساتٍ تبدو مقنعةً بعض الشّيء لعيونِ وآذانِ الخارج قبل الدّاخل...!!!

تحدّثَ دحلان مطوّلاً في مقابلةٍ تلفزيونيّة، وتعرّضَ لعلاقةِ الرّئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس بالرئيس المصريّ المنتخب الدّكتور محمّد مرسي...؟؟؟

فهل هي علاقةُ صداقةٍ أو نسبٍ أو تشابهٍ في الأسماء، حيث يشتركان في البداية وهي الميم..؟؟

هل هو استثمارٌ اقتصاديٌّ في مصر أو فلسطين أو غيرهما من بقاع الدّنيا..؟؟

لا.. أبدا.. إنّها علاقةٌ من نوع آخر.. إنّها العمالةُ وما أدراك ما العمالة... فقد اتّهم دحلان رئيسَه السّابق في فتح والسّلطة بالتّبعيّة للرّئيس محمّد مرسي...!!!

السّؤالُ الأوّلُ الذّي يقفزُ بحدّةٍ إلى الذّهنِ يتّجهُ مباشرةً نحو الدّافعِ الكامنِ وراء مثل هذه التّصريحاتِ الغريبة والسّخيفة في الوقت ذاته.. ما الهدفُ الذّي يصوّبُ نحوه دحلان، وأيضا تلك القناةُ التّلفزيونيّة..؟؟

فالمؤكّد أنّ المقابلةَ ليست بريئةً بالكاملِ حيث يصعبُ القبولُ بأنّ هدفَها إخباريٌّ بحتٌ، ومن ثمّ الحصول على تصريحاتٍ حصريّةٍ على لسانِ الرّجلِ الفتحاويّ المثيرِ للجدلِ منذ انطلاقِ مشروعِ أُوسْلُو من غزّةَ وأَرِيحَا، ثمّ تقلّده لمناصب أمنيّةٍ رفيعةٍ دفعتْ به إلى الواجهةِ السّياسيّةِ بعد ذلك، ليقدمَّ نفسَه في صورةِ البرلمانيّ المثقّفِ والسّياسيّ المحنّكِ الذّي يحسنُ الجريَ والمراوغةَ فوق أكثر من مضمار.

مفارقةٌ فعلا...

محمّد مرسي عَجَزَ عن اكتسابِ ولاءِ أقربِ النّاسِ إليه: محمد إبراهيم وزير الدّاخلية وعبد الفتّاح السّيسي وزير الدّفاع.. لكنّه نجحَ في تجنيد (أبو مازن) رئيس السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة والمسؤول الأوّل، وربّما الأخير، في كلٍّ من حركةِ فتح ومنظّمةِ التّحريرِ الفلسطينيّة..؟؟

كان على الصّحفيّ، صاحب الحوار مع دحلان، أن يسألَ ضيفَه إن كان يقصدُ اسمًا مشابهًا آخر غير محمود عبّاس، فالإنسانُ خطّاءٌ ومعرّضٌ للزّلل، وقد تكونُ التّهمةُ موجهةً لرجلٍ يحملُ الاسمَ نفسَه في الضّفة الغربيّة أو قطاع غزّة أو الشّتات أو حتّى مناطق الخطّ الأخضر، فتجنيدُ محمّد مرسي للرّئيس عبّاس الذّي يعرفُه العربُ أمرٌ بالغُ الخطوةِ، وقد يقلبُ الموازين رأسًا على عقبٍ ويؤدّي إلى إفشالِ القمّةِ العربيّة، وقد يحدثُ شرخًا أكبر في الصّفّ العربيّ المشروخ أصلا بعد أن تتسلّلَ خيوطُ الشّكّ بين القادة العرب..!!!

فمن الذّي وقعَ أيضا في شباكِ محمّد مرسي وأجهزةِ مخابراته العاتيّة...؟؟؟

والسّؤالُ الثّاني يتّجه نحو شخصِ دحلان خلال المقابلةِ وقبلها بقليل، وإن كان في حالةِ وعيٍ كاملٍ بما حوله، وهل شربَ ما قد يضرُّ بالعقلِ أو التّركيزِ أو الذّاكرة..؟؟

وأكثرُ من ذلك ربّما ترجّحَ لدينا أنّ الرجلَ كان تحتَ تأثيرِ سلطةٍ أخرى غير مرئيّة، كما يُشاع في مجتمعاتنا التّي تبالغُ في وصفِ قدرةِ الجنّ على تلبّسِ الإنسانِ والحديثِ على لسانه وأحيانًا بلغات أخرى.

ولأنّ دحلان تحدّثَ بعربيّة مفهومة، فالمؤكّد أنّ الجنَّ الذّي ركِبَهُ من سُلالَةٍ عربيّة، وقد يكون من قبائل الجنّ المصريّة التّي أيّدت السّيسي وهامتْ به، فللرّجل عشّاقه وأنصاره في عالَم الجنّ كما هو الحال في عالَم الإنس...!!!

محمود عبّاس، أبو مازن، هو ذلك الدّاهية الذّي أشرفَ على مشروع السّلام وأُوسْلُو وما بعده من اتفاقيات، ويقالُ إنّ الزّعيمَ الرّاحلَ ياسر عرفات تردّدَ في اللّحظاتِ

الأخيرةِ قُبَيْلَ توقيعِ اتّفاقِ أُوسْلُو في حديقةِ البيتِ الأبيض عام ثلاثة وتسعين من القرن الماضي، فَانْبَرَى له محمود عبّاس وأقنعه من جديد وأعادَه إلى الطّريق المقصودة، وتمّ التّوقيعُ وكانت المصافحةُ الشّهيرةُ بين عرفات وإسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيليّ آنذاك.

تردّدَ عرفات بعد أن أحسّ بجسامةِ الموقفِ وخطورةِ بنود الاتّفاق على مستقبلِ فلسطين، فدفعه أبو مازن وأزالَ من رأسه وساوسَ الخوف، أو أوقفَ مفعولَها لبعضِ الوقتِ على الأقلّ حتّى تمرّ اللّحظةُ التّاريخيّة بسلام.

لقد مَارَسَ محمّد دحلان حقَّه، من النّاحيّةِ النّظريةِ على الأقلّ، في الدّفاعِ عن نفسه، وشَرَحَ وجهةَ نظره حول الخلافِ الدّائرِ بينه وبين محمود عبّاس وقضيّةِ طرده من حركةِ فتح، وما قد يتبعُ ذلك من تسريباتٍ وفضائح، سواء ما تعلّقَ منها بسنواتِ نفوذه في قطاع غزّة قبل إجلائه على يد عناصر حركة حماس، أو خلال إقامته في الضّفة الغربيّة بعد ذلك، أو نشاطه في شبه جزيرة سيناء المصريّة قبل وبعد الانقلاب على الرّئيس محمّد مرسي...؟؟

لكنّ دحلان استطردَ في دفاعه عن نفسه واستغلَّ أوراقًا مصريّةً... فخبرتُه الطّويلةُ في اللّعبِ على كلِّ الحبالِ نبّهته إلى أهميّةِ استغلالِ فُوبْيَا الإخوان، والآخر عموما، عند قادةِ الانقلابِ في مصر، فراحَ يكيلُ التّهمَ لمحمود عبّاس بالولاءِ والعمالةِ لمحمّد مرسي، والإخوان طبعا.. فعميلُ عدوّك عدوّ أيضا، وإن أظهرَ لك الودّ على رؤوس الأشهاد.

لَقَدْ أَدْرَكَ دَحْلاَن حَجْمَ الْخَوْفِ المَرَضِيِّ الذِّي يَسْكُنُ قُلُوبَ سِيَاسِيِّينَ وَإِعْلاَمِيِّينَ وَعَسْكَرِيِّينَ مِصْرِيِّينَ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ، فَحَاوَلَ اسْتِمَالَتَهُمْ فِي مَعْرَكَتِهِ ضِدَّ مَحْمُود عَبَّاس، خَاصَّةً أَنَّ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ مَصِيرِيَّة، فَقَدْ تَكُونُ الْأَخِيرَةُ فِي مَسِيرَتِهِ الْمُثِيرَةُ لِلْجَدل.

2014-03-23

المِحْوَرُ الثَّالِث

مَرْكَزُ الثِّقَل.. وَانْحَلَل

أُمُّ الدُّنْيَا، شَمَالِيّ الْوَادِي
جَنُوبِيُّ الْوَادِي، السُّودَان
الْجَامِعَةُ الْعَرَبِيَّة.. قِمَمٌ وَعَجْز

دَارُ لُقْمَان سَتَظَلُّ عَلَى حَالِهَا

عندما عادَ أميرُ البَيَان العربيّ شكيب أرسلان إلى وطنه لبنان عام 1946 كان يعاني المرضَ بعد سنواتٍ طويلةٍ من الهجرةِ والكفاحِ والنّضالِ لأجل قضايا الأمّة العادلة.. ومِمّا قَالَهُ في ساعاته الأخيرة إنّه لا يُقْلِقُهُ شيءٌ وهو يستقبلُ الموتَ كما يُقْلِقُهُ مَصِيرُ فلسطين..

قال الأميرُ أرسلان كلمتَه تلك، والجامعةُ العربيّةُ في ذلك الوقت لا تزالُ في مهدِها حديثةَ الولادة، ولم يَفُتْهُ أن يعربَ عن تشاؤمه بميلادها لسببٍ واحدٍ وهو "أن تكونَ بريطانيا هي السّاعيّة في إيجاد الجامعة".

قد يتبادرُ إلى الذّهن أنّ لعنةَ رِضَا بريطانيا عن الجامعة عند إنشائها، جعلتها تنسخُ الفشلَ بعد الفشل حتّى خلال سنواتِ ازدهارِ الأنظمةِ العربيّةِ الثّورية، وما كانتْ تحملُه من شعاراتٍ عملاقةٍ تراوحتْ بين تحقيقِ الوحدةِ العربيّةِ والأمّةِ الواحدة، وبين التّخلصِ من دولةِ الكيانِ الصّهيونيّ ورمي الصّهاينةِ في البحر..؟؟

لكنّ شيئًا من التّعقلِ يجعلُنا نَميلُ إلى أنَّ الرّضَا البريطانيّ، لو كان رضًا كاملاً، هو وليدُ ظروفٍ تاريخيّةٍ معيّنةٍ وأطماعٍ استعماريّةٍ نابعةٍ من قراءةٍ محدّدةٍ لمعطياتِ الواقعِ وآفاقِ المستقبل، وهو ما قد يعني بالضّرورةِ أنّ ذلك الرّضَا لم يستمر، وأنّ الحدودَ التّي تكونُ جهاتٌ استعماريّةٌ أو قِوىً دوليّة قد وضعتْها للجامعة لم تَدُمْ طويلاً، أو هذا ما نظنُّه بزعماء عقودِ الخمسينيّات والسّتّينيّات والسّبعينيّات من القرن العشرين، قبل أن يبدأَ الوهنُ والخنوعُ والخضوعُ العلنيُّ في التّسرّبِ إلى هياكلِ البناءِ العربيّ في الثّمانينيّات، أما خلال التّسعينيّات وهذا العقد من القرن الجديد فحدّث ولا حرج، حيث ظهرتْ لعنةٌ أخرى أسوأُ على الجامعة العربيّة من اللّعنةِ الأولى وهي الرّضا الأمريكيّ عنها وعن قراراتها، وهو ما يعني أنّها لن تفعلَ شيئًا يغضبُ إسرائيلَ البنتَ الأمريكيّةَ المدلّلة..!!

كانت النّخبُ العربيّةُ الحيَّةُ تعيبُ على الجامعةِ العربيّةِ وزعاماتِها خلال العقود الماضيّة إدمانَ الشّعاراتِ وبياناتِ الشّجبِ والاستنكار..

لكن... أَلاَ لَيْتَ أيّامَ الشّجبِ والاستنكارِ والوعيد تعودُ يوما، ليحكي لها الجيلُ الجديدُ ما فعلَ به زعماءُ اليوم حين حَرَمُوهُ حتّى من الحلمِ ومن الشّجبِ والاستنكار...!!!

لقد صارَ السّلامُ خيارًا استراتيجيًّا، وهي رسالةٌ واضحةٌ إلى إسرائيل أن تفعلَ ما تشاء بالفلسطينيّين، فالعربُ لن يحاربوا ولن يلوّحوا بالحرب...!!

لقد قال أحدُ الزّعماءِ العربِ قبل سنواتٍ قليلةٍ إنّ "الحرب مُودَه قديمة"، وقالَ الأمينُ العام للجامعة العربية يوما عندما سأله صحفيٌّ عن موقفِ العربِ إذا رُفضتْ مطالبُهم، وقد كان حينها يتحدّث عن قضيّة عربيّة حسّاسة: حَنِعْمَلْ إِيهْ يَعْنِي، حَنْحَارِبْ..؟؟!!!

نعم لن يحاربوا، ولن يشجبوا، ولن ينادوا بالمقاطعةِ الاقتصاديّة، ولن تسحبَ الدّولُ العربيّةُ التّي تقيمُ علاقاتٍ رسميّةَ مع إسرائيل سفرءَاها ولو لمجرّد التّشاور..!!

البعضُ في قِمَمٍ سابقةٍ تحدّثَ عن النّسخِ واللّصقِ في بيانات القمّة العربيّة، وما أتمنّاه في قِمَّةِ هذا العام أن يخطئَ القائمون على القمّةِ فينسخوا بيانًا قديمًا من بياناتِ أيّامِ العزِّ والشّجبِ والاستنكارِ والكلماتِ الكبيرة، لعلّ قولَ الشّاعرِ يصدقُ في قمّة زعمائنا:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مال فليصدق النّطق إن لم يصدق الحال

إنّ القممَ الماضيّةَ حملتِ الكثيرَ من الكلماتِ القويّةِ والشّجاعة، فماذا لو نسختِ الجامعةُ العربيّةُ بعضًا منها، لتعودَ بنا إلى أجواءِ ومشاعرِ قمّةِ الخرطوم عام 1967 حيث اللاّءات الثّلاث: لا صلح، ولا تفاوض مع إسرائيل، ولا اعتراف بها، وقمّة الجزائر عام 1973 حيث أعلنَ الزّعماءُ العربُ صراحةً استحالةَ فرضِ حلّ عليهم، وقمّة بغداد عام 1978 حيث رفضَ الزّعماءُ اتفاقيّةَ كَامْبْ دِيفِيدْ التّي وقّعها الرئيسُ المصريُّ أنور السّادات مع إسرائيل، وقمّة تونس عام 1979 التّي أكّدت على تطبيقِ المقاطعةِ على مصر، ومنعِ تزويدِ إسرائيل بمياه النّيل، وإدانةِ سياسةِ الولايات المتّحدة وتأييدها لإسرائيل.

ربّما تفهّمَ البعضُ هذا الهوانَ والوهنَ الذّي يضطرُّ زعماؤُنا إلى توريثه للأجيال القادمة تحت دعاوى أنّ السّياسة هي فنّ التّعامل مع الممكن والمتاح، وأنّ عالَمَ اليوم يحتاجُ إلى واقعيّةٍ وبراغماتيّةٍ لا متناهيّة... لكنْ لا أقلَّ من أن يتركَ زعماؤُنا لأجيالنا القادمةِ أرشيفًا معبّرًا من البياناتِ القويّةِ تكونُ لهم عونًا في صراعِ البقاءِ القادم، وتحفظُ لهم ذاكرتهم التّاريخيّة.

وفي هذا السّياق.. وعند زيارته مؤخّرا لدمشق انتقلَ الأمينُ العام لجامعة الدّول العربيّة عمرو موسى إلى مكانِ انعقادِ القمّةِ العربيّةِ العشرين، حيث عاينَ قَصْرَ المؤتمراتِ والمنشآتِ الخاصّةِ بالقمّة، وأعربَ من هناك عن تقديره للجهود المبذولة لاستكمال متطلّبات انعقادِ القمّةِ من مقرّات وقاعات، وقال السّيد الأمينُ العام إنّ التّجهيزات في أحسن مستوى، كما أنّ القاعات التّي ستشهدُ الاجتماعات في مستوى جيّد يحقّقُ الغايةَ من إنشائها..!!

وهكذا يبدو أنّ الجهودَ العربيّةَ الرّسميّة، خاصّة جهود أمانة الجامعة العربيّة، لا تَأْبَهُ كثيرا لقرارات القمّة وآمال الجماهير العربيّة، وما ينتظره الشّعب الفلسطينيّ والعراقيّ من قرارات ولو كانت لفظيّةً كلاميةً إنشائية..؟؟؟

فَمَا يَأْبَهُ لَهُ الرَّسْمِيُّونَ هُوَ الْقَاعَاتُ وَالاسْتِرَاحَاتُ وَالتَّجْهِيزَاتُ، فَالْمُهِمُّ هُوَ أَنْ تَظْهَرَ الْقِمَّةُ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ وَأَحْسَنِ حُلَّةٍ من استقبالاتٍ واجتماعاتٍ، وكلماتٍ أعدّها مستشارو الزّعماء بدقّةٍ وعنايةٍ فائقة، ومن ثمّ قراءة بيانٍ ختاميّ، وكلُّ قمّةٍ ودارُ لقمان على حالها..

2008-03-27

تَعَدَّدَتِ الأَسْبَابُ وَالْهَدَفُ وَاحِد

يبدو أنّ الجهاتِ الدّوليّةَ الْمُرَاهِنَةَ على استمرارِ الهرجِ والمرجِ في بلاد السّودان الواسعةِ فاجأتِ الجميعَ عندما أنزلتْ أقوى أوراقها على طاولةِ اللّعب، واستهدفتْ بشكلٍ سافرٍ ومباشرٍ أكبرَ رأسٍ في البلاد، وذلك عبر قرارِ المحكمةِ الجنائيّةِ الدّوليّةِ استصدار مذكّرة اعتقال بحقّ الرّئيس عمر حسن البشير.

أصولُ الأزمةِ الحاليّةِ بين السّودان وما يُوصَفُ بالمجتمع الدّوليّ تعودُ إلى الاضطراباتِ التّي قفزتْ إلى سطح الأحداثِ منذ عام 2003 في إقليمِ دارفور شمال غربيّ البلاد..

تلك الأحداثُ الدّاميّةُ التّي تباينتْ التّقاريرُ والتّحليلاتُ حولها منذ ذلك الحين بين من اعتبرها نتائجَ عاديّةً لتراكماتٍ وخلافاتٍ وتناقضاتٍ قد تحدثُ في أيَّ دولةٍ تشبه السّودانَ في تركيبته العرقيّة واللّغويّة ومشاكله السّياسيّة، وبين من عَمِلَ جاهدًا على استغلالها حيث نسجَ منها "قميصَ عثمان" وراحَ يبكي شعبَ دارفور كذبًا وبهتانًا، ليستعطفَ العالَمَ بحكوماته وشعوبه ثمّ يستعديه على حكومة الخرطوم..؟؟

التّحقيقُ الذّي أجرته منظّمةُ الأممِ المتّحدةِ مطلع عام 2005 استبعدَ تمامًا أن يكون النّظامُ السّودانيُّ قد انتهجَ سياسةَ الإبادةِ الجماعيّةِ في إقليمِ دَارْفُور، والحكومةُ السّودانيّةُ ظلّت تعلنُ دائما استعدادَها لحلٍّ سلميٍّ عادلٍ مع الفصائلِ المتمرّدةِ في دارفور، وتصرُّ على ذلك في جميع المناسبات.

لكنَّ جهاتٍ دوليةً متعنّتةً ظّلت أيضا، وبنفسِ الإصرار، تدعمُ تلك الفصائلَ وتضغطُ بها على الخرطوم، وتضعُ من خلالها شروطاً تعجيزيّةً أدّت، وما زالت تؤدّي، إلى وَأْدِ أيّ مبادرةٍ حقيقيّةٍ للسلّامِ والأمنِ والوئامِ والتّعايشِ السّلميّ في مختلفِ مناطقِ دارفور.

هذه المشكلةُ كانت بمثابةِ الشّوكةِ في خاصرةِ السّودان لكنّه ظلّ صامدًا واستطاعَ لَمْلَمَةَ جراحه ونسيانَ آلامه ولو إلى حين، ومن ثمّ تجاوزَ جميعَ العراقيل والعقباتِ والضّغوطاتِ والمؤامرات ووقّعَ اتفاقية سلام مع ما كان يُعرفُ بالحركةِ الشّعبيةِ لتحرير السّودان في الجنوب الذّي تقطنه أغلبيّةٌ غير مسلمة..

وباتّفاقيةِ نِيفَاشَا ظنّتِ الخرطومُ أنّها ستتفرّغُ لحلّ مشكلةِ دارفور، لكنّ الرّياحَ لا تجري دائما بما تشتهي السّفن..؟؟

حديثٌ طويلٌ يدورُ، وأسئلةٌ تُطْرَحُ من هنا وهناك، وتحليلاتٌ وآراءٌ حول الأسباب الحقيقيّة وراء معاناة السّودان المتواصلة خلال العقود الماضية...؟؟؟

تلك المعاناةُ التّي ظهرتْ بأكثر من صورة وفي أكثر من جهة: في الجنوبِ تارةً وفي الغربِ أخرى، وفي الشّرقِ مرّة ثالثة.. وكلّما أطفأتِ الحكوماتُ السّودانيةُ المتعاقبةُ نارَ حربٍ أو فتنةٍ أو تمرّد؛ ظهرتْ نارٌ أخرى من جديد، وظهرتْ وراءها دولٌ مجاورةٌ أو بعيدة..!!!

نفس الأحاديث الطّويلة أيضا تتكرّرُ عن سرّ ذلك الضّميرِ الغربيّ الرّسميّ الذّي ظهرَ نقيًّا نظيفًا حسّاسًا يدافعُ عن "المظلومين" و "المقهورين" في السّودان، بينما يعيشُ ذلك الضميرُ نفسُه في إجازةٍ مفتوحةٍ تجاه قضيةِ فلسطين وشعبِها المُحَاصَر... ونكبة وتهجير وشتات دام ستّين عاما..؟؟؟

إنّ ادّعاءاتِ المحكمةِ الجنائيّةِ الدّوليّةِ والأرقامَ التّي أعلنتْها حقٌّ أُرِيدَ به باطل، لأنّ المجازرَ التّي حدثتْ والمآسي التّي ما زال يشهدُها إقليمُ دارفور لها نصيبٌ من الحقيقة، لكنّ الحقيقةَ أيضا أنّ الذّي يقفُ وراءها ما زال مجهولا، كما صارَ من شبه المؤكّدِ أنّ هناك جهات داخليّة وخارجيّة تسعى بكلّ قواها وإمكاناتها إلى زعزعةِ الأوضاعِ بشكلٍ أكبر وأفظع حتّى يختلطَ الحابلُ بالنّابل، وتجدُ الجهاتُ المشبوهةُ فرصتَها في التّدخّل بشكلٍ أعمقٍ والتّحكمِ في المنطقةِ بشكلٍ أفضل، وتلك سياسةٌ صارت واضحةً للعيان في أكثر من دولةٍ عربيّةٍ وغير عربيّة، ولا تخطئها حتّى العينُ المجرّدةُ والنّظرةُ العابرة..؟؟

إنّ المسألةَ خطيرةٌ وخطيرةٌ جدًّا... وتتجاوزُ الرّئيسَ البشير والسّودانَ لتصلَ خطورتُها إلى جميع دول العالَم العربيّ، حتّى تلك التّي تظنّ نفسَها حليفًا استراتيجيًّا لتلك القوى الدّوليّة المناكِفة للسّودان، وحتّى تلك التّي تظنُّ نفسَها في مأمنٍ من الصّراعاتِ والخلافاتِ والتّقلّبات.

إنّ الدّوَر قد يأتي على أيّ دولةٍ عربيّة، فقد كانتِ البدايةُ من ليبيا وقصّةِ لوكربي وتلك السّنوات العجاف التّي عاشتْها الجماهيريّة تحت الحصار الجويّ، وبرزتِ المأساةُ العراقيّةُ في الحصار أوّلاً ثمّ الغزوِ والحربِ التّي أكلتِ الأخضرَ واليابسَ وأعادتِ البلادَ عقودًا إلى الوراء.. ولا ندري على من يكون الدّورُ بعد السّودان..؟؟

إنّ كثيرا من شعوبنا العربيّة تعاني من افتقادِ الرّخاءِ الاقتصاديّ وانعدامِ الرّشدِ السّياسيّ على مستوى الحكومات، وينتشرُ في صفوفِ نُخَبِهَا انتهازيّون ومَصْلَحِيُّون ونفعيّون ومغفّلون... وَمَبْلَغٌ ماليٌّ قد لا يصلُ إلى مائة مليون دولار أمريكيّ يفعلُ الأفاعيل؛ فتقومُ به التّنظيماتُ والمعارضاتُ المسلّحة والمدنيّة في الدّاخل والخارج، وتظهرُ الأجنداتُ والمطالباتُ التّي تحسنُ دولٌ ومنظماتٌ غربيّةٌ استغلالَها والولوجَ من خلالها.. ومائة مليون دولار مبلغ زهيد إذا قارناه بما تنفقُه دولةٌ مثل الولايات المتّحدة الأمريكيّة على حربيْ العراق وأفغانستان..!!!

تتعدّدُ الأسبابُ والذّرائعُ والحججُ التّي تسوقُها هذه الجهةُ الدوليّة أو تلك، **لَكِنَّ الْهَدَفَ يَظَلُّ وَاحِدًا فِي جَمِيعِ الْحَالاَتِ وَهُوَ الْعَوْدَةُ بِنَا إِلَى الْوَرَاءِ دَائِمًا إِذَا كُنَّا نُحَقِّقُ بَعْضَ التَّقَدّم**، أو إيقافنا في مكاننا وتثبيت أقدامنا على خطّ الفقرِ والتّخلفِ والمشاكلِ والحساسيّاتِ العرقيّةِ والدّينيّةِ والمذهبيّة، وهي الوصفةُ المناسبةُ التّي يمكن من خلالها عودةُ الاستعمارِ القديمِ بوجهٍ جديد.

2008-07-17

كُونُوا عِبَادَ الله "أَزْوَالاً"

فِينْ الصّادق يا زُولْ، لِيشْ تَأَخَّر الصّادق يا زُولْ... كان المدعوّون يتساءلون وبينهم الرّئيسُ السّودانيُّ عمر حسن البشير، و"أستاذه" الدّكتور المفكّر حسن التّرابيّ.. والمناسبةُ زفافُ ابنة رئيس الوزراء السّودانيّ السّابق الصّادق المهدي، ذلك السّياسيُّ الكبيرُ المعارضُ لنظامِ ثورةِ الإنقاذِ في الخرطوم.

الزّفافُ كان يوم الاثنين التّاسع من شهر سبتمبر 1996، وكان الصّادقُ المهدي في تلك الأثناء، حسب زميلٍ سودانيٍّ رَوَى لي القصّة، متّجهًا نحو الشّرق يسابقُ الزّمنَ ويقطعُ صمتَ الصّحراء الأبديّ عبر سيّارةٍ رباعيّة الدّفع تكفّلَ سائقُها بإيصاله إلى الحدود السّودانيّة الإريتريّة.

كان الرّجلُ رَهْنَ المتابعةِ الأمنيّةِ الشّديدةِ منذ إطلاق سراحه شهر سبتمبر 1995 بعد اعتقاله الثّاني الذّي دام مائة يوم ويوم على يدِ سلطاتِ ثورةِ الإنقاذِ الوطنيّ.. تلك الثّورةُ التّي خطّطتْ لها الجبهةُ القوميّةُ الإسلاميّةُ بزعامة الشّيخ حسن التّرابيّ، وظهر في واجهتها الفريقُ عمر البشير القائدُ العسكريُّ الذّي عُرِفَ ببسالته في حرب المتمرّدين الجنوبيّين.

القصّةُ تبدو طريفةً إلى حدّ ما حيث يهربُ زعيمٌ معارضٌ يوم زفاف ابنته، وبحضورِ قادةِ النّظامِ الذّي فرضَ عليه المراقبة الأمنيّة اللّصيقة..!!

وَلِطَرَافَةِ "الإخوة الأعداء" هذه جذورٌ أخرى حيث يتداولُ السّودانيّون في أحاديثهم أنّ الصّادق المهدي كان يُخرجُ من سجنه لحضورِ المناسباتِ العائليّةِ المهمّة، فقد كان "السّجّانُ" هو الدّكتور حسن التّرابي زوجُ شقيقةِ الصّادق المهدي، فالرّجلان أسيران لعلاقاتٍ أسريةٍ حميمة، وأسيران في الوقتِ ذاته لخصوماتٍ فكريّةٍ وسياسيّةٍ مستحكمة..!!

الشّعبُ السّودانيُّ في طبيعته الأصليّة مسالمٌ جدًّا حتّى إنّ ملفَّ الاغتيالاتِ السّياسيّةِ في السّودان، ومنذ استقلال البلاد عام 1955، ظلّ شبه أبيض تماما رغم تعدّد الانقلابات العسكريّة.

وحوادثُ الاغتيال على الخلفيّة السّياسيّة تكادُ لا تُذكر، وَتُعَدُّ بِأَقَلّ من أصابع اليد الواحدة، مع أنّ الحَراك السّياسيّ في ذلك البلد العربيّ الأفريقيّ بدأَ مبكرًا جدًّا مقارنةً بدولٍ عربيّةٍ أخرى.

والحديثُ في السّياسة يأخذُ ساعات وساعات في مجالسِ السّودانيّين من مختلف الأطيافِ والألوان، ولعلّ طرفةً واقعيّةً أخرى تلخّصُ الأمرَ برمّته، وَرَاوِيَتُهَا هذه المرّة

طالبٌ درس في جامعةٍ عالميّة جمعت بين جدرانها طلاباً من شتّى الأجناس والألوان بينهم سودانيّون وصينيّون.. وقد تعوّدَ الطّلبةُ السّودانيّون على الجلوسِ في مقهى الحيّ الجامعيّ بعد العصرِ لتناول كأسِ شاي أو قهوة وتجاذبِ أطراف الحديث في القضايا السّياسيّة، وكانت الجلسةُ تتمدّدُ إلى مغيبِ الشّمس، ولم يهضم الطّلبةُ الصّينيّون الأمرَ فعلّقَ أحدُهم على طول مدّة تناولِ الشّاي عند السّودانيّين بقوله: في الصّين لا يبذلُ النّاسُ ربعَ ساعةٍ لوجبةِ غداء أو عشاء وهؤلاء يقضون ساعتين لتناول كأس شاي..!!

هذا الكلامُ الطّويلُ في العلاقاتِ الاجتماعيّةِ السّودانيّة، وحول براعةِ القومِ في إدارةِ النّقاشاتِ السّياسيّةِ قد يبدو دون مبرّر، لكنّني أطرحُه هنا لأنّه يطرحُ بدوره سؤالاً كبيراً على السّودانيّين وإمكاناتهم في حلّ أزماتهم، وهم ينتظرون هذه الأيّام صدورَ مذكّرةِ اعتقالٍ بحقّ رئيسهم من طرفِ محكمة الجنايات الدّولية في لاَهَاي.. والسّببُ هو ارتكابُ جرائمِ حربٍ في إقليمِ دارفور السّودانيّ حسب زَعْمِ المدّعي العام للمحكمة لويس مورينو أوكامبو..؟؟

إنّ أصولَ الأزمةِ الحاليّة بين السّودان وما يُوصفُ بالمجتمع الدّولي تعودُ إلى الاضطرابات التّي برزتْ إلى السّطحِ منذ عام 2003 في إقليمِ دارفور شمال غربيّ البلاد..

أحداثٌ مأساويّةٌ اختلفتِ التّقاريرُ والآراءُ حولها بين كونها إفرازات شبه طبيعيّة لخلافاتٍ وتناقضاتٍ وتداخلاتٍ تحدثُ في جميعِ الدّولِ المشابهةِ للحالةِ السّودانيّة، أو أنّها حربٌ منظّمةٌ تخوضُها الحكومةُ السّودانيّةُ ضدّ فئاتٍ معيّنةٍ في دارفور، والاحتمالُ الأخيرُ هو الذّي نادتْ به جهاتٌ سودانيّةٌ وأخرى دوليّةٌ وراحتْ تضغطُ به على حكومةِ الخرطوم بشتّى الطّرقِ والوسائل.

إنّ موقفَ الرّئيس عمر البشير وحكومته في الدّفاع عن سيادةِ ووحدةِ بلاده عادلٌ دون أدنى شكّ، ومحاولاتُ إبقاءِ السّودان في مربّعِ التّخلفِ والنّزاعاتِ لم تعد من قَبيلِ الرّجمِ بالغيبِ لأنّ مخطّطاتِ قوى دوليّة نافذة تدفعُ في هذا الاتّجاه..

لكنّ "فريق الدّفاع" السّودانيّ أمام "محاكم التّفتيش" العالميّة المعاصرة، وحتّى أمام محكمة التّاريخ، ليس مُؤهّلاً بما فيه الكفاية، ولا يمتلكُ تلك الشّرعية "المُرَكَّزَة" في ظلّ استمرارِ احتكارِ السّلطةِ والتّهرّبِ من أيّ تداولٍ حقيقيّ عليها.

لقد وصلّ الرئيسُ البشير إلى الحكم عبر انقلاب عسكريّ عام 1989.. ومهما قيل عن عدالةِ الانقلابِ وفسادِ الطّبقةِ السّياسيّةِ في السّودان أو تخبّطها وفشلها خاصّة في حلّ مشكلةِ الجنوبِ مع تنامي قدراتِ التّمرّد حينها؛ يظلُّ الانقلابُ انقلاباً خاصّة بعد أن أثبتَ الرّجلُ أنّه مثل أقرانه في أغلبِ البلدانِ العربيّة... فهاهو يدخلُ عامَه العشرين على كرسيّ الحكم، ولا مبرّر لذلك على الإطلاق، حتّى لو كان يطعمُ شعبَه السَّمْنَ والعسل...

قِيلَ للعلاّمة جمال الدّين الأفغانيّ إنّه لا يصلح للشّرق إلا مستبدّ عادل فقال: "لا يعدلُ مستبدٌّ ولا يستبدُّ عادل"...

إنّ ركيزةَ حلّ أزمةِ دارفور تبدأُ من نظامِ الحكمِ بعد أن يتّفقَ السّودانيّون على نظامٍ سياسيّ راشدٍ ودولةٍ مؤسّساتٍ قويّة، ولا غضاضةَ حينها إن كان رجالُ وقادةُ ثورةِ الإنقاذِ على رأسها أو خلافَ ذلك.. ولا شكّ أنّ السّودانيّين يملكون من الأريحيّةِ والقدرةِ على الحوارِ والوعي السّياسيّ ما يؤهّلهم لذلك.. **إِنَّ السُّودَانِيَّ يُنَادِي أَخَاهُ بِقَوْلِه: يَا زُولْ، وَيُقْصَدُ بِهَا الرَّجُل، وَمِنْ مَعَانِي الزُّولْ فِي مُعْجَمِ لِسَانِ الْعَرَب: الصَّقْر وَالْخَفِيف الظَّرِيف وَالشُّجَاع، وَالْجَمْعُ أَزْوَال..** فيا أهل السّودان كونوا عباد الله أَزْوَالاً، ولا تتركوا للمتمرّدين أمثال "عبد الواحد نور" مجالاً بعد أن اتّضحتْ نواياهم وانكشفتْ الجهاتُ التّي تقفُ وراءهم؛ فقد صرّحَ هذا الرّجلُ لقناة الجزيرة بعد اتّفاق الدّوحةِ الأخير بأنّه سيفتتحُ سفارةً لإسرائيل عندما يصلُ إلى الحكم في الخرطوم.

2009-02-26

قِمَّةُ الدَّوْحَة.. نَظْرَةٌ بِعَيْنِ الرِّضَا

عندما بدأَ الرّئيسُ السّوريُّ كلمتَه الافتتاحيّة في قمّة الدّوحة ظلّ المصوّرون يجولون ويصولون في القاعةِ حتّى أزعجوه بتحرّكاتهم وأضواء "فلاشاتهم".. وصمدَ الرّئيسُ قليلاً لكنّه رضخَ أخيرا لأمرِ السّلطةِ الرّابعةِ وتوقّفَ عن الكلام مؤقّتا حتّى يُشْبِع المصوّرون فضولَهم ويلتقطوا صورًا كافيّة للزّعماء والرّؤساء والملوك العرب.

الانقطاعُ استمرَّ بعد ذلك وطالَ بعض الشّيء، وبعد أن اجتهدَ المنظّمون القطريّون في إخلاءِ القاعة، عادوا وسمحوا من جديد لجمعٍ آخر كثيف من المصوّرين ليتخيّروا من صور الزّعماء ما طاب لهم..

قلتُ في نفسي: لنتفاءل خيرا فهذه بوادرُ قمّةٍ تاريخيّةٍ بأتمّ معنى الكلمة، والدّليلُ على ذلك تلك الحاسّة السّادسة التّي ألهمتِ المصوّرين هذا الإصرارَ الزّائد على التقاط الصّور والمشاهد...؟؟

ثمّ قفزتْ إلى ذهني فكرةٌ أخرى وقلتُ لعلّ هذا آخر اجتماع لهذا الجمع الطّيب من زعمائنا، ولعلّهم يعلنون استقالةً جماعيّةً بعد القمّة، ويسلّموا الرّايةَ للأجيالِ الجديدةِ وقياداتِ الصّفِ الثّاني التّي سَئِمَتِ الانتظارَ وربّما يَئِسَتْ، في بعض الدّول، من الوصولِ يوما ما إلى الصّف الأوّل..!!

دهاءُ السّاسةِ القطريّين في قمّةِ الدّوحة كان باديا للعيان، سواء في إدارةِ الجلساتِ أو التّقليلِ من حجمِ الحساسيّاتِ والتّهوين من شأن الغيابات، وفي الأخير كان ذلك الاستعجال، "الذّكيّ" المفاجئ، بإنهاءِ القمّةِ في أسرعِ وقتٍ ممكنٍ واختصارها إلى يومٍ واحد، رغبة على ما يبدو في الفرارِ بما تيسّرَ من الغنائم، ولو كانت عاديّة..

فَمَنْ يَأْمَنُ اللّيلَ وكواليسه..؟؟

وبعده صباحٌ قد يأتي بكلامٍ غير مباحٍ يرتفعُ حوله الصّياح..؟؟

التّفاؤلُ والنّظرُ بعين الرّضَا يدفعنا إلى الحديثِ عن قرارات ومواقف مقبولة صدرت عن قمّة الدّوحة، من النّاحيةِ النّظريّةِ الصّياغيّةِ على الأقلّ.. ومن تلك المواقف "الهَبّة" المقبولةُ مع السّودان الشّقيق، ورفضُ مذكّرةِ محكمةِ الجناياتِ الدّوليّةِ بحقّ الرّئيس عمر حسن البشير.

القمّةُ أيضا كانت موفّقةً في تعبيرها عن دعمِ جهودِ المصالحةِ والالتزامِ بالتّضامنِ والعملِ العربيّ المشترك، والأهمّ من ذلك التزامُ العربِ بدعمِ صمودِ الشّعبِ الفلسطينيّ، وإدانة العدوان الأخير على قطاع غزّة، وهو ما يعني دعمًا معنويًّا للمقاومةِ الفلسطينيّة.

وكانت قراراتُ القمّةِ رائعةً أيضا عندما تحدّثتْ عن الصّومال وقضايا عربيّة أخرى، وحين أسهبتْ في الحديثِ عن قضايا اقتصاديّة واجتماعيّة وعلميّة.. فهنيئًا لِلَجْنَةِ الصّياغةِ على تلك الجملِ الأنيقةِ والعباراتِ البليغةِ في بيانِ القمّةِ العربيّةِ الواحدةِ والعشرين..!!

نعم كانت قراراتُ ومواقفُ القمّةِ متميّزةً إلى حدٍّ كبير، وكثيرٌ من الحديثِ الذّي وَرَدَ على ألسنةِ الزّعماءِ العربِ كان قمّةً أيضًا في القوّةِ والحكمةِ والتّشخيصِ الصّحيحِ للدّاء والطّريق نحو الارتقاء، ومن ذلك ما جاء في كلمةِ الرّئيسِ السّوريّ بشّار الأسد رئيس الدّورة العشرين للقمّة العربيّة، وحديثُ أميرِ دولةِ قطر الشّيخ حمد بن خليفة آل ثاني، رئيس الدّورة الحاليّة، ورسالةُ الرّئيس الجزائريّ عبد العزيز بوتفليقة التّي تَلاَهَا نيابةً عنه وزير الخارجيّة مراد مدلسي.

يمكننا أن نفرحَ ونتفاءلَ بقراراتِ القمّةِ العربيّةِ وتصريحاتِ الزّعماء، لكنّ نداءَ العقلِ يدعونا إلى أن نضعها في سياقها الصّحيح، ولا بدّ أن نكون واقعيّين ونحن ننتظرُ النّتائجَ العمليّةَ بعد القمّة، لأنّ النّتائجَ تقوم أساسًا على المقدّمات، وما دمنا نعرفُ المقدّماتِ العربيّةَ بكلّ تفاصيلها ومآسيها وكوارثها ومهازلها؛ فلا ينبغي أن نصطدمَ بأيّ تقاعسٍ أو استمرارٍ للهوانِ العربيّ في هذه القضيةِ أو تلك، خاصّة أنّ القرارات، على قوّتها، كانت عامّةً في صياغاتها وفضفاضةً في عباراتها، لأنّها خاليةٌ من أيّ مضامين عمليّة أو تدابير إجرائيّة تنفيذيّة أو مُدَدٍ زمنيّة..؟؟

قبل يومٍ من القمّةِ استمعتُ إلى مسؤولٍ عربيٍّ عبر قناةٍ فضائية.. هو دكتورٌ ومتحدّثٌ لَبِقٌ إلى حدٍّ لا بأسَ به، ويمثّلُ بلادَه في جامعةِ الدّولِ العربيّة...

تَنَاوَلَ مسألةَ تحديثِ آليّاتِ العملِ العربيّ المشتركِ وقال كلامًا جميلا.. لكنّه عادَ وطَمَسَهُ بقوله: وقد بادرَ فخامةُ الرّئيس بهذه المقترحات..!!

رَئِيسُهُ على الرّأس والعين من النّاحية الإنسانيّة.. لكنّه يستعدُّ للاحتفال بعيده الثّلاثين على كرسيّ الحكم، وفي دولةٍ جمهوريّة وليست ملكيّة.. سنواتٌ طويلةٌ وما زالتْ بلادُه تُراوِحُ مكانَها في جميعِ المجالاتِ تقريبا.

والعجيبُ أنّ ذلك الرّئيس لم يحضر الجلسةَ الختاميّةَ للقمّةِ احتجاجا، كما جاء في وسائل الإعلام، على عدمِ إدراجِ مقترحاته وآرائه "التّجديديّة" في البيان الختاميّ..!!

زعيمٌ عربيٌّ آخر يدخلُ عقده الخامس في الحكم يقول: "إنّنا نعودُ من الدّوحة ونحن نحسّ بأنّنا أقرب من بعضنا أكثر مما كنّا عليه من قبل، وسنحاولُ أن نكون يدًا واحدةً وصفًّا واحدا حتّى نثبتَ جدارةَ هذه الأمّة واحترامها أمام العالَم"..

إنّ انتظارَ الجديدِ في قراراتِ القمّةِ العربيّةِ يأتي عبر التّجديدِ في الهياكلِ وتعاقب الأجيالِ في مواقعِ صنعِ القرارِ لتتجدّدَ الدّماءُ باستمرار، وفي الوقتِ المناسب، ومن ثمّ تواكبُ التّطوراتِ وتصنعُ الفرقَ المطلوبَ لِجَبْرِ المعادلاتِ الدّاخليّةِ والخارجيّة.

قد نلتمسُ بعضَ العذرِ للزّعماءِ العربِ وبالتّالي لا ننتظرُ من بعضهم الاستقالةَ بعد كلِّ فشلٍ عربيّ مشترك وذريع، لكنّ هياكلَ الجامعةِ العربيّةِ ومناصبَها القياديّةَ الأساسيّةَ لا ينبغي أن تظلَّ على هذه الصّورةِ من البرودِ والرّوتينِ القاتل.. **وَأَقَلُّ مَا يُرِيدُهُ الْمُوَاطِنُ الْعَرَبِيُّ مِنْ مُؤَسَّسَةِ الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ اسْتِقَالاَتٌ وَتَغْيِيرَاتٌ وَتَحْدِيثَاتٌ بَعْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ أَوْ فَشَلٍ، أَوْ خِلاَفٍ عَرَبِيٍّ تَقِفُ الْجَامِعَةُ أَمَامَهُ مَكْتُوفَةَ الْأَيْدِي** إلاّ من بهرجاتٍ إعلاميّةٍ بائسةٍ يلوكُ أصحابُها كلماتٍ أكَلَ عليها الدّهرُ وشرب، وعلاها الغبارُ والصّدأ.

2009-04-02

إِنَّهَا الْحَرْب..!!

السّياقُ العامُّ للمواقف، والقراراتُ وَتَتَابُعُ المراحل التّي يسيرُ عليها صنّاعُ القرارِ في مصر، يؤشّرُ إلى أنَّ "عِلْيَة القوم" هناك سيصلون إلى مرحلةٍ حاسمةٍ يضطرّون خلالها إلى توجيهِ السّلاحِ بشكلٍ مباشرٍ نحو قطاعِ غزّة ويدخلون في حربٍ تقليديّةٍ واضحة المعالم يتقاتلُ فيها الأشقّاءُ من المصريّين والفلسطينيّين.

هذا الكلامُ، أو معناه بالأحرى، هو بعضُ ما تحدَّثَ به خبيرٌ استراتيجيٌّ عربيّ، بعد عدّة أشهر من العدوان الصهيونيّ الهمجيّ على قطاع غزةّ الذّي انطلقتْ شرارتُه الأولى خلال الأيّام الأخيرة من العام الماضي.

ذلك العدوانُ الذّي أسالَ أنهارًا غزيرةً من الدّماء في القطاع المُحاصَر، وأسالَ بعد ذلك كميّاتٍ كبيرةً من الحبر، وأثارَ جدلاً لم ينته بعد عن الدّور المصريّ في ما جرى للفلسطينيّين وحدودِ مسؤولية "الشّقيقة العربيّة الكبرى" عن قطاعِ غزّة وكاملِ أرضِ فلسطين بجميع أحزابها وفصائلها وتعقيداتها ومرجعيّاتها قبل قيام سلطة "أوسلو" وبعدها..؟؟

المنحنى البيانيُّ للمواقفِ والقراراتِ المصريّةِ ظلّ في تصاعدٍ سلبيّ منذ فوزِ حركةِ المقاومةِ الإسلاميّة حماس في انتخاباتِ المجلسِ التّشريعيّ الفلسطينيّ بأغلبيّةٍ مريحةٍ عام 2006.. ويبدو أنّ إعلانَ ذلك الفوز المفاجئ أطلقَ صفّاراتِ الإنذارِ في أروقةِ صناعةِ القرارِ المصريّ، وشَكَّلَ بدايةَ مرحلةٍ جديدةٍ يتلخّصُ شعارُها الخفيُّ في وضع جميع أنواع وألوان العصيّ في دواليبِ الحَراكِ الذّي تقومُ به حركةُ حماس، وبقيةُ فصائلِ المقاومةِ الفلسطينيّةِ الرّافضة لنتائجِ جميع التّفاهماتِ والمعاهداتِ المُبْرَمَةِ مع دولةِ الكيانِ الصّهيونيّ..!!

منذ ذلك الحين جرّبتْ مصرُ الرّسميّةُ كلَّ الوسائلِ لِحَشْرِ حركةِ حماس في زاويةٍ محدّدةٍ وإيقافِ تمدّدها في جميع الاتّجاهات، بل وإعادتها إلى مواقعَ سابقةٍ سواء ما تعلّقَ بشعبيّتها أو قدراتها الماليّةِ والإداريّةِ والسّياسيّةِ والعسكريّة.

ومنذ ذلك الحين أيضا ظلّتْ مصرُ الرّسميّةُ تتجرّعُ كؤوسَ الفشلِ وهي تشاهدُ بأمّ عينيها الصّمودَ الذّي أبدته حماس، وبقيّةُ فصائلِ المقاومة، وهو يتحوّلُ إلى منعطفٍ حقيقيّ في تاريخ فلسطين، ومرحلةٍ جديدةٍ عنوانُها الصّعودُ من جديدٍ أو الثّباتُ في المواقعِ على الأقلّ، إلى أن تتغيّرَ موازينُ القوى في المنطقةِ والعالَم.

دَعَمَتْ مصرُ الرّسميّةُ تيّارَ السّلطةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ على حسابِ حركةِ حماس، وساهمتْ، أو تغاضتْ على الأقلّ، في مخطّطاتِ السّيطرةِ على القطاعِ والقضاءِ على أيِّ قوّةٍ غير قوّةِ السّلطة، وحاصرتْ قطاعَ غزّة عبر معبر رَفَحْ ودافعتْ عن خطيئتها بحججٍ ودعاوى واهيّة، ونزلتْ "كبيرةُ الكبائر" على الرّؤوس عندما ظهرتْ مصرُ الرّسميَّةُ في موقفِ المتستّرِ على العدوانِ الصّهيونيّ على غزّة، وذلك حين كانتْ تستقبلُ قادةَ العدوِّ قبل يومين فقط من بدءِ الجريمة، بل وتُطَمْئِنُ الجانبَ الفلسطينيَّ في غزّة أَنْ لاَ شيءَ في الأُفق..!!!

وبعد أن توقّفَ العدوانُ وتركَ ذلك الكَمَّ الهائلَ من المآسي، توقّعَ الجميعُ، وحتّى أشّدُّ النّاسِ تشاؤمًا، أن تتحلّى مصرُ الرّسميّةُ بالشّجاعةِ ولو لبعضِ الوقت، وتفسحَ المجالَ لأهلِ القطاعِ ليتنفّسوا الصّعداءَ في أرض الله الواسعة: يخرجوا ويدخلوا ويعالجوا جرحاهم ويستقبلوا وفودَ العزاءَ والتّأييدَ من شتَّى أنحاءِ العالَم...

لكنّ ما حدثَ كان العكسُ تمامًا حين أعلنتْ مصرُ الرّسميّةُ أنّها تلتزمُ بقراراتِ ما يُسمّى الشّرعيّة الدّوليّة وأنّها في انتظارِ حلولٍ كاملةٍ لمسألةِ المعابر، وأنّ معبرَ رَفَحْ كبقيّة معابرِ القطاعِ الأخرى التّي يتحكّمُ فيها الجانبُ الإسرائيليّ..!!

شدّدتْ مصرُ إغلاقَ معبرِ رَفَحْ وحاربتْ حركةَ التّهريبِ عبر الأنفاقِ بين القطاعِ وسيناء، وماطلتْ كثيرًا في السّماحِ بمرورِ الوفودِ والمساعداتِ الدّوليّة، ومع ذلك صمدتْ إرادةُ الفلسطينيّين في قطاعِ غزّة، ولم ينتفضوا ضدّ حماس ويرموا بها في البحر ويستقبلوا مجموعاتِ محمود عبّاس بالوروِدِ والزّغاريد.. شدُّوا على أيدي بعضهم وتعاهدوا على الصّبر وهم ينتظرون ما يخرجُ من تلك الأنفاقِ التّي تحولتْ إلى شريانٍ وحيدٍ يمدّ الفلسطينيّين ببعضِ المقوّماتِ الأساسيّةِ للحياة...

أنفاقٌ عجزتْ طائراتُ العدوّ الصّهيونيّ عن هدمها بقنابلها المجنونة.

ورغم كلّ شيءٍ ظلّ العالَمُ يراقبُ الحكومةَ الفلسطينيّةَ في غزّة وهي تديرُ دفّةَ الأمورِ بسلاسةٍ وتواجهُ متطلّباتِ الحياةِ اليوميّةِ بما تيسّرَ لها من وسائل محدودة.. وهنا نَفَدَ صبرُ

مصر الرّسميّة ووجدتْ نفسَها، على حدّ كلامِ الخبيرِ الاستراتيجيّ العربيّ سابقِ الذّكر، في مرحلةِ المواجهةِ المباشرةِ مع فصائل الرّفض الفلسطينيّة، وقالتْ لنفسها إنّها الحرب إذن...!!!

نعم وصلتْ إلى تلك المرحلةِ على ما يبدو، لكنّها عَدَلَتْ عن الحربِ المباشرةِ إلى ما يماثلُها في المضمونِ ويخالفُها في الشّكل..؟؟

لجأتْ إلى فكرةِ بناءِ جدارٍ فولاذيٍّ على طولِ الحدودِ مع قطاعِ غزّة المحاصَر.. جدارٌ سميكٌ يصلُ إلى عمقِ ثلاثين مترًا في باطنِ الأرضِ ليقفَ سدًّا منيعًا أمام تجارةِ الأنفاقِ بين الأشقّاء المصريّين والفلسطينيّين، ويصنعَ أكبرَ سجنٍ في تاريخ البشريّة..!!!

يمكنُ أن نتفهَّمَ الخلافاتِ الفكريّةَ والمرجعيّةَ بين حركةِ المقاومةِ الإسلاميّةِ حماس ومصر الرّسميّة، ويمكنُ أن تؤدّي تلك الخلافاتُ إلى بعضِ التّوتّرِ بين الطّرفين، لكنَّ التّفكيرَ الاستراتيجيَّ يلجمُ أصحابَ العقولِ المستنيرةِ عن تلك النّزواتِ السّياسيّةِ التّي تتحرّكُ خارجَ سياقِ المصلحةِ العامّةِ للأمّة.

لقد أدركَ الكثيرون حقيقةَ الظّروفِ التّي يمرُّ بها العالَمُ، وطبيعةَ التّوازناتِ السّياسيّةِ الدّوليّة، واستحالةَ عودةِ سنواتِ الشّعاراتِ الكبيرةِ والحربِ المباشرةِ مع العدو الصهيوني؛ لكنّهم أدركوا أيضا أنّ السّياسةَ هي فنّ الممكن، فَدَعَمُوا تلك الطّليعةَ التّي ظَلّت صامدةً على الأرض، **أَمَّا "أُمُّ الدُّنْيَا" الرّسْمِيَّة فَظَلَّتْ تَلْعَقُ الْخلاَفَاتِ الْفِكْرِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ القديمة، وَلِسَانُ حَالِهَا يَقُول: نَحْنُ ضِدَّ حَمَاس ظَالِمَةً أَوْ مَظْلُومَة،** فقط لأنّها خرجتْ يومًا ما من رَحِمِ جماعة الإخوان المسلمين.. حتّى لو تغيرتْ، وحتّى لو صارتِ الخطَّ الأوّلَ لِقِوَى الممانعةِ والرّفضِ العربيّة، وحتّى بعد أن اصطبغتْ ببراغماتيّة سياسيّة عاليّة المستوى.

2009-12-26

حَتَّى لاَ يَذْهَبَ الْجَمَلُ بِكُلِّ الْحِمْل

القمّةُ العربيّةُ التّي شهدتها الجزائرُ ربيع عام ألفين وخمسة كانت على موعدٍ مع ملفٍّ حسّاسٍ وحاسمٍ لكنّه سُحبَ من جدولِ أعمالِ القمّةِ بعد ضغطٍ ومساعٍ حثيثةٍ قامت بها القاهرةُ وتجاوبتْ معها الجزائرُ على ما يبدو، لأنّ العلاقاتِ بين البلدين في ذلك الوقت كانت مثل السّمن على العسل، كما يقول إخواننا المصريّون.

ذلك الملفُّ كان حسّاسًا بالنّسبةِ للجانبِ المصريّ، وكان حاسمًا بالنّسبةِ لأطرافٍ عربيّةٍ، بينها الجزائر، تراهنُ على قضيّةِ إصلاحِ الجامعةِ العربيّةِ وعلى رأسها منصب الأمين العام الذّي ظلَّ حكرًا على الدّولةِ المُضيفَةِ لمقرِّ الجامعةِ وهي مصر.

نعم.. ظلّ حكرًا عليها ولم يحدث العكسُ إلا مرةً واحدةً عندما علّقتِ الدّولُ العربيّةُ عضويةَ مصر في الجامعةِ بعد توقيعها لمعاهدةِ سلامٍ مع دول الكيان الصّهيونيّ عام 1978، ليتحوّلَ مقرُّ الجامعةِ إلى تونس حتّى عام 1990، ويتقلّدَ التّونسيُّ الشّاذلي القليبي منصبَ الأمين العام لتلك الفترة.

وتمثّلُ فترةُ القليبي الاستثناءَ الوحيدَ في تاريخ الجامعة حيث كان المصريّ عبد الرّحمن عزّام أوّلَ أمين للجامعةِ العربيّةِ عند إنشائها في مارس عام 1945، ثمّ خَلَفَهُ في المنصبِ عبد الخالق حسّونة ثمّ محمود رياض وهما مصريّان أيضا، وبعد فترةِ الشّاذلي القليبي عادّ المنصبُ إلى المصريّين حين تولاّه عصمت عبد المجيد وسلّمه في ماي 2001 إلى عمرو موسى الأمين العام الحاليّ.

ومع مطلعِ العامِ الجديدِ وبدايةِ العدِّ التّنازليّ للقمّةِ العربيّةِ التّي ستشهدها طرابلس الغرب في السّابع والعشرين من مارس القادم؛ بَدَأَ الحديثُ عن مشروعِ تدويرِ الأمانةِ العامّةِ للجامعةِ العربيّة، وطَرْحِه من جديد ضمن جدول أعمالِ هذه القمّةِ التّي يُنْتَظَرُ أن تكون متميّزةً ومثيرةً للجدلِ بمقدارِ ما يثيرُه الزّعيمُ اللّيبيُّ معمّر القذّافيّ من جدلٍ حول دورِ الجامعةِ العربيّةِ وفُرَصِ ومبرّراتِ بقائها على قيدِ الحياة..؟؟

وتضمينُ جدولِ الأعمالِ قضيّةَ التّدوير قد يبدو سهلاً للغاية، لأنّ الطّرفَ المستضيفَ للقمّةِ لن يخشى الملاسنات والحملات الإعلاميّة، فقد تبادَلَهَا خلال العقودِ الماضيّةِ مع عددٍ من الأطرافِ العربيّة، ومنها مصر المتضرّرة الوحيدة في حالِ خرجتِ القمّةُ بقرارٍ يقضي بتدويرِ منصبِ الأمينِ العامّ للجامعة.

لكنّ العاملَ المؤثّرَ في الأمرِ هو ذلك التّركيزُ الذّي صارَ منصبًّا خلال السّنواتِ الأخيرةِ على تجنّبِ أيّ موضوعاتٍ أو قضايا تؤدّي إلى إفشالِ القمّة، لأنّ النّجاحَ بالنّسبةِ لكثيرٍ من العربِ الرّسميّين صارَ مرادفًا تمامًا لمستوى التّمثيل، وعدد الزّعماءِ الحاضرين، وشكليّاتِ الافتتاحِ والاختتام، وقراءة البيان الرّوتينيّ، ومن ثمّ مراسم الوداع ومغادرة الرّؤساء والملوك إلى بلدانهم سالمين غانمين..!!!

يتحدّثُ البعضُ عن دورٍ جزائريٍّ في الحَراك الذّي قد يطفو على السّطح، ويطالبُ بطرح فكرةِ التّناوبِ والتّدويرِ على جدولِ أعمالِ قمّةِ طرابلس، ويستندون في ذلك إلى كونِ علاقاتِ الجزائر ومصر ليستْ على ما يرام بعد مخلّفاتِ مباراةِ كرةِ القدمِ التّي شهدتْها الخرطوم وجمعتْ بين الفريقين المصريّ والجزائريّ..؟؟

والحقيقة أنّ الجزائر قد طالبتْ من قبل بتدويرِ منصبِ الأمين العام، وهي مدعوّةٌ الآن أكثر من أيّ وقتٍ مضى لإعادةِ إحياءِ الأمرِ والمطالبةِ من جديد.. ليس على خلفيّةِ مشاكساتِ وأحداثِ كرةِ القدم، بل بِدَافِعِ الحِرْصِ على المصلحةِ العربيّةِ ومحاولةِ إنقاذِ ما يمكنُ إنقاذُه، والاحتفاظ بالحدّ الأدنى من ماءِ الوجهِ أمام أمم العالَم.

لقد ظلّتْ أمانةُ الجامعةِ العربيةِ بِيَدِ المصريّين منذ استَلَمُوهَا من الشّاذلي القليبي عام 1991، فلم يزيدوا على أن حوّلوها إلى مكتبٍ تابعٍ لوزارةِ الخارجيّةِ المصريّة على حدّ تعبير البعض، وهاهو العالَمُ أجمعُ يتابعُ ما تمرُّ به القضيّةُ الفلسطينيّة هذه الأيّام من مآسٍ وآلامٍ وتحدّياتٍ داخليّةٍ وخارجيّة، لكنّ أمانةَ الجامعةِ ظلّتْ غارقةً في سباتها العميق، وكأنّ لسانَ حالها يقول إنّ الأمرَ كلّه بيد "الشّقيقة الكبرى" وما على الجميع إلا الانتظار والتّرقّب..!!

لقد أسقطَ جدارُ العارِ الفولاذيّ، الذّي تبنيه مصرُ على حدودها مع قطاع غزّة، آخرَ ورقةِ توتٍ عن أمانةِ جامعةِ الدّولِ العربيّة، وفضحَ عجزَها الكامل، وربّما أحالَها على تقاعدٍ مبكّرٍ وإن كانت تستحقّه بكلّ المعايير قياسًا إلى حجم التّحدّياتِ وضحالةِ الإنجازاتِ

وسطحيّةِ التّصريحاتِ والبياناتِ في كثيرٍ من المحطّاتِ التّي تتطلّبُ الحزمَ والجدَّ ووضوحَ الرّؤية.

إنّ مصرَ التّاريخيّةَ على الرّأسِ والعين، ولو شابَ بعضَ أدوارِها شيءٌ من الكدر، ومصرُ الثّقافيّةُ وعاصمتُها هي أيضا على الرّأسِ والعين، لكنَّ الأيّامَ دولٌ وهذا ما ينبغي أن يعيه إخوانُنا المصريّون حتّى وهم يتحدّثون عن قضايا وأحداث شهدتها العقود الأخيرة، لأنّنا في عصرِ الإعلامِ ووسائلِ النّقلِ والنّشرِ والاتّصالِ السّريعة، ولم يَعُد التّغيّرُ وتحوّلُ الأدوارِ والمواقعِ في حاجةٍ إلى قرنٍ أو قرونٍ كما كان في الماضي.

إنّ مصرَ الرّسميّةَ قد أعلنتْ جهارًا نهارًا، من خلال مواقفها المتطابقة تمامًا مع الأهواء الأمريكيّة، أنّها في وادٍ وأكثرُ العربِ في وادٍ آخر، ويحقُّ لها أن تبرّرَ ذلك بما شاءت، وأن تتغنّى بمعلّقاتِ أمجادِ الماضي كما تريد، لكنّ ذلك لا يُلْزِمُ بقيةَ العربِ بأيّ حالٍ من الأحوال، بل إنّ عليهم جميعا، وعلى رأسهم الجزائر، أن يتوبوا من خطيئةِ وضعِ كلّ شيء في يدِ "الشّقيقة الكبرى" سواء كانت مصر أو أيّ شقيقة أخرى قد تظهرُ مستقبلا.. **إِنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي أَنْ يَتَقَاسَمَ الْجَمِيعُ الاعْبَاءَ والاحْمَالَ، حتَّى إِذَا شَذَّ عَنِ الْقَافِلَةِ جَمَلٌ، لاَ يَذْهَبْ إِلاَّ بِمَا حَمَل.**

2010-01-09

لاَ نُرِيدُ لاَءَاتِ الْخُرْطُومِ فِي سِرْتْ..!!

عندما تكونُ القمّةُ العربيّة الثّانية والعشرون في مدينة (سِرْتْ) رمز التّحدّي اللّيبيّ للسّياسةِ الأمريكيّةِ في سنواتٍ ماضيّة، وعندما يكونُ رئيسُ القمّةِ هو الزّعيمُ معمّر القذّافيّ الذّي كان يومًا ما وريثًا للقوميّةِ العربيّة في نسختها النّاصريّة، وعندما يكونُ الاستفزازُ الإسرائيليُّ للزّعماءِ العربِ قد بلغَ حدّه هذه الأيّام؛ يصبحُ التّشاؤمُ من نتائجِ القمّةِ شكلاً من أشكالِ القسوةِ وجلدِ الذّات.

نعم.. إنّ تشاؤمَ المواطنِ العربيّ كان ولا زال مُبَرَّرًا خاصّة وهو يلاحظُ الحقائقَ والمعطياتِ الرّسميّةِ العربيّةِ وهي على حالها، لا تكادُ تَسُرُّ صديقًا أو تغيظُ عدوًّا، حتّى إنّ مرحلةَ التّململِ والإحساسِ بالمشكلةِ لم تبدأ بعد عند بعضِ الأنظمةِ العربيّة..!!

وهكذا تواصِلُ مسيرتَها عاديّةً في متاهاتِ أوهامِ السّلامِ والضّغوطِ الأمريكيّةِ المُنْتَظَرَةِ على الجانبِ الإسرائيليّ، حتّى يتنازلَ ويقدّمَ للفلسطينيّين حقوقَهم على طبقٍ من ذهب، ويحفظَ بالتّالي ماءَ وجوهِ بعضِ الزّعاماتِ العربيّة التّي لم تعد تملكُ شيئًا تقابلُ به شعوبَها في الملفّ الفلسطينيّ، خاصّةً أنَّ اللّعبَ على المكشوفِ ولا مجال لتغطيةِ الوقائعِ والأحداثِ في زمنِ الفضائيّاتِ وثورةِ الانترنت..!!

ومع ذلك فإنّ التّفاؤلَ مبرّرٌ بعض الشّيء خلال هذه القمّة العربيّة التّي تحتضنها (الجماهيريّة العربيّة الليبيّة الشّعبيّة الاشتراكيّة العظمى) لأنّ الزعماءَ العرب، أو أكثرهم على الأقلّ، تضرّروا بشكلٍ أو بآخر جرّاء تدهورِ الأوضاعِ على السّاحة الفلسطينيّة إثر الحركاتِ البهلوانيّةِ الأخيرةِ لرئيسِ الوزراءِ الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو، والتّي برهنَ من خلالها أنّه لا يعترفُ بأيّ سقفٍ ولو كان أمريكيًّا، وهكذا راحَ يُرَسِّخُ عند الحلفاءِ والخصومِ فكرةَ التّماثلِ التّامّ بين البناءِ في تل أبيب والقدس، واعتبار الأخيرة عاصمة أبديّة لدولةِ الكيان الصّهيونيّ، وليست منطقةً متنازع عليها كما يعتقدُ العربُ والفلسطينيّون.

إنّ التّفاؤلَ مبرّرٌ لأنّ القاعدةَ الفيزيائيّةَ تقرّرُ أنّ (لكلّ فعلٍ ردُّ فعلٍ يساويه في القوّةِ ويعاكسُه في الاتّجاه)...

وبالتّالي نتوقّعُ أن لا تمرّ أفعالُ الحكومةِ الإسرائيليّةِ بين أعينِ الزّعماءِ العربِ دون أقوالٍ وأفعالٍ مناسبة خاصّة أن قمّتهم متميّزة، أو هكذا يتوقّعُ الكثيرون، لأنّها في بلدٍ يتزعّمُه رجلٌ ظلَّ يؤكّدُ على مدى أربعين سنة من الحكمِ أنّه فريدُ عَصْرِهِ فكرًا وعملاً، وقلّ أن يكون له نظيرٌ في مفاجآته ومواقفه العربيّة والدّوليّة..!!!

ومع التّفاؤلِ لا بّد من استحضارِ قدرٍ كبيرٍ من الحكمةِ والواقعيّة، على أن لا تكون من قبيل تلك التّي أدمنَها بعضُ الزّعماءِ العربِ في العقدين الأخيرين، وكانت مساويةً تمامًا للخنوعِ والخضوعِ والبرودِ في المواجهة، والتّردّدِ في المطالبةِ والاستعدادِ للتّخلّي عن كلِّ شيءٍ في فلسطين من أجل لا شيء على الإطلاق، عدا ذلك الشّيء الذّي يُطلقُ عليه تسميّة المفاوضاتِ والمحادثاتِ والجلساتِ مع كلَّ من هبّ ودبّ من زوّار المنطقةِ العربيّةِ وحَمَلةِ الاقتراحاتِ والحلولِ، وسماسرةِ الوساطاتِ وما أكثرهم في الشّرق والغرب..!!

إنّنا فعلا في حاجةٍ إلى الحكمةِ والواقعيّةِ المسؤولة، لأنّ أمّتَنَا في غنًى عن العنتريّات الفارغة، وعودةِ شعاراتِ رَمْيِ إسرائيل في البحر، وتسميّةِ (الكيان المزعوم) الذّي أثبتَ مع الأيّام أنّ بعضَ كياناتِنا السّياسيّة العربيّة هي المزعومة، أو أنّ مبرّرَ وجودِها الوحيد هو حمايةُ الدّولةِ العبريّةِ لا أكثر ولا أقل..؟؟

لا حاجةَ لكلّ ذلك... لأنّ زمنَ تلك العنتريّات قد ولّى بعد أن صارتِ الحربُ أشكالاً وألوانًا، وربّما صارَ الطّعانُ واستعمالُ السّنانِ هو آخر ما يَرِدُ في الذّهن عند البعض...

وهكذا فإنّ الشّعوبَ العربيّةَ في غنًى عن قراراتٍ كتابيّةٍ عاليّة الجودة من النّاحيةِ اللّغوية، وحتّى الدّخول في مغامراتٍ غير محسوبةِ العواقب، لكنّها أحوجُ ما تكون إلى جهودٍ صادقةٍ تدفعُ بها إلى الأمام حضاريًّا وعلميًّا وثقافيًّا لتكون في مستوى التّحدي، ومن هناك... الزّحف نحو استردادِ الحقوقِ بعد أن يتحقّقَ التّوازنُ مع الخصومِ القريبين والبعيدين.

لا نريد أن تتكرّرَ قمّةُ الخرطوم عام 1967 حين أعلنَ القادةُ العرب لاَءَاتِهِمْ الثّلاث: (لا صلحَ ولا تفاوضَ ولا اعترافَ بدولة الكيان الصّهيونيّ)..

لا نريدُ أن تتكرّرَ تلك اللاّءَات أو ما يشبهها في قمّة (سِرْتْ) دون أن يكون وراءَها رصيدٌ حقيقيٌّ من القوّة، وقدرٌ كبيرٌ من التّفاهمِ والتّنسيقِ والانسجامِ بين المواقفِ العربيّةِ من الخليجِ إلى المحيط.

إنّ ما نريدُه من قمّة (سِرْتْ) هو ذلك التّحرّكُ الهادئُ البعيدُ عن الصّخبِ والضّجيجِ والجَعْجَعَاتِ الإعلاميّةِ المستهلَكة...

نريد بعضَ الزّعاماتِ التّي تتحرّكُ في الظلّ، وتدعمُ قضيةَ القدسِ وفلسطين في صمت، وتؤسّسُ بجهودٍ ذكيّةٍ للمرحلةِ القادمة.. أمّا أصحابُ الأصواتِ العاليّة، وهواةُ الظّهورِ أمام الكاميرات فما أكثرهم في الماضي والحاضر وربّما المستقبل أيضا.

إنّ المعطياتِ الدّوليّةَ الرّاهنةَ والمعادلةَ الإقليميّةَ الحاليّةَ قد تفرضُ على العربِ الرّسميين بعضَ المواقفِ والتّحالفاتِ التّي لا تتناسبُ مع حقوقهم المشروعة، وقوّتهم وثرواتهم وتاريخهم وتطلّعات شعوبهم، لكنّ في أيدي الزّعماءِ العربِ زحزحةَ الأمورِ بعضَ الشّيء، والعودةَ من منتصفِ الطّريقِ والبدءِ من جديد، والحكمةُ تقول: **لَيْسَ خَطَأً أَنْ تَعُودَ أَدْرَاجَكَ مَا دُمْتَ قَد مَشَيْتَ فِي الطّرِيقِ انْخَطَأ..**

ومن هناك تكونُ البدايةُ في إفساحِ المجالِ لِقوَى الممانعةِ العربيّةِ كي تتحرّكَ بين الشّعوبِ بحريّةٍ تامّة، وتعملَ للمستقبل، وتُوَرَّثَ القضيّةَ للجيل الجديد الذّي تَقَاذَفَتْهُ ثقافةُ العولمةِ حتّى صارتْ مباراةُ كرةِ قدمٍ بالنسبةِ له تعادلُ أولويّة الأولويّات.

2010-03 -27

الْعَرَب.. الْجَزَائِر.. وَوَحْدَةْ السُّودَان

ربّما حملتِ الانتخاباتُ السّودانيّةُ الأخيرةُ الكثيرَ من المفاجآتِ والمفارقات، وربّما أظهرتِ الحجمَ الحقيقيَّ للزّخمِ السّياسيّ الذّي يزخرُ به الشّارعُ السّودانيُّ بجنوبه قبل شماله، لكنّ أمّ المفاجآتِ والمفارقاتِ وأكثرها إثارةً للجدلِ هي ذلك النّشاطُ الأمريكيُّ (الإيجابيّ) الملحوظُ قبل وأثناء وبعد الانتخابات.

قُبَيْلَ الانتخاباتِ كان الإصرارُ الأمريكيُّ جليًّا وقويًّا على إجرائها في موعدِها، ومشاركةِ أكبر عددٍ ممكنٍ من الأحزابِ حتّى يكتملَ المشهدُ والدّيكور المطلوب..

وخلال أيّامِ التّصويتِ كانتْ ردودُ الفعلِ الأمريكيّةِ هيّنةً ليّنةً تجاه التّجاوزاتِ التّي تتحدّثُ عنها المعارضة... وهكذا لم تتغزّلْ واشنطن بالعمليّةِ الانتخابيّةِ دون قيدٍ أو شرط، ولم تَهْجُهَا بما يؤثّرُ على المظهرِ المقبولِ الذّي يُرادُ للنّتائجِ وما يترتّبُ عليها..؟؟

وبعد اكتمال أيّامِ الاقتراعِ الخمسةِ كانت التّزكيّةُ الأمريكيّةُ لنتائجِ الانتخابات واضحةً، وإن ظلَّ التّحفّظُ الشّكليُّ حاضرًا، وهو أمرٌ يقتضيه نصُّ السّيناريو الذّي يُدِيرُ تحرّكاتِ العمّ سام وحلفائه في المنطقة..!!

لقد نزلتِ المفاجأةُ الأمريكيّةُ هذه بعد سنواتٍ طويلةٍ من الكرِّ والفرِّ مع النّظامِ الحاكمِ في الخرطوم..

سنواتٌ كان تبادلُ التّهمِ هو طابعها المميّز، وظلّتِ الإدارةُ الأمريكيّةُ خلالها حريصةً على الاحتفاظِ بمسافةٍ محدّدةٍ من السّودان وساسةِ الحكمِ فيه، وحريصةً في الوقت ذاته على احتضانِ قوى المعارضةِ الشّماليّةِ بشكلٍ أو بآخر.. أما الجنوبيّون وقادةُ الحركةِ الشّعبيّةِ لتحريرِ السّودان فقد كانوا أشبهَ بالحلفاءِ المقرّبين أو الأولادِ المدلَّلين.

مربطُ الفرس في الانتخاباتِ السّودانيّةِ الأخيرةِ أنّها أحدُ استحقاقاتِ اتفاقيّةِ (نِيفَاشَا)، الموقّعة عام ألفين وخمسة في كِينْيَا بين المؤتمرِ الوطنيِّ الحاكمِ في السودان والحركةِ الشّعبيّةِ الجنوبيّةِ المعارِضة... تلك الاتّفاقيّة التّي أوقفتِ الصّراعَ المسلّحَ بين الشّمالِ والجنوبِ وأدخلتِ البلادَ في مرحلةٍ انتقاليّةٍ مدّتها خمس سنوات يتقاسمُ الطّرفان خلالها الحكمَ، وتكونُ الخاتمةُ انتخابات عامّة ثمّ استفتاء شعبيّ، وهذا هو رأسُ الأمرِ بالنّسبة للأمريكيّين، يقولُ فيه أهلُ الجنوبِ كلمتهم وإن كانوا يفضّلون البقاءَ ضمن سودانٍ موحّدٍ أو الانفصالَ وتأسيسَ دولةٍ مستقلّة..؟؟

لقد اختلفَ شَرِيكَا الحكمِ في السّودان خلال السّنواتِ الخمسِ المنصرمة حول كثيرٍ من القضايا، لكنّ الجنوبيّين أداروا الصّراعَ بقدرٍ معتبرٍ من المراوغةِ والدّهاء، وحرصوا

دائما على الظّهورِ بمظهرِ المحافظِ على الوَحدة الوطنيّة، والمنتظرِ بصبرٍ وحكمةٍ لتنفيذِ اتفاقيّة نِيفَاشَا حتّى نهاية الطّريق.

دَحْرَجُوا الخلافاتِ وتجاوزوا الحساسيّاتِ عامًا بعد آخر، وأعينُهم على المحطّةِ قبل النّهائيّة وهي هذه الانتخابات الأخيرة، ومنها إلى نهايةِ المطافِ حيث الاستفتاء العامّ في جنوبيّ السّودان مطلع العام القادم.

لا نريدُ أن نتشاءمَ أو أن نغلّبَ نظريّةَ المؤامرة، لكنّ السّياسةَ الخارجيّةَ الأمريكيّةَ لم تعد لغزًا يحتاجُ إلى عبقريّةٍ فائقةٍ لحلّ طلاسمه، بل صارتْ واضحةً للجميعِ بعد أن عبّرتْ عمليًّا، وفي أكثر من منطقةٍ ومرحلة، أنّها تقومُ على وسائل وأساليب منها (تقسيم المقسّم) عبر تشجيعِ إنشاءِ دويلاتٍ جديدة، وتحريضِ الأقلّيّاتِ على الانفصال، وتغذيةِ الصّراعاتِ لإيجادِ مبرّراتٍ للتّدخّلِ السّياسيّ، وحتّى العسكريّ وما شابه ذلك.

قد يتعذّرُ توجيهُ اللّومِ لأيّ طرفٍ حول حقّه، وفق الأعراف السّياسيّة السّائدة حاليًّا، في أن يلعبَ كما شاء، خاصّةً أنّ قاعدة (الغاية تبرّر الوسيلة) هي الطّاغيّةُ على تفكيرِ صانعي السّياساتِ الدّوليّةِ والإقليميّة، لكنّ الطرفَ المتضرّرَ ممّا يحدثُ هو الذّي يقعُ عليه واجبُ الحركةِ عاجلاً وعتابُ التّاريخ آجلا، وهو العالَم العربيّ في هذه الحالة.

إنّ الحركةَ الشّعبيّةَ لتحريرِ السّودان كانت يساريةَ التّوجّهِ عندما انطلقت عام 1983، وبعد سقوطِ الاتّحادِ السّوفيتيّ عدّلتْ خطابَها لتنسجَ به علاقاتٍ وثيقةً مع الولايات المتّحدة والدّول الأوروبيّة، وهي بالتّالي ليستْ عصيّةً على العربِ لو أرادوا، لأنّها تتصرّفُ وفق حساباتِ المصالحِ والمنافع.

فهل تتحرّكُ المساعداتُ والأموالُ والاستثماراتُ العربيّةُ إلى السّودان وجنوبه خلال الأشهرِ القادمةِ لتغييرِ أطرافِ المعادلة، وسكبِ الأملِ في قلوبِ الجنوبيّين وإقناعِهم بأنّ البقاءَ مع السّودان الموحّد هو القرارُ الأكثرُ مصلحةً وحكمة..؟؟

هناك دولٌ عربيّةٌ تتعاملُ مع السّودان بشكلٍ تفضيليّ في بعض الجوانبِ الاقتصاديّة، لكنّ الأمرَ ما زال دون مستوى التّحدّياتِ التّي يُنتظرُ أن يواجهها السّودان، وبالتّالي حاجته إلى دعمٍ عربيّ حقيقيّ ليتجاوزَ محنَته ويثبّتَ وحدَته...

وربّما تكونُ الجزائرُ من بينِ الدّولِ التّي ستلعبُ دورًا حيويًّا في هذا المضمارِ حيث فعّلتْ، قبل أشهرٍ من الانتخاباتِ السّودانيّةِ، علاقاتِها مع السّودان... تفعيلٌ وتفاعلٌ انطلقَ بعد مباراةِ كرةِ القدمِ التّي شهدتْها (أمّ درمان) العام الماضي بين الفريقين المصريّ والجزائريّ في إطارِ تصفيّاتِ كَأْسَيْ العالَم وأفريقيا، وفازَ فيها الفريقُ الجزائريّ، فاعتبر الجزائريّون أرضَ السّودان فَأْلَ خيرٍ انطلقوا منها إلى مونديال جنوبِ أفريقيا بعد غيابِ أربعة وعشرين عامًا.

أحاديثُ كثيرةٌ عن تعاونٍ اقتصاديّ فاعلٍ ربّما أُعطيَتْ إشارةُ انطلاقه من خلال اللّجنةِ البرلمانيّةِ الجزائريّةِ السّودانيّة، أو لجنة الصّداقة أو الأخوّة كما فضّل البعضُ تسميّتها، وهي لجنةٌ يُنتظرُ أن تلعبَ دورًا مهمًّا في مدِّ جسورٍ جديدةٍ وقويّةٍ بين الشّعبين والحكومتين والاقتصادين والثّقافتين وغيرهما... وكلام عن تزويدِ الجزائر باللّحومِ السّودانيّة خلال رمضان القادم، فالسّودانُ يمتلكُ ثروةً حيوانيّةً تميّزُها المراعي الطّبيعيّة والنّوعيّة العاليّة.. **لَكِنَّ الأَمْرَ لاَ بُدَّ أَنْ يَتَعَدَّى اللَّحْمَ وَرَمَضَان، وَهُوَ مَا يَبْدُو فِي الأُفُقِ، وَيصِلَ إِلَى جَمِيعِ الْمَجَالاَتِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالطَّاقَوِيَّةِ وَنَشَاطَاتِ التَّوْأَمَةِ بَيْنَ الْبَلَدِيَّاتِ وَالْمُدُنِ**، والتّعارفِ والتّعاونِ بين النّوادي الرّياضيّة، وتبادلِ الزّياراتِ والأسابيع الثّقافيّة وقبل ذلك وبعده التّنسيق والتّشاور في القضايا السّياسيّة العربيّة، لأنّ للبلدين مواقف مبدئيّة شبه متطابقة، خاصّة حول قضيّةِ فلسطين ودولةِ الكيانِ الصّهيونيّ.

2010-04-25

أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الْأَبْيَض

تُهَمٌ جديدةٌ وجّهتها المحكمةُ الجنائيّةُ الدّوليةُ للرّئيس السّودانيّ عمر حسن البشير وهي ارتكابُ جرائم حربٍ وجرائم ضدّ الإنسانيّة والإبادةِ الجماعيّة.. تُهمٌ مثّلتْ تطوّراتٍ خطيرةً وقادتْ إلى ردودِ أفعالٍ مختلفة.. لكنّ ما يلفتُ النّظرَ هو الموقفُ الأمريكيّ الذّي دَعَا الرّئيسَ البشير إلى المثولِ أمام تلك المحكمةِ في لاَهَاي والردِّ على الاتّهاماتِ الموجّهةِ إليه.

نعم.. هكذا بكلّ بساطة، وهذا هو الحلُّ الذّي تراه الإدارةُ الأمريكيّةُ مناسباً فعبّرتْ عنه من خلال المتحدّثِ باسمِ وزارةِ الخارجيّةِ فيليب كراولي...

وأكثرُ من ذلك راحتْ تنصحُ الرّجلَ بالتّعجيلِ لِمَا في ذلك من مصلحةٍ ثابتةٍ من وجهةِ نظرِ واشنطن على ما يبدو، فقد قال المتحدّثُ ذاتُه بأنّ المثولَ أمام المحكمةِ كلّما كان أقرب، كلّما كان أحسن..؟؟

ولَيْتَ الأمرَ قد اقتصرَ على تصريحاتٍ إعلاميّةٍ فقط، بل إنّ المبعوثَ الأمريكيَّ إلى السّودان سْكُوتْ غْرِيشِنْ سيصلُ المنطقةَ لاحقًا، ويجدّدُ دعوتَه للرّئيس البشير من أجلِ التّعاونِ الكاملِ مع محكمةِ الجناياتِ الدّوليّة...!!

والمفارقةُ أنّ ذلك المبعوثَ ذاتَه هو الذّي وقفَ بقوّةٍ وراءَ إجراءِ الانتخاباتِ السّودانيّةِ الأخيرةِ في موعدها رافضًا أيَّ تأجيل، مع أنّ جميعَ المؤشّراتِ كانتْ ترجّحُ كفةَ الرّئيسِ البشير ليظلَّ على كرسيّ الرّئاسةِ لفترةٍ أخرى بعد أكثر من عشرين سنة في الحكمِ بَدَأَهَا عبر انقلابٍ عسكريٍّ نظيفٍ وشريفٍ على رأيِ الكثيرين، لكنّه يظلُّ انقلابًا على حكومةٍ منتخبةٍ مهما قِيلَ عن عجزها أو فسادها.

لقد صعّدتْ محكمةُ الجناياتِ الدّوليّةِ من موقفها وأضافتْ تهمًا خطيرةً للرّئيس السّودانيّ، وطالبتْ واشنطن البشيرَ بالمثولِ أمام المحكمة، وتزامنَ كلُّ ذلك وتداعياته مع ارتفاعِ أصواتِ بعضِ الجنوبيّين المطالبين بالانفصالِ عن السّودان..؟؟

عندما يحدثُ كلُّ ذلك وغيره، لا نحتاجُ إلى تفكيرٍ عميقٍ لندركَ أنّ في الأمرِ حبكةً قصصيّةً مُعدّةً سلفًا، وأنّ سيناريو واضحَ التّفاصيلِ سيتبعُها لاحقًا.

والحقيقة أنّ كثيرا من النّاسِ العاديّين، فضلا عن الخواص، باتوا يدركون انتشارَ ظاهرةِ كتابةِ ومتابعةِ السّيناريّوهات ثمّ إخراج المشاهدِ بالكاملِ في كثيرٍ من بلداننا، بعد أن صارَ الأمرُ مألوفًا في عالمِ السّياسة الدّوليّة، خاصّة خلال العقدين الأخيرين حين

حاولتِ الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّةُ السّيطرةَ على مجرياتِ ومفاصلِ الأحداث العالميّة، وتوجيهها لخدمةِ مصالحها بالدّرجةِ الأولى ثمّ مصالحِ الدّولِ الحليفةِ الدّائرةِ في فلكها.

وفي هذا السّياق لم يَعُدْ سرًّا أنّ السّيناريو وعمليّات الإخراجِ الأمريكيّة تتّجه منذ سنوات بوضوحٍ تامٍّ نحو السّودان وما يزخرُ به ذلك البلدُ العربيّ الأفريقيّ من تنوّعٍ عرقيٍّ ولغويٍّ وحدودٍ طويلة، وغير ذلك من المؤهّلات التّي تجعلُ منه بامتياز بوابةَ العربِ نحو القارّة السّمراء التّي تشكّلُ، خاصّة بدولها الإسلاميّة، العمقَ الاستراتيجيّ للعالَم العربيّ.

وبينما كان العالَمُ العربيّ منشغلاً بفعاليّاتِ أوّلِ دورةٍ لكأسِ العالَم في كرةِ القدمِ تحتضنُها دولةٌ أفريقيّة، كانتِ الإدارةُ الأمريكيّةُ تمضي قُدمًا في خططِها لدولةِ السّودان، وتتفنّنُ في نسجِ خيوطِ المؤامرةِ العلنيّةِ التّي بدأت منذ ثمانينيّات القرنِ الماضي، واستهدفتْ وحدة أراضي السّودان وتقطيع أوصاله لعرقلته عن القيامِ بأيّ أدوارٍ قويّة.

الخدعُ البصريّةُ والذهنيّةُ في عمليّاتِ الإخراجِ السّياسيّ لمصيرِ جنوبِ السّودان ظهرتْ جهارًا نهارًا، عبر تلك المظاهراتِ والمسيراتِ الاستباقيّةِ التّي خرجتْ في الجنوبِ وطالبتْ بتوجيهِ دفّةِ الأمورِ نحو الانفصالِ خلال الاستفتاءِ الشّعبيّ العامّ المقرّرِ مطلع العامِ القادمِ طبقًا لاتّفاقيّة نِيفَاشَا للسّلامِ بين الحكومةِ السّودانيّةِ وما يُعرف بالحركةِ الشّعبيّةِ لتحريرِ السّودان التّي تتمركزُ في الجنوبِ وعاصمته جُوبَا.

وَتِيرَةُ تلك المظاهراتِ كانتْ تزدادُ حدّةً مع التّصريحاتِ المغرضةِ التّي صدرتْ عن جهاتٍ وقوًى دوليّةٍ منها الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وحاولتْ من خلالها توجيهَ الرّأيَ العامَّ في الجنوبِ السّودانيّ نحو اختيارِ الانفصالِ.. والطّعمُ المقدّمُ هو أنَّ واشنطن تعلنُ من الآن، وقبل أشهرٍ عديدةٍ من موعدِ الاستفتاءِ، أنّها ستدعمُ انفصالَ الجنوبِ إذا اختارَ أهلُه ذلك، والرّسالةُ واضحةٌ طبعا: قَرِّرُوا الانفصالَ فقط واتركوا بقية التّفاصيل، فأنتم لنا ونحن معكم..!!

تلك المظاهراتُ والمسيراتُ والتّصريحاتُ راحتْ ترفعُ السّقفَ عاليًا لتحقّقَ الحدَّ المطلوبَ على ما يبدو، وهكذا طالبَ البعضُ بإعلانِ الانفصالِ من الآن وعدمِ انتظارِ موعدِ الاستفتاءِ العامّ، وكأنّ جميعَ المعطياتِ الدّاخليّةِ والخارجيّةِ تصبُّ في صالحِ الانفصال، وأنّ الأملَ في الحفاظِ على الوحدةِ بات شيئًا من التّاريخ لا أكثر وأقلّ، وأنّ حكومةَ الخرطوم عاجزةٌ عن فعلِ أيّ شيءٍ للحفاظِ على تواصلِ الجنوبِ مع الشّمال.

المرحلةُ صعبةٌ للغاية لكنّ ما نتمنّاه هو أن يكونَ ساسةُ الحكمِ في الخرطوم على وَعْيٍ كاملٍ بما يحدث، وأن يكون قبولُهم للدّعمِ الأمريكيّ وتجاوبُهم معه خلال الانتخاباتِ الماضيّةِ مجرّدَ تكتيك، لينطلقوا بعد ذلك في خططِهِم ومشاريعِهم وبرامجِهم لاحتواءِ الموقفِ والعملِ بكلّ الوسائلِ لترجيحِ كفّةِ الوحدةِ وإقناعِ الجنوبيّين بالتّصويتِ للسّودان.. ويتزامنُ ذلك مع الشّروعِ الفوريّ والعمليّ في خطواتِ إرساءِ دولةِ المواطنةِ الكاملةِ والعدالةِ والقانونِ والتّوزيعِ العادلِ للثّروات، ويتزامنُ أيضا مع احتواءِ التّشرذمِ السّياسيّ للقوى الشّماليّةِ وحلِّ خلافاتها شبه المزمنة مع المؤتمرِ الوطنيِّ الحاكم، والتّوبةِ من ذلك التّخندقِ وراء المطالبِ الجامدةِ، لتبدأ من هناك مرحلةُ التّقدمِ بخطواتٍ ليلتقي الفرقاءُ حول نقطةِ وسطٍ وكلمةٍ سواء.

وكلُّ ما نتمنّاه أيضا أن تعي الدّولُ العربيّةُ ما يحدثُ للسّودان خاصّة أنّ عددًا منها مرشّحٌ للمصيرِ ذاتِه لاشتمالها على أقلّياتٍ دينيّةٍ أو عرقيّةٍ أو مذهبيّةٍ، وبالتّالي فهي أمام خيارٍ واحدٍ وهو دعمُ الوحدة بجميعِ السّبلِ المتاحةِ، حتّى لا تكونَ البدايةُ هناك على التّخومِ الأفريقيّة، والنّهايةُ هنا في بلدان الثّقل العربيّ، **وَعِنْدَهَا لَنْ يَنْفَعَ النَّدَمُ وَلَنْ يجدي أَنْ نُرَدِّدَ الْمَثَلَ الْقَائِل: أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الابْيَض.**

2010-07-17

وَحْدَةُ السُّودَان.. مِنْ أَجْلِنَا جَمِيعًا

دولةُ بلجيكا التّي تحتضنُ مقرّ الاتحادِ الأوروبيّ تبلغُ مساحتُها حوالي ثلاثين ألف كيلومتر مربّع، وسويسرا ذات الصّيتِ الذّائع في دنيا الذّهب والمال والبنوك والحسابات السّرية تزيدُ مساحتُها عن الأربعين ألف كيلومتر مربّع بقليل، أما هولندا، أو الأراضي المنخفضة، فتزيدُ مساحتُها أيضا بشيءٍ يسيرٍ عن الأربعين ألف كيلومتر مربّع، لكنّها من أكبرِ منتجِي الألبانِ ومشتقّاتِها في العالم.

ربّما يتسرّبُ إلينا بعضُ اليأسِ والتّشاؤمِ فنقولُ لأنفسنا إنّ تلك الدّول في أوروبا، وما أدراك ما أوروبا، وأين نحن من تلك القارّةِ التّي تجاوَزَتْنا بمسافاتٍ طويلةٍ في عوالمِ الاقتصادِ والعمرانِ والسّياسةِ والتّنميّةِ البشريّة..؟؟

لكنّ نظرةً عابرةً في خارطةِ العالَمِ العربيّ كفيلةٌ بتغيّيرِ الموقفِ حيث نجدُ دولةَ الكويت بمساحتها التّي تقاربُ الثّمانيّة عشر ألف كيلومتر مربّع فقط، وقد حقّقتْ معدلاتٍ عاليّةً في الدّخلِ الفرديّ والخدماتِ والبنيةِ الأساسيّةِ وحرّيةِ الرّأي والتّعبير، ونجدُ دولةَ قَطَر بمساحتها التّي تتجاوزُ الإحدى عشر ألف كيلومتر مربّع بقليل، وقد حجزتْ لنفسِها مكانًا إقليميًّا وعالميًّا، واقتحمتْ السّياسةَ من بابها الواسع، ونافستْ دولاً عربيّةً أكبرَ منها مساحةً وأوفرَ سكانًا، ثمّ نجدُ لبنان صاحبُ العشرة آلاف كيلومتر مربّع وهو يناورُ ويحاورُ ويجتذبُ اهتمامًا دوليًّا وإقليميًّا، وربّما حقّقَ تلك المقولةَ، رغم الاختلافِ حول وجاهتها: قوّةُ لبنان في ضَعْفِه..!!

يمكن أن يُقَالَ الكثيرُ عن المساحاتِ والأراضي والقِفَارِ والجبالِ والسّهولِ والأنهار، وعددِ السّكانِ وغيرها من العواملِ التّي تلعبُ دورًا رئيسيًّا في ثراءِ بلدانٍ بعينها، وتحوّلها إلى إمبراطوريّاتٍ وقوى دوليّةٍ تجوبُ أساطيلُها البحار، كما حدثَ قديما، ويصلُ رعبُها وتأثيرُها ونفوذُها الاقتصاديُّ والسّياسيُّ إلى دولٍ بعيدة كما يحدثُ خلال هذه العقود.

وفي المقابل لا يعني صغرُ المساحةِ بالضّرورةِ التّقوقعَ على الذّات، والتّسليمَ بقيودِ الجغرافيا، وحتّى بموروثاتِ التّاريخ.. حيث يمكنُ لأيّ دولة، مهما كانتْ ضآلةُ مساحتها، لعبَ أدوارٍ قويّةٍ ومنافسةَ الكبارِ عندما تتقنُ التّحكمَ في فنونِ اللّعبِ وتحسنُ التّسلّلَ من الثّغرات، ومن ثمّ الإمساك باليدِ التّي تؤلمُ أولئك العظماء، أو البحث عن أماكن رخوةٍ في خواصرهم لتغرسَ فيها الإبرَ فيبدأُ الوجعُ العلنيُّ والمكتومُ وتتكسّرُ بعض الإرادات..؟؟

وهكذا تتحقّقُ للصّغار، أو من اعتبرهم الآخرون كذلك، مصالحُهم ويُحْفَظُ لهم وجودُهم، ويُثْبِتُوا للعالَم أنّ ميادين اللّعبِ متاحةٌ للجميع، ويردّوا على المتقاعسين الذّين توهّموا أنّ قَدَرَهُم هو الإمساكُ بذيل القافلة والانصياعُ لأوامرِ القوى العظمى، أو المراوغةُ حولها في أحسن الأحوال.

الاستطرادُ السّابقُ كلّه يستدعيه، في تقديري على الأقلّ، ما تشهده دولةُ السّودان هذه الأيّام، وهي أكبرُ الدّولِ العربيّةِ أرضًا إذ تتجاوزُ مساحتُها المليونين ونصف المليون كيلومتر مربّع، وتحملُ من الثّرواتِ الباطنةِ والظّاهرةِ والأراضي الزّراعيّةِ والرّعويّةِ ما يكفي، لو اُستغِلّت، أهلَ السّودان وجيرانَهم وجزءًا كبيرا من سكّان أفريقيا والعالَم العربيّ.

تشهدُ السّودان تجاذبًا حادًّا وعدًّا تنازليًّا نحو موعدِ الاستفتاءِ حول مصيرِ الجنوب، وما قد يحملُه من نتائج ليست في صالحِ بقاءِ تلك المساحةِ الضّخمةِ موحّدة، مما يجعلُ السّودانَ عرضةً للتّزحزح عن المرتبةِ الأولى عربيًّا من حيث المساحة، فيفقدُ مفخرةً ربّمَا بَاهَى بها إخوانَه العرب الذّين استهْوتهم الإنجازاتُ القياسيّة: فبعضهم يملكُ أعلى برجٍ في العالم، وآخرُ شيّدَ أكبر مصنعٍ في أفريقيا، وثالثٌ أنجز أطولَ جسرٍ في محيطه الإقليميّ، ودولةٌ يحكمها أقدمُ رئيسٍ في العالَم المعاصر..

وهي إنجازاتٌ مهمّةٌ لو ارتبطتْ بالتّنمية الحقيقيّة، والعدالة والحريّة والدّيمقراطيّة، لأنّها عماد الرّقيّ والازدهار الحقيقيّ.

وطبقًا لنماذجِ الدّولِ الصّغيرةِ سابقةِ الذّكر، عربيّةً وغربيّة، يمكنُ اختصارٍ ما يحدثُ في السّودان، والحديث باسم أشقّائنا السّودانيّين، وهم أهلُ بساطةٍ وطرفةٍ وخفّةِ دم..

ومن ثمّ القول: دعونا نفرّطُ في مفخرةِ المرتبةِ الأولى عربيًّا من حيث المساحة، واذهبوا يا أهل الجنوبِ إلى حالِ سبيلكم إذا كان في ذلك شفاء لصدوركم.. وما بقي لنا من الأرضِ وما في باطنها سيكفينا ويغنينا، وبيننا وبينكم الزّمنُ فهو الكفيلُ بإقناعكم

أنّ خيارَ الوحدةِ هو الأفضلُ وأنّ الوعودَ الدّوليّةَ لن تغني عنكم شيئًا.. فبعد أن ينفضَّ الجمعُ وتتزحزحُ قضيّتُكم عن العناوين الأولى في وسائلِ الإعلامِ الدّوليّة، وبعد أن تتوجّهَ بوصلةُ الأحداثِ نحو وجهةٍ أخرى ومصالح وأزمات جديدة تصنعُها الآلةُ الأمريكيّة لتديرها وتستفيد منها كعادتها.. بعد ذلك ستواجهون الحقيقةَ كما واجهتْها تيمور الشّرقيّة، وكما واجهتْها أيضا منظّمةُ التّحرير الفلسطينيّة التّي وَعَدَهَا الغربُ بالعسلِ واللّبنِ وأنهارِ الاستثماراتِ الأجنبيّةِ في غزّة والضّفة الغربيّة إذا اعترفتْ بإسرائيل، وألغتْ من ميثاقها ما يدعو إلى دمارها، واسترجاع دولة فلسطين التّاريخيّة من النّهر إلى البحر.

نعم... يمكنُ اختصار الأمر بهذا الشّكلِ، لكن هيهات فالقضيّةُ لا تخصُّ أهلَ السّودان وحدهم، لأنّها البدايةُ وليست النّهاية أو هي البداية والنّهاية في الوقتِ ذاته.. فالتّجربةُ ستُعَمَّمُ تلقائيًّا على عددٍ من الدّولِ العربيّةِ التّي تحملُ بعض مواصفاتِ السّودان وجغرافيّته وتنوّعه العرقيّ.. وهكذا فوحدة السّودان لمصلحةِ جميع الدّولِ العربيّة.

وربّما يكون لدى السّاسةِ السّودانيين من التّراكماتِ والمشاكلِ ما يحولُ بينهم وبين بذلِ جهودٍ أكبر لاحتواءِ المشكلةِ وإقناعِ الجنوبيّين بخيارِ الوحدة، أو تأجيلِ الاستفتاءِ على الأقلّ.. لكنّ العربَ في يدهم الكثير، وفي وسعهم التّأثيرُ على ساسةِ الجنوبِ والجيران والتّحدثُ بلغةِ الوعد والوعيد الاستثماريّ والاقتصاديّ، وحتّى السّياسيّ بعد التّخلّصِ من عقدةِ الخوفِ، والتّصرفِ بعيدًا عن مواقفِ ورغباتِ السّيدِ الأمريكيّ.

ولو عجز العربُ، لأنّ اللّعبَ الآن قد يكونُ في الوقتِ بدل الضّائع، فليس أقلّ من أن يحصّنوا أنفسَهم لقابلِ الأيّامِ **وَيَنْخَرِطُوا بِصِدْقٍ وَجِدٍّ فِي بِنَاءِ دَوْلَةِ الْمَوَاطَنَةِ الْكَامِلَةِ وَسُلْطَةِ الْقَانُونِ وَالْحُكْمِ الرَّاشِدِ وَالتَّوْزِيعِ الْعَادِلِ لِلثَّرَوَاتِ**، ومن هناك تكتسبُ الأجيالُ الحاليّةُ والقادمةُ حصانةً ضدّ التّدخّلات والألاعيب الأجنبيّة.

2010-10-23

بَيْنَ شَمَالِ الْوَادِيّ وَجَنُوبِه

الرّئيسُ السّودانيّ الفريق عمر حسن البشير يعلنُ قبولَه نتيجةَ استفتاءِ جنوبِ السّودان التّي قاربتِ الإجماعَ الكاملَ على الانفصال.. قبولٌ شماليٌّ فَتَحَ البابَ على مصراعيه لمرحلةِ الدّولتين بعد فترةٍ انتقاليّةٍ تنتهي في شهر جويلية / يوليو القادم، ومن هناك يذهبُ كلٌّ طرفٍ إلى حالِ سبيله ليتفرّغَ إلى لَمْلَمَةِ أطرافهِ ومداواةِ جراحه، والبحثِ عن مستقبلٍ أكثر رفاهيّة وأمنًا.

لقد أخذَ استفتاءُ مصيرِ جنوبِ السّودان حظًّا وافرًا من التّغطيّةِ الإعلاميّةِ بجميع أطيافها ووسائلها المتنوّعة، لكنّه لم يكدْ يصلُ إلى نهايته حتّى كانتْ أحداثُ تونس الخضراء تنتزعُ العناوين الأولى، وتستحوذُ على المساحةِ الأكبر من الاهتمامِ الإعلاميّ خاصة لدى القنواتِ الفضائيّةِ العربيّةِ الإخباريّة.

وعندما بدأتْ تلك الأحداثُ تضعُ أوزارَها طفتْ بوادرُ تململٍ في الشّارعِ المصريّ انتهتْ بأحداثٍ ومسيراتٍ وتجمّعاتٍ مليونيّةٍ متواصلةٍ لعبَ فيها الإعلامُ الدّورَ الأبرز، فمعركةُ الإراداتِ تدورُ في ميدانِ التّحريرِ بالقاهرة وعددٍ من المدنِ المصريّةِ الكبرى، لكنّها تدورُ بشكلٍ متناظرٍ على شاشاتِ الفضائيّاتِ العربيّةِ والمصريّة، ومن خلال الإعلامِ الجماهيريّ الواسع الانتشارِ الذّي تمثّله مواقعُ الانترنت ومنتديات الحوار والمواقع الاجتماعيّة وعلى رأسها الفيس بوك.

في صخبِ الأحداثِ المصريّةِ جاء الإعلانُ عن النّتائجِ الرّسميّةِ لاستفتاءِ جنوبِ السّودان، وكانتِ النّسبةُ فوق (99) في المائة لصالحِ انفصالِ الجنوبِ واستقلاله عن الشّمالِ بدولةٍ ذاتِ حدودٍ وسيادة.. وكان الاعترافُ الرّسميُّ الشّماليُّ بالنتائجِ وحقِّ الجنوبيّين في تقريرِ مصيرهم بالشّكلِ الذّي يروقُ لهم، ولو كان مؤلمًا للجسم السّودانيّ الكبير.

الإعلانُ عن حدثٍ جسيمٍ في جنوبيّ وادي النّيل ضاعَ في غمرةِ أحداثِ شمال الوادي حيث القاهرة والإسكندريّة، فقد كان هذا الخبرُ كافيًّا لتزويدِ وسائلِ الإعلام، خاصّة العربيّة، بوقودٍ مستمرّ لمدّة طويلة، لكنّ ما حدثَ في تونس ثمّ مصر دَحْرَجَ أولويّاتِ المشاهدِ العربيّ وبعثرها، ثمّ أعادَ ترتيبها من جديد لتكون الأولويّةُ للمظاهراتِ والتّصريحاتِ النّاريّة، ومصيرِ التّوازناتِ السّياسيّةِ التّي عرفتها المنطقة العربيّة، ومآل التّحالفات والصّداقات التّي رعتها الولايات المتّحدة الأمريكيّة في منطقةِ المشرقِ العربيّ، وجعلتْ منها صمّام أمانٍ لدولةِ إسرائيل وأطماعها ومشاريعها.

يمكنُ الحديثُ بطريقةٍ أو أخرى عن أنّ ما حدثَ في تونس ومصر غيّر بعضَ الموازينِ الشّعبيّةِ والرّسميّةِ العربيّة، فصارَ انقسامُ بلدٍ عربيٍّ كبيرٍ مثل السّودان لا يعني الشّيءَ الكثيرَ مقارنةً بالتّغييرِ الجديدِ والمنعطفِ التّاريخيِّ الذّي تمرُّ به الأمّةُ العربيّة..؟؟

كما أنَّ الأمرَ ذاتَه ينطبقُ على الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ والغربِ بقدرٍ معيّن، خاصّة بعد الارتباكِ الذّي ظهرَ جليًّا على تصريحاتِ ومواقفِ واشنطن وعواصمِ أوروبا خلال الزّلزالِ العربيّ الذّي ضربَ البنيةَ الفكريّةَ والسّياسيّةَ في كلّ من تونس ومصر، وأثّرَ بأحجامٍ متفاوتةٍ على دولٍ عربيّة أخرى.

ماذا لو لم تقمْ ثورةُ مصر وتونس..؟؟

كيف كان حالُ التّغطيّةِ الإعلاميةِ لإعلانِ انفصالِ الجنوبِ السّودانيِّ عن شماله..؟؟

وكيف كان الخطابُ الغربيُّ الموجّهُ للدّولِ العربيّة..؟؟

وكيف كانت نغمةُ البكاءِ العربيِّ على انقسامِ السّودان الشّقيق..؟؟

وكيف كان استثمارُ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ للحدث.. وإلى من ستتّجه أصابعُ الاتّهامِ والابتزازِ المباشر، لتبدأَ عمليّاتُ إثارةٍ وبحثٍ منظّمٍ عن أقليّاتٍ حقيقيّةٍ أو مصطنعةٍ ومن ثمّ الضربُ على أوتارِ حقوقِها وتاريخها ولغاتها وماضيها ومستقبلها..؟؟؟

نعم... ربّما كان في جعبةِ القومِ الكثير للسّودان بشماله وجنوبه، لكنّ ذلك ذهبَ أدراجَ الرّياحِ مؤقّتًا على الأقلّ، والسّببُ هو تطوّراتُ الأحداثِ في تونس ثمّ مصر، وما قد تشكّله من تغيّيرات جوهريّة تمسُّ موازين القوّة في منطقةِ ما يسمّى الشّرق الأوسط، لأنّ مصر قد تتحوّلُ من جديدٍ إلى دولةٍ فاعلةٍ يحكمُها من يتناغمُ مع تطلّعات شعبها وشعوب المنطقة.

ورغم ما سبق قد تستقرُّ الأوضاعُ العربيّةُ بشكلٍ أو بآخر، وقد نجدُ أنفسنا في شهر جويلية القادم، موعد إعلان الدّولة الجنوبيّة المستقلّة، أمام المخطّطِ الأمريكيِّ القديمِ للسّودان والمنطقة، والاستغلال الإعلاميّ والسّياسيّ للنّصرِ الذّي حقّقه الغربُ عندما دفعَ القاطرةَ السّودانيّةَ جهارًا نهارًا نحو الانشطار.

وهكذا لا ينبغي أن يمرَّ انقسامُ السّودان مرورَ الكرام رغم المشاغلِ العربيّةِ الآنيّة، لأنّ السّودان هو الأوّلُ وليس الأخير.. والمرحلةُ القادمةُ في حاجةٍ إلى مزيدٍ من اليقظةِ نحو الحدود، لكنّها يقظةٌ غير تلك التّي عرفتها الشّعوبُ العربيّةُ خلال العقودِ الماضيّةِ حين كانتْ تستمعُ إلى كمّيّاتٍ هائلةٍ من الشّعاراتِ التّي تُغَنّي للوطنِ وترابه المقدّس، وفي المقابلِ إهمالٌ عفويّ، ومتعمّد أحيانا، لمقدّراتِ النّهضةِ الحقيقيّة التّي تُحَصّنُ الوطنَ من تدخّلاتٍ واستفزازاتٍ من هبَّ ودبّ.

إنّ الدولةَ المدنيّةَ التّي تكفلُ المواطنةَ الكاملةَ وتَرْعَى التّنوعَ، ولو حملتْ طابعًا عروبيًّا أو دينيًّا، كفيلةٌ بإحقاقِ الحقوقِ وطمأنةِ النّفوسِ لأنّ الجميعَ فيها سواء أمام القانون، وهكذا لن تجدَ أيُّ أقليّةٍ مشكلةً وهي تمارسُ حياتها وفق ثقافتها ولغتها، وحينها تُقطعُ السّبلُ أمام ذلك الرّهطِ المرابطِ في عواصمِ الغربِ حيث يتفنّنُ من هناك في تدبيج البيانات ونسج المؤامرات، والبحث عن مبرّرات تمثّلُ موطئ القدم الأولى للغير على أراضينا.

إنّ الشُّعُورَ بِالامَانِ الْجُغْرَافِيّ حَقٌّ شَعْبِيٌّ عَلَى غِرَارِ الْحُقُوقِ الاخْرَى، وَلاَ يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلاَّ إِذَا كَانَتْ حُصُونُنَا قَوِيَّةً مِنَ الدّاخِلِ عَبْرَ الْوَحْدَةِ الْوَطَنِيَّةِ الرّاسِخَةِ وَالشُّعُورِ المشترك بالحقوقِ المتساويةِ التّي تدفعُ الجميعَ إلى الهرولةِ، بل الرّكض، نحو أداءِ الواجباتِ والمساهمةِ في بناءِ الوطن.

إنّ من حقّ المواطنِ العربيّ أن يلمسَ برامجَ عمليّةً تهدفُ إلى تعزيزِ الثّقةِ بالدّولة، وليس الحكومة أو الحزب، ومن هناك ينطلقُ ذلك الشّعورُ الذّي يدركُه المواطنون في دولٍ أخرى: شعورٌ بأنّ لنا دولةً تحمينا ويحمرُّ وجهُها إذا تعرّضَ مواطنٌ لإهانةٍ في أقصى الأرض، كما تفعلُ الدّولُ الكبرى... عندها ستزولُ جميعُ وساوسُ الشّيطان التّي صنعتْها قوافلُ المستشرقين وتلامذتهم من المستغربين.

2011-02-12

عُودُوا إِلَى الْآخَرِ..

منذ مطلعِ الألفيّةِ الثّالثةِ تَعَوّدَ المتابعون للسّياسةِ والأخبارِ على احتجاجِ هذه الدّولةِ أو تلك على دولةِ قَطَر، وتصلُ قوّةُ الاحتجاجِ إلى درجةِ سحبِ السّفراء، والأسبابُ في غالبها واحدة، وإن تعدّدتِ الأشكالُ والمسمّياتُ، حيث تتمحورُ حول القناةِ الفضائيّةِ الشّهيرةِ والكبيرةِ التّي تبثُّ من دولةِ قَطَر الصّغيرةِ في مساحتها وعددِ سكّانها.. المتابعون تعوّدوا أيضًا على سماعِ خريرِ المياهِ في طريقِ عودتِها إلى مجارِيها.

الجديدُ في الشأنِ القطريِّ، والعربيّ، أنّ مظاهرَ الغضبِ والاحتجاجِ تطوّرتْ هذه الأيّام إلى ما يشبه الحملةُ المنظّمةُ والمنسّقةُ بين ثلاثِ دولٍ خليجيّةٍ هي المملكة العربيّة السّعوديّة والإمارات العربيّة المتّحدة ومملكة البحرين، ممّا يؤشّرُ على جهدٍ جماعيٍّ نحو هدفٍ محدّدٍ طالما عجزتْ دولٌ بمفردها عن تحقيقه، وإذا أضفنا إلى ذلك الثّلاثيّ جمهوريّة مصر العربيّة وعلاقتها المتوتّرة مع دولة قَطَر منذ الانقلاب، ربّما تفاءلَ المتضرّرون من المواقفِ القطريّةِ وقناةِ الجزيرة بمرحلةٍ أفضل وراحةٍ أكثر.

الجديدُ أيضا أنّ الأسبابَ المباشرةَ للخلافاتِ بين الدّولِ الخليجيّةِ الثّلاث وشقيقتهم الرّابعة تقبعُ وراء الحدود، وتحديدًا في مصر حيث تباينتِ المواقفُ بشدّة بعد الانقلاب؛ فقد كان دعمُ العهدِ الجديدِ قويًّا وواضحًا من دولتيْ الإمارات والسّعوديّة، وكان الرّفضُ المتحفّظُ ثمّ الصّريحُ لهذا العهدِ هو الطّريقُ الذّي اختارته القيادةُ القَطَريّة.

ذلك هو جوهرُ الخلافِ الخليجيّ، ومع ذلك مارستِ البياناتُ الرّسميّة، كالعادة، عمليّاتَ تجوالٍ بعيدةً عن محورِ المشكلة...!!

فوكالةُ الأنباءُ السّعوديّةُ نقلتْ عن بيانِ الدّولِ الثّلاث أنّها أقدمتْ على هذه الخطوةِ المتقدّمةِ عندما فشلتْ جهودُها في إقناعِ قَطَر بالالتزامِ بمبادئِ ميثاقِ مجلسِ التّعاونِ الخليجيّ، وأنّها اتخذتْ ما تراه مناسبًا لحمايةِ أمنها واستقرارها، كما طالبَ هذا البيانُ الدّوْحَةَ بإجراءاتٍ فوريّةٍ لحمايةِ وحدةِ مجلسِ التّعاونِ الخليجيّ ومسيرته.

يا إلهي.. ما أنبله من هدف: حمايةُ وحدةِ المجلس.. وما أحوجَ دولِ الخليجِ إلى جميع أبنائها لتحقيقِ هذه الغايةِ السّاميّة.. وحتّى بقيّة العرب: عليهم أن يتعاطفوا ويساندوا بعد أن يتيّقنوا أنَّ كلَّ نجاحٍ عربيّ، ولو كان إقليميًّا، هو مصلحةٌ مشتركةٌ لهم جميعا.

لكن.. مهلاً.. دعونا نفتّشُ في ملفّاتِ وأرشيفِ مجلسِ التّعاونِ الخليجيّ أوّلا، ثمّ اتحادِ المغربِ العربيّ الذّي وُلدَ بعده بعدّةِ سنوات، وحتّى جامعةِ الدّولِ العربيّةِ التّي وصلتْ إلى عمرِ الشّيخوخةِ بامتيازٍ حيث تستعدُّ للاحتفالِ بإطفاءِ شمعتها السّبعين..؟؟؟

ماذا فعلتِ التّجمّعاتُ العربيّةُ خلال هذه السّنواتِ الطّويلة، وما الذّي يمكنُ أن تحقّقه للشّعوبِ العربيّةِ مستقبلا في ظلِّ الأوضاعِ الدّوليّةِ المتسارعةِ والمتصارعة، حيث امتزجتْ تحدّياتُ الاقتصادِ مع السّياسةِ والثقافة، وزادتْ من تأجيجِ نيرانها تلك الثّورةُ الاتّصاليّةِ والإعلاميةِ العارمة.

لستُ متشائمًا.. لكنّني أرفضُ الاستمرارَ في بيعِ الوهمِ أو استهلاكه، خاصّة بعد أن تعرّتِ الحقائقُ على الأرض، وظهرتْ تجمّعاتُنا العربيّةُ الرّسميّةُ بلا أهدافٍ حقيقيّة، أو غاياتٍ تتناسبُ مع تطلّعاتِ الشّعوبِ وتحدّياتِ العولمةِ والصّراعِ الدّوليِّ على المصالح، سواءً في عهد الثّنائيّةِ القطبيّةِ أو الأحاديّة، أو التّعددِ الذّي بدأَ يظهرُ على سطحِ المعمورةِ الآن من خلالِ النّزاعِ في سوريا وأوكرانيا وغيرهما.

ليت شعري.. لو تسلّحَ قادةُ العربِ في لحظةٍ واحدةٍ بالشّجاعةِ الكافيّةِ وأصدروا ذلك القرارَ المنتظرَ، وفي أوّلِ قمّةٍ عربيّةٍ قادمة:

قرارٌ واحدٌ فقط، ولا توصيّاتَ معه ولا هم يحزنون.. لكنّه قرارٌ حازمٌ وصارمٌ وملزمٌ للجميع:

حلُّ الجامعةِ العربيّةِ وأيِّ شكلٍ من أشكالِ التّجمعاتِ العربيّة الأخرى سواء منها ما ينبضُ ببعضِ الحياةِ كمجلسِ التّعاونِ الخليجيِّ، أو الذّي ماتَ منذ مدّة لكنّ الإعلانَ عن موعدِ الجنازةِ تأخّرَ لأجلٍ غير مسمّى، ولسببٍ في نفوسِ قادةِ المغربِ العربيِّ وحدهم.

اعلنوا عن حلّ هذه التّجمّعاتِ أيّها القادة، وادخلوا في إجازةٍ مفتوحةٍ من الاجتماعاتِ والاتّصالاتِ والمشاورات، وجرّبوا في المقابلِ إفساحَ المجالِ أمام الشّعوبِ والنّخبِ كي تسعى للتّقاربِ والتّنسيقِ والوحدة.

والمؤكّدُ أنّ النتائجَ سوف تكون أفضل بكثيرٍ من قِمَمِكُم المتتاليّة...!!!

جرّبوا ذلك والأكيدُ أنّكم المستفيدُ الأوّلُ لأنّكم ستنعمون ببعضِ الرّاحة، فكلّنا يدركُ حجمَ المعاناةِ والضّغوطِ التّي تصاحبُ كلَّ قمّةٍ عربيّة، بدءًا من اختلافاتكم حول جدولِ

الأعمالِ والغياباتِ ودرجةِ التّمثيلِ والبيانِ الختاميّ، ثمّ المشاكسات التّي تحدثُ خلال الاجتماع، وإن كان بطلُها معمّر القذّافي قد رَحَل.

أَرِيحُونَا من القممِ والاجتماعاتِ والبياناتِ يا أصحابَ الجلالةِ والفخامةِ والسّموّ، فلعلّ في ذلك بعضَ الشّفاءِ لنا جميعا، ولعلّنا نظفرُ بجيلٍ جديدٍ غير ملوّثٍ ببياناتكم وتنديداتكم التّي ترمون بها في أوّلِ سّلةِ مهملاتٍ وأنتم تغادرون مقرّاتِ القممِ أو الاجتماعات..!!

وعودة إلى قضيّةِ سحبِ السّفراءِ الثّلاثة، للتّأكيدِ على أنّ وراءها الملفّ المصريّ لا غير، ولعلّ فرحةَ قادةِ الانقلابِ في مصر بتلك الخطوةِ هي أوضحُ دليلٍ على هذا الأمر؛ فقد أعربَ مجلسُ الوزراء المصريّ عن تأييده للقرار، وأكثر من ذلك أكدَّ على ما اعتبره موقفَ مصر الثّابت من أنّ مشكلةَ قَطَر ليست معها، أي مع مصر، إنّما مع غالبيّة الدّولِ العربيّة، وأنّ على قَطَر أن تحدّدَ موقفها بين أن تقفَ إلى جانبِ التّضامنِ العربيِّ وحمايةِ الأمنِ القوميّ للأمّة، أو أن تقفَ إلى الجانبِ الآخر..!!!

نعم هكذا قال بيانُ مجلسِ الوزراءِ المصريّ: الجانبُ الآخر.. أيُّ جانبٍ أيّها السّادة..؟؟

إذا كانتْ أقليّةٌ محدودةٌ منبوذةٌ، فكيف تقيمون الدّنيا ولا تقعدونها من أجلها..؟؟

وكيف تضيّعون أوقاتَكم الغاليَةَ في هذا الشأن.؟؟

وكيف تستمرُّ قناةُ الجزيرةِ كلَّ هذه الأعوام وجمهورُها أقليّةٌ في العالَمِ العربيّ..؟؟

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ خِلاَفَ ذَلِكَ فَاسْتَحُوا مِنْ أَنْفُسِكُم وَافْتَحُوا أَبْوَابَ الْحِوَارِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا وَتَصَالَحُوا مَعَ الْآخَر، ثمّ انطلقوا بصدقٍ على طريقِ دولةِ الجميع.. دولةُ القانونِ والمواطنةِ الكاملة.

2014-03-09

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	04
مقدّمة	05
المِحْوَرُ الأَوّل.. الْعَرَب.. الأَلَمُ وَالْأَمَل	11
دَافُوْس وَمُسَلْسَلُ الخِدَاع	12
"طُزّ" فِي الْجَزِيرَةِ وَأَخَوَاتِهَا	16
الصَّفْقَةُ وَالصَّفْعَة	20
هَلْ انْتَهَى الْحُلُمُ الْجَمِيل..؟؟	24
أَزْمَتُهُم وفُرْصَتُنَا	28
احْذَرُوهُمْ فَهَذَا أَوَانُ ظُهُورِهِم	32
وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَد اقْتَرَب	36
وَعِنْدَ حِذَاءِ الزّيْدِيّ الْخَبَرُ الْيَقِين	40
أَيُّهَا الْحُكَّام: أُوبَامَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْكُم..!!	44
وَقْفَةٌ جَادّةٌ وَيَتَدَحْرَجُوا تَحْتَ الْقَانُون	48
مَا هَكَذَا تُورَدُ الابِلُ يَا عَرَب	52
الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ أَوّلاً.. الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ دَائِمًا	56

سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ وَعُلَمَاءُ السُّلْطَان	60
حَوْلَ الرُّؤْيَة.. لِتَبْدَأ الدَّنْدَنَة	64
الْمَهْدِي الْمُنْتَظَر	68
هَلْ يَخَافُونَ الْقَضَاء..؟؟	72
مَا هَكَذَا تُؤْكَلُ الْكَتِف..!!	76
الْمِحْوَرُ الثَّانِي: الْقَضِيّةُ الْمَرْكَزِيَّة	81
الاسْتِرَاتِيجِيَّةُ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ	82
مَشْرُوعَانِ فَقَطْ لاَ ثَالِثَ لَهُمَا	86
سُكُوتٌ مِنْ ذَهَب	90
مَاذَا بَعْدَ الاسْتِفْتَاءِ الشَّعْبِيّ حَوْلَ غَزَّةَ الصُّمُود..؟؟	94
صُمُود غَزَّةَ.. نَحْوَ فِلِسْطِين كُلّ فِلِسْطِين	98
أَهْلاً وَسَهْلاً بِالتَّصَدُّعِ الْعَرَبِيّ	102
مَحْمُود عَبَّاس وَالْقِطَارُ الْأَخِير	106
غَزَّة وَرَامَ الله وَعُقْدَةُ الْخَارِج	110
عَلَى الْمُبَاشِر.. مَا الْجَدِيد..؟	114
أُبُو مَازِن عَلَى خُطَى عَرَفَات..!!	118
غَزَّة.. الْمُعَادَلَةُ الْجَدِيدَة	122
فُوبْيَا الْآخَر..!!	126

المِحْوَرُ الثَّالِث: مَرْكَزُ الثِّقَل.. وَانْحَلَل	131
دَارُ لُقْمَان سَتَظَلُّ عَلَى حَالِهَا	132
تَعَدَّدَتِ الأَسْبَابُ وَالْهَدَفُ وَاحِد	136
كُونُوا عِبَادَ الله "أَزْوَالاً"	140
قِمَّةُ الدَّوْحَة.. نَظْرَةٌ بِعَيْنِ الرِّضَا	144
إِنَّهَا الْحَرْب..!!	148
حَتَّى لاَ يَذْهَبَ الْجَمَلُ بِكُلِّ الْحِمْل	152
لاَ نُرِيدُ لاَءَاتِ الْخُرْطُومِ فِي سِرْتْ..!!	156
الْعَرَب.. الْجَزَائِر.. وَوَحْدَةُ السُّودَان	160
أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الْأَبْيَض	164
وَحْدَةُ السُّودَان.. مِنْ أَجْلِنَا جَمِيعًا	168
بَيْنَ شَمَالِ الْوَادِيّ وَجَنُوبِه	172
عُودُوا إِلَى الْآخَر..	176

صدر للمؤلّف:

- قضايا دوليّة
- 2010 خواطر سياسيّة
- دَنْدَنَات ثَوْرِيّة
- قضايا سُوفيّة
- الفرعونيّة.. تجليّات مُعَاصِرة
- دَنْدَنَات في الاحساس والتّفاؤل والتّغيّير
- دَنْدَنَات ديمقراطيّة
- ذكريات ومواقف

في انتظار الطّبع:

- قضايا وطنيّة
- من أروع القصص
- ومضات تنمويّة

تحت الإعداد:

- من الجَّدَيْدَة والرَّدَيِّف إلى الألزاس واللُّورين.. مجموعة قصصيّة
- النُّوَّار.. قصص
- أربع عواصم.. يوميّات وذكريات

ARABIC ISSUES

Tahir Amara Ladghem

First edition 2021 AD / 1443 AH

SAMI Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

ARABIC ISSUES

Tahir Amara Ladghem

ISBN:978-9931-798-77-4

للطباعة
والنشر
والتوزيع
سامي
تصميم